كُتب الأنساب وتاريخ الجزيرة

للدكتور عبد العزيز الدوري
(عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني)

١ ــ لا يُراد هنا بيان اهمية النسب ودَوره في الحياة العربية ، وتكفي الاشارة الى انه كان بصوره المتعددة اساسيا في حياة القبائل قبل الاسلام، وعاملا بعيد الاثر في الحياة العامة بعد الاسلام . واذا كانت ظروف الحياة في البادية تؤثّر في حجم الكيانات القبلية، بتحديدها او بتوسيعها عن طريق المحالفات وتداخل الأنساب، فان الأنساب في العصر الاسلامي أثّرت في تنظيم الديوان ، وفي التمصير ، وفي تنظيم المقاتلة ، كما اثّرت (وتأثّرت بدورها) بالظروف السياسية في الدولة الاسلامية، وبالصراع على السلطة . وخلال ذلك كله كانت العناية بالنسب كبيرة، والتأكيد عليه واضحا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهرت العناية بالانساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الاول للهجرة ، وتمثلت في مرحلتها الاولى بوجود نسّابِينَ في كل قبيلة ، وبوجود كُتُب لدى القبائل بأنسابها واخبارها واشعارها . ويشير الهمداني الى وجود سجلات (زُبُر) لدى عرب اليمن بأنسابهم اطّلع على بعضها (الاكليل ج ١٠ ص ٧٠ ــ ١ وص ١١١) .

وظهر نسّابون وسّعوا اهتمامهم الى اكثر من قبيلة، وبدأُوا بجمع انساب القبائل في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ، جنبَ الاهتمام بنسب قريش خاصة ؛ كما ظهر بين النسّابين من اهتمّ بأخبار القبائل مع انسابها، فاسهموا في الدراسات التاريخية . وفي طليعة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (انظر

ابـن النديم ص ٩١ عن اهتمام الوليد بن يزيد بالانساب ؛ والاغاني ج ١٩ ص ٥٩ عن اهتمام خالد القسري بهـا) .

ولـم تصلنا مؤلفات من الانساب الاّ من القرن الثالـث ، في مقدمتهـا "جمهرة النسب" لهشام بـن السائـب الكلبـي ، ثم "نسب قريش" لمصعب الزبيري (وقطعة من جمهرة نسب قريش واخبارها لابن اخيه الزبير بن بكار ٢٥٦هـ) . وتبـلغ الكتابة في اطار النسب اوجهـا عند البلاذري (٨٩٢/٢٧٩) . وستتناول الملاحظات التاليـة المؤلفات الثلاثة المذكـورة :

٢ ـ وجمهـرة النسب لابن الكلبي (٨١٩/٢٠٤) كتـاب شامل في انساب العـرب (اطلعنا على مخطوطين لـه : الاول مخطوط المتحف البريطاني ؛ فيـه انساب عرب الشمال، ونسب الازد، وعنوانه جمهرة النسب (ونرمز لـه بـ ق ١) ، والثاني مخطوط الاسكوريال، وفيه نسب ربيعة، ثـم انساب القبائل اليمانيـة؛ وعنوانه : كتـاب النسب الكبير (ونرمز لـه بـ ق ٢) .

ويبـدو أن "جمهرة النسب" جـاء برواية محمد بن حبيب (انظر ق ١ ص ٢ ب ، ١١٩ أ ، ١٩٤ أ) ، في حين أن كتـاب النسب الكبير جـاء عن ابن الكلبي مباشرة . كمـا يبـدو أن ترتيب القبائل لا يخلـو من اختلاف بين المخطوطين ؛ ففي حين ترد الازد أول القبائـل اليمانية في جمهرة النسب ، يبـدأ كتاب النسب الكبير بكندة (ق ٢ ص ٨٧) ويتناول مجموعة من القبائـل قبل أن يتناول الازد (ق ٢ ص ٢٥١) . وهـذا يتطلب دراسة مقارنة لتكوين فكرة عن اثـر الرواية في تناقل الكتـاب .

ويـرد في آخر النسب الكبير : « آخر كتاب نسب معـد واليمن الكبير، تأليف محمد بـن السائب الكلبي » (ق ٢ ص ٥٢٨) . وهذا يناقض ما جـاء في مطلع الكتاب وفي ثناياه ؛ وهو غـير دقيق بالنسبة لكتابنا، ولكنه لـه دلالته . فهل وضع الكلبـي كتابـا في الانساب ؟

لقـد درس الكلبي (٧٦٣/١٤٦) انساب العـرب وحاول جمع

الروايات القبلية من نُسّاب القبائل ، ومن افضل نُسّابه في كل قبيلة ، كما افاد ؛ ورجع الى شعر النقائض ، خاصة نقائض الفرزدق . وقد افاد ابنه هشام من دراساته واتهما في وضع كتابه (الدوري ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ٤٠ ـ ١) . ولكن لم ترد اشارة الى كتاب له . الا ان الاشارات في ثنايا الكتاب تشعر بانه وضع كتابا ؛ فقد جاء : « وفي كتاب الكلبي » (ق ١ ص ٧٤٩) و « عن كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » (ق ١/١١٨ أ) ، و « هذا ليس من كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب) ، و « وقال ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي » (ق ١/٦٤ أ ، ٧٠ ب) ، و « عاد الى كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب ، ٧١ أ) و « رجع الى حديث الكلبي » (ق ٢/١٤٢ ، ١٤٤) . هذا اضافة الى اشارات مثل « قال الكلبي » (ق ١/٤٨ ب) التي قد تشير الى الاخذ من كتاب او شفاهاً .

وهكذا يتبين أن محمد بن السائب الكلبي وضع كتابا في النسب (ويبدو ان عنوانه : نسب معدّ واليمن الكبير) ، وان ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع الهجرة (ق١/٢ب). ومن ثنايا الكتاب (ق ١/٦٠ أ : « نسب ولد طابخة بن مضر بن نزار بن معدّ عن الكلبي » ، وفي ق ٢/٨٥ : « وابنه هشام بن محمد بن السائب الراوي عن ابيه ») .

واضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه ، كما يتضح من بعض الاشارات . مثلا : « قال ابن الكلبي : حدثنا خراش قال : سمعت أشياخا لبكر بن وائل يقولون » (ق ١/١٩٤ أ) ، و « قال هشام بن الكلبي ، قال خراش : كانوا .. » ، (ق١/١٧٢ أ) و « قال هشام بن محمد الكلبي ، حدثنا ابو خباب الكلبي عن يحيى بن عروة بن هانيء المرادى .. » (ق ٢/٨٥ ـ ٦) . وعند الحديث عن أم « عايذ بن ثعلبة » يرد « وامه اسماء ، وهي الجذماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة .. وكان شرقيّ بن القطامي يقول : هي الجذماء بنت علبة .. بن عميرة بن اسد . قال هشام :

وهذا من قولـــه باطل لا يعرف ، والقول هو الاول » (ق ١/١٩٥ أ). ويرد ذكر بعض من أخـــذ عنهم ابن الكلبي ، فعند الاشارة الـــى لقيط الرواية يقول ابـــن حبيب :« وكان صدوقا .. وقد لقـــي هشام ابن الكلبي لقيطـــا » (ق ١/١٦٣ ب) ، وعند ذكر العلاء بن المنهال (من غني بن اعصر) يُرِد:« كان شريفا لقيه ابن الكلبـــي وكان يحدث عنه » (ق ١/١٨٩ أ) . وفي ذكـــر مسيك المرادي يرد : « قـــال هشام بن محمد بن الكلبي،حدثنا ابـــو خباب الكلبي ..الخ » (ق ٢/٦) . ويشار الى بعض من لقيهم ابـــن الكلبي،مثل عرفاء بن مصاد بن شريح،« وقد لقيـــه هشام بن الكلبي في زمان أبـــي جعفر وهو ابـــن تسعين سنة،وكان بدويـــا » (ق ١/٢٠٤ أ ، وانظر ق ١/٧٨ أ عن الشاعر ابـــي الشعب) .

وقـــد ترد اشارات الى انساب لم يذكرها الكلبي ، مثـــل « وولـــد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيما .. ولـــم يذكـــر الكلبي ولـــد تيـــم » (ق ١/٢١٥ أ) ؛ و « هؤلاء بنـــو الهجيم بن عمرو بن تميم ، وليس هـــذا عن الكلبي » (ق ١/٩٣ أ) . او تـــرد تعديلات ؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر : « وعبـــد الرحمن بن ابـــي ليلي .. كان مولى الانصـــار، فدخل فيهم ابـــن احيحة،في قول الكلبي ؛ واما ولـــده فقالوا اسمه داود بن بلال بـــن أحيحة » (ق ١/٥٩ أ) .

ويبـــدو أن محمد بن حبيب قـــام ببعض التدقيق أو الاضافة في روايتـــه ونشره لجمهرة النسب ، كمـــا يتبـــين من بعض الملاحظات مثل « قال أبـــو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبـــي، كتبته من بعض ولـــد عطارد » (ق ١/١٦٤ أ) ، ومثل « وكـــان في اصل كتاب الكلبي خلف بن معشر، ولـــم يكن فيه بـــدر وعتبة ، وبدر من كتاب ابـــن الاعرابي (٨٤٦/٢٣١) » (ق ١/٤٧ ب) . وتتكرر الاشارات لأخذه من كتاب ابـــن الاعرابي ؛ « وفي كتـــاب ابـــن الاعرابي محتلم ابن حثابة مكان ليث » (ق ١/٩٠ أ ، وانظر

٤٩ ب ، ٤٨ ب ، ٤٧ ب) ، ومثل قوله « وهو ابو عبد الله بن عنمة . قال ابن الاعرابي قتمة ، وقال الكلبي قثمة » (ق ١/١١٣ ب) .

وينسب الكلبيان الى التشيع ؛ ولا نجد في الكتاب ما يشعر بذلك الا في ملاحظات قليلة عرضية (انظر ق ١/١٧٠ أ ، ٦٧ أ ، ١٨٠ أ ، ١٠٧ ب وخاصة ٢٥٦ أ) وفي الاهتمام بذكر من قتل مع علي ، والحسين ، وفي حركة المختار . ولكن الكتابة تتسم بالدقة والموضوعية بصورة عامة .

٣ ــ ولجمهرة النسب اهمية كبيرة في ذكر الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية الى ايام المأمون (ق ١/٢٠٣ ب ــ ٢٠٤ أ) ، مع تعليق موجز او اشارة مركّزة تبيّن دَور من ظهر في الحقول المختلفة ــ من كان شريفا او سيدا في قومه ، ومن برز في يوم من ايام العرب ، ومن كان فارسا ، ومن وفد على النبي (ص) او صحبه ، ومن استشهد في مغازي الرسول (ص)، خاصة بدر وأحد ، ومن استشهد في الردّة ؛ كما ذكر بعض من قُتل في ايام العرب الكبرى في الاسلام،كالقادسية واليرموك والجمل وصفّين .

ويُعنَى المؤلف بصورة خاصة بالاشارة الى من تولّى مناصب مسؤولة،من امراء وعمّال، وقادة،واصحاب شرط،وقضاة . وهو حريص على ذكر الشعراء في القبائل . وبالاضافة فهو ينوّه بمن تميّز في مجالات اخرى،مثل الخوارج ، ونقباء الدعوة العباسية ؛ وبمن تميّز في حقول الثقافة،كالفقه والنحو والانساب . وهو ينفرد بعد هذا ببعض الملاحظات او المعلومات التي لا تَرِد عند غيره .

ولعلّ امثلة من الاشارات والملاحظات التي يوردها توضح طبيعة اخباره . فمن اخبار الجاهلية ــ امثلة : « منهم سعد بن

خسفان بن ظالم،كان سيد بنـــي سعد في زمانه .. وكان جاهليًّا » (ق ١/٨٤ أ ــ ب) . هوذة ابن علي بن تمامة (من بنـــي سحيم) وكان يجيز البرد لكسرى حتى تبلغ نجران ، فاعطاه كسرى قلنسية قيمتهـــا (٣٠،٠٠٠) درهم » (ق ٢/٣٥) . « ومنهـــم (الازد) السموأل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب ؛ كان من أوفى العرب،وهو صاحب تيمـــاء،وولده بها الى اليوم » (ق ١/٢٤٨ أ) . « وحارثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح ؛ كان على بكر بن وائل يـــوم أوارة ، يـــوم قاتلت بكر بن وائل المنذر بن مـــاء السماء (ق ١/ ١٩٦ أ) .

ومـــن الفترات الاسلامية ــ امثلة : « ابو رحم،وهو كلثوم بـــن الحضين بن عتبة بن خلف .. استخلفه رسول اللـــه في غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينـــة » (ق ١/٤٩ أ) .

« وشرحبيل بن السمط بـــن الاسود .. شهد القادسية ؛ جاهليّ اسلامي ، ووليَ حمص،وهـــو الذي قسمها منازل حـــين افتتحها » (ق ٢/٩١) . « فمـــن بني سعد بن مرة (ذهل) المثنى بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهران » (ق ١/٢٠٠ أ).

« فمـــن بني بهدلة عوف بن حصين،وهو الزبرقان بن بدر .. الذي ادى الصدقة الى ابي بكر في الردّة » (ق ١/٨٩ أ) .

« ان سليمان بن كندير وَلاّه عثمان نجران (من قشير بن كعب) » (ق ١/١٣٦ أ) « منهم (مازن بن منصور) عتبة بـــن غزوان .. الذي فتح البصرة،وكانت يومئـــذ البصرة (كذا) ، وهو الـــذي بصر البصرة » (ق ١/١٥٧ أ) .

« ومـــن بني عمرو بن امرىء القيس .. عامر بن النعمان بن عامر الشرقي،وهو الوليـــد بن القطامي .. النسّابة ؛ كـــان في صحابة المنصور والمهدي » (ق ٢/٤٣٧) وانظر (ق ١/١٦٣) .

« لقيط الرواية وكـــان صدوقا » . « منهم سعيد بن الخنس بـــن عمارة .. وكان فقيهـــا بالكوفة » (ق ١/٨٣ أ) . انظـــر ق ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ق ١/١٠٨ ب) .

« علـــي بن ظبيان بن هلال بن قتادة (غطفان) قاضي القضاة لهُرون الرشيد على الشرقية ، وكـــان ولاّه الخاتم مع محمد بـــن هُرون ، وولاّه قضاء القضـــاة » (ق ١/١٧٠ أ) .

« عبد الله بن الطفيلي بن ثور ، شهد مع علـــي مشاهده .. وهو جـــد البكائي صاحب المغازي » (ق ١/١٤٢ ب) .

« لاهز بن قريظ النقيب بن سرى الكاهن ؛ قتله ابـــو مسلم لقوله لنصر بن سيار : ان المـــلأ يأتمرون بك » (ق ١/٨٥ ب . وانظر ٨٦ أ عن القاسم بن مجاشع النقيب ، و ٨٥ ب عن موسى بـــن كعب النقيب) .

« ابـــو بلال مرداس ،واخوه عمرو ، ابنـــا مدبر بن عمرو .. وأمهما ادية ،وهما الخارجيان » (ق ١/٧٦ ب وانظر ق ٢/٣٤١) .
« راسب بطن منهم عبد الله بن وهب الخارجي ،قُتِـــل يوم النهر » .
اشارات اخرى (ق ١/١٩٨ب ، ١٩٩ ب ، ٢٣٠ب ، ٧٨ب ـــ ١٨٠ أ).

« مـــن ولده (مخنف بن سليم الأزدي) ابـــو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن عنف الراوية » (ق ٢/٣٢٤) .

« شرحبيل بن معدي كرب .. وفـــد الى النبي (ص) وكـــان في الفـــين وخمسئة (من العطاء) » (ق ٢/٩٠ وانظر ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، وانظر ق ١/٨٣ أ عن حجر بن عدي « وكـــان في ٢٥٠٠ ») .

ويشـــير الـــى الشعراء (انظـــر ق ١/٢٠٨ أ ـــ ب ، ٢٠٩ أ ، ٢١١ أ ـــ ب) ، ويورد مقتطفات مـــن شعرهـــم (انظـــر ق ١/١٣٨ أ ، ١٥٣ أ) هي في العادة بين بيـــت وثلاثة ابيات ،وقد تصل الى خمسة او ستة ابيـــات .

ويشير ابن الكلبي الى عدد كبير من ايام العرب في معرض حديثه عن شريف او فارس ؛ مثل قوله : « فمن بني عمرو بن ربيعة هانىء بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يوم ذي قار » (ق ١/١٩٧ أ) . و « منهم عبّاد بن مسعود بن عامر، الذي هاج القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف » (ق ١/١٩٦ أ ــ ب). و « ومن بني عتبة بن سعد .. صاحب مقدمة كليب يوم خزار » (ق ١/٢٢٨ أ) . او ترد الاشارة بمناسبة قتل شريف، مثل « ويزيد (غطفان) قاتل كهف الظلم الغساني يوم جبل فيد » (ق ١/١٧٢ ب) ، او لحادث ذي صلة مثل « ضبيعة بن الحارث بن خلف .. الذي يقول له عامر بن الطفيل، وطعنه يوم النتاءة .. » ق ١/١٨٦ أ) .

ومن الايام التي يشير اليها يوم أوراة (ق ١/١٩٦ ب) ويوم الجلاة (ق ١/١٨٨ أ ــ ب) ويوم جبلة (ق ١/١٧٨ ب ــ ١٢١ أ) ويوم الذنايب (ق ١/٢٢٦ ب) ، ويوم الكلاب (ق ١/١٣٠ب ، ٢٢٧ب ، ق ٢/١٨١) ، ويوم قصة (ق ١/٢٠٧ب)، ويوم اللصاف (ق ١/١٩٧ أ ــ ب) ، ويوم التحالق (ق١/١٩٦ أ)، ويوم النجير (ق ٢/١٠٤) ، ويوم الاجفر (ق ٢/١٥٥) ويوم صفاق (ق ٢/١٨٥) ، ويوم فيف الريح (ق ٢/١٨٨) ، ويوم الآخرين (ق ٢/١٩٠) ، ويوم الزرم (ق ٢/١٩٠) ، ويوم بعاث (ق ٢/٢٦١) ، ويوم عين التمر (ق ٢/٦٢) ، ويوم النفار (ق ٢/١٦٣) ، ويوم الكلاب الثاني (ق ١/٩٨ أ) ، ويوم القريتين (ق ١/١٢٤ أ) ، ويوم الحاجر (ق ١/١٣٣ أ) ويوم الرقم (ق ١/١٢٢ ب) ، ويوم النحيل (ق ١/٢٣٠ ب) ، ويوم المذيار (ق ١/١٣١ أ) ويوم ذي علق (ق ١/١٢٢ ب ــ ١٢٣ أ) .

ويتناول الكثير من شؤون القبائل ، فيورد ملاحظات عن دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة اخرى ، وبذلك يعدل من النظرة بأن النسب كله لأب واحد ، سواء أكان هذا الدخول

لاسباب قبلية او معاشية او سياسية . فعنـد الحديث عن نسب اياد بن نزار يقول،« وولد زهير بن اياد حذاقة والشلل دخـل في تنوخ ، وعبد الله دخل في بني تميم ، وعمرا دخـل في بني الصم » (ق ١/٢٤٢ ب) . ويذكر عن ولـد ربيعة بن نزار : « واكلب دخل في خثعم ، وهـم رهط طائش بن حراك الشاعر ، .. وعابسة وهـم باليمن » . ثم يقول « واماضنة فانهم دخلوا في بني عذيرة بن سعد بن هزيم بن قضاعة » (ق ٢/٥) . وعنـد الحديث عن فزارة بن ذبيان يقول ، « ومنهـم بيهس واخوته التسعة .. لحقوا ببطن من مذحج .. وهـم اليوم ينسبون في عنس بن مالك بن مذحج » (ق ١/١٧٦ أ) . وعنـد الحديث عن جذام يقـول: « فولـد اسلم بن مالك عنب ، وهـم اليوم في بني شيبـان » (ق ٢/١٣٣) . وعند ذكـر سعد العشيرة يقول:« وولد زيد الله ابن سعد العشيرة،عامر واشرس والديل وعوف ، فدخـل اشرس والديل وعوف في بنـي تغلب ، واقام عامر بن زيد الله علـى نسبه،فمنه تفرقت زيدان » (ق ٢/٢١٦) . وعند الحديث عـن قبائل الازد يقول:« فولد بكر بن يشكر عامر .. وسعد وعـوف والحارث .. دخلوا في بني زبيـد » (ق ٢/٣٣٧ وانظر ق ١/١٨٣ أ . وانظر الحديث عن قيس عيلان ق ١/١١٩ ب ، وعن دخول بنـي عمرو بن جنحود،مـن حضرموت،في تميم . انظـر ق ١/٨٨ أ ، وانظـر ق ١/٨٧ ب) .

واذا كانت هـذه المعلومات تكشف عن بعض التداخـل في النسب لاسباب سياسية او اجتماعية،فانها تؤكـد الاهتمام بالنسب ورصده بتدقيـق المعلومات عن الانسـاب .

ويذكـر ابن الكلبي معلومات اجتماعية عن اسماء القبائـل وعاداتها وتقاليدها ، وبعضها لـه اهمية خاصة . ففي اسمـاء القبائل يذكر مثلا سبب تسمية اعصر (بن سعد بن قيس عيـلان ق ١/١٦٥ أ ـ ب) ، ويوضح ظروف تسمية ابنـاء تميم (زيد ، مناة ،

عمرو ، الحارث)(ق ١/١٩٥ أ) ، وسبب تسمية الرباب بهذا الاسم وما يشمله (ق ١/٩٦ ب ــ ٩٧ أ) .

وهو يركز معلوماته أحيانا ، ففي قصة حوار مع تميمي من فخذ بني عبد الله بن دارم ، يرجع نسب الاسرة في تدرج متسلسل، مع وصف كل خطوة،حتى ينتهي الى مضر (ق ١/١٩٥ أ ــ ٩٦ ب) .

ويشير الى بعض الأعراف القبلية ، فيتحدث عن نوع من القسم ؛ قال خراش،« كانوا يحلفون بالملح والرماد والنار، وبذات الودع ، يريدون سفينة نوح » (ق ١/١٧٢ أ) . وعند ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يد اخيه معاوية يضيف : « فوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الابل ، وانما جعلها مئة لعظم الابل عندهم ليتناهوا عن الدمار ، فهي اول دية كانت في العرب مئة من الابل حكم عامر بن الظرب حكما جاريا » (ق ١/١٢٠ أ) . وعند ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة (من خزاعة) يقول : « وهو الذي بحر البحيرة،وسيّب السائبة،ووصل الوصيلة،وحمى الحامي،وغيّر دين اسماعيل ، ودعا العرب الى عبادة الاوثان » ، « وكان صاحب الكعبة » (ق ٢/١٩٥ ، ١٩٩) ؛ وعند الحديث عن حجر بن يزيد بن معدي‌كرب بن سلمة (من بني سلمة بن الحارث) يسميه « صاحب مرباع بني هند » ، ويضيف ، « والرباع أن يأخذ الربع من الغنيمة ، وعليه طعام الجيش لأخذه الرباع » (ق ٢/١٠٦) .

ويورد ابن الكلبي معلومات طريفة ، فيتناول مثلا المغتربات من بني هاشم ، أو اللواتي تزوّجن في قبائل أخرى ، مثل الانصار وخزاعة وعامر بن صعصعة وآل معدي كرب،من حمير والقين وسليم ولخم وغزارة ؛ وهو استطراد يبين سَعة الروابط القبلية لقريش،ويؤكد ما قيل في السقيفة من ان قريشا اوسط العرب انسابا (ق ١/١١٥ ب وما بعدها) . ويذكر ان قيسا

(من ولـد منبه بن بكر بن هوزان) وهـو ثقيف كان « أول مـن جمع بين اختين من العـرب » (ق ٢/١٥٣) .

ويقـدم ملاحظة عن بدايات الخـط العربي في الجزيرة،في معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك،اخ اكيدر (في دومة من كلب) اذ يقول،« وهو الذي علّمـه اهل الانبار خطًا ، هذا الذي يسمى الجزم،وهو كتاب العربيـة ؛ وكان اول من كتبه قوم من طي ببقة، فعلّموه اهـل الانبار ، فعلّم اهل الانبار اهل الحيرة ».وكـان بشر بن عبد الملك يأتي الحيرة بحال النصرانية فيقيم بهـا الدهر، فتعلمه بشر بن عبد الملك.ثـم شخص الى مكـة في تجارة فعلّمه ابـا سفيان بن حرب بن امية ــ وابـا قيس بن عبد مناف بـن زهرة،وتزوج الصهباء بنت حرب بن اميـة ، ثم اتى الطائف فعلمه غيلان بن سلمة الثقفي ، ثـم اتى بادية مضر فعلمه عروة بن زرارة الكاتب،ثم اتى الشام فعلّمهـم » (ق ٢/١٢٦) .

ويورد ابن الكلبي احيانـا معلومات عن مواطن القبائل ؛ فعند ذكـر بني أسود بن مالك (بطن من بني مالك بـن ثعلبة) يقول انهم « أصحاب النخـل باليمامة الذي يصرم في السنـة مرتين ، دعا لهـم النبي (ص) » (ق ١/٢٢٥ أ) . كما يـورد اشارات الى انتقال القبائل الـى الامصار ؛ فعند الحديث عـن عشائر الازد يقول،« وآل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقـال لهـا عين حرما » (ق ٢/٣٤٢) . ومكّنته معرفته بالكوفة مـن تعداد الكثير من العشائر والبطون التي اقامت بها ولها مسجـد ، وقائمته مهمة وغنية . ومن هـذه : ذهل بن معاوية (من كندة) لهـم مسجد (ق ٢/٨٨) ، وامرؤ القيس بـن الحارث (بطن من كندة) (ق ٢/٨٩) ، ومالك بن الحارث ، والطمح بـن الحارث (ق ٢/٨٩) وامرؤ القيس بن معاوية بن عدي (بطن (ن . ص) ، ومالك بن ربيعة (بطن) (ن . ص) ومالك بن ربيعة (بطـن) (ق ٢/٨٩ ــ ٩٠) ، وجبلة بن عدي بن ربيعة (بطن) والحارث بن

عدي (ق ٢/٩٠) ، ومرة بن حجر بن عدي بن ربيعة (بطن) (ق ٢/٩٢ كندة) ، وعمرو بن ربيعة من ولد وهب بن ربيعة بن معاوية (بطن) ، وابو الخير وهب (بطن) (ق ٢/٨٥ كندة) ، والارقم بطن من ولد نعمان بن عمرو (ق ٢/٩٦ كندة) ، وشجرة (بطن) من ولد معاوية بن ربيعة بن وهب (ق ٢/٩٨) . ومن البطون الاخرى التي لها مساجد،سلمة وهو الحر (بطن) من ولد عمر بن ابي كرب (ق ٢/١٠٣) ، وبهدلة (بطن) من ولد المثل بن معاوية (ق ٢/١٠٣) . وفي الحديث عن النخع بن عمرو يشير الى بطني جذيمة وحارثة،ولكلٍ مسجدٌ بالكوفة (ق ٢/١٩٤) . ويذكر بني مسلية (بطن) من بني الحارث بن كعب ولهم مسجد (ق ٢/٩٣) ويذكر من بجيلة قيس وأوس وعود،لهم بالكوفة مسجد،وعدادهم في قيس (ق ٢/٢٤٦) . ويتحدث عن ولد معاوية بن ثعلبة فيذكر زبان « بطن بالجزيرة »،ويضيف « وبالكوفة اهل بيت وملك وهو تراغم بطن،وبرعم بطن،لهم بالكوفة مسجد » (ق ٢/١٢٨ ـ ٩) . وهكذا يعطي صورة عن بطون اليمانية بالكوفة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتحدث عن اتجاه قبائل سبأ في خروجها،ويضع خبره في اطار حديث ينسب للرسول ، فيذكر ان سبأ ولد عشرة،فتشامّ اربعة،وتيامَنَ ستة ؛ فالذين تشاموا:غسان ولخم وجذام وعاملة ، والذين تيامنوا:حمير والازد ومذحج وكندة والاشعر وانمار ، الذين منهم بجيلة وخثعم (ق ٢/٨٥ ـ ٦ ، وانظر ق ٢/٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقة عن حركة اليمانية .

وختاما يمكن القول ان ابن الكلبي يعطي تعليقات سريعة مع الاسماء ، ويورد احيانا ملاحظات اوفى ؛ وهي في مجموعها تعطي فكرة شاملة عن القبائل ورجالها البارزين في الحقول المختلفة .

هـذه الملاحظات واسعة نسبيا لاعطاء فكرة شاملة عـن دراسات الكلبيين ، التـي تناولت عرب الشمال وعرب الجنـوب، ولان الكتاب لم ينشر ، ولا بـد من التنويه بجهود كاسكل ، فـي تحويل الكتاب الـى جداول ، وفي مقدمته المسهبـة .

(W. Caskel - Gamharat An-Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al-Kalbi, 2 vols. Leiden 1966).

٤ ـ ومن الاوائل في دراسة الانساب مصعب الزبيري (٢٣٣ ـ ٨٤٧/٦ ـ ٥٠) وهـو من آل عبد الله بن الزبير ، وكان عالمـا بالانساب . ولم يصلنا من كتابيـه « النسب الكبير » « ونسب قريش » الا الثاني . وتـدل استشهادات المؤرخين، كالطبري والبلاذري وابـي الفرج الاصفهاني، على اهمية هـذا الكتاب ؛ وهو افضل مـا وصل الينـا من نسب قريش .

وتشعـر خطة الكتاب بوجود اطار مستقر للنسب، اتّبعـه معاصرة ابـن الكلبي ومن جاء بعده . ويبـدو ان مصادره واسعة ؛ فقد افتتح كتابه بالاخـذ من الزهري ، « قال محمـد بن شهاب الزهري » (ص ٣) . واخـذ من مؤلفات تاريخية، مثل قولـه: « قـال الواقدي .. في بعض اسناده » (ص ٢١٩) ، أو « ذكـر موسى بن عقبة عن ابـي حبيبة » (ص ١٠٣) . ورجع الـى اهـل النسب كما يبدو من قوله « واجمع اهـل النسب لاختلاف بينهم » ، أو « قـال بعضهم » (ص ٤) . وافـاد كثيرا مـن روايات في النسب والاخبـار ، شفوية ومكتوبة كقوله « سمعت ابـي ، عبد الله بن مصعب ، يقول » (ص ٢٩٦) و « حدثني حماد ابن عضيل بن فضالة بن رواد الليثي ، وكان حماد قد بلغ مئـة سنة وسنتين (ص ٢٤١ مشيرا الـى سِنّه ليؤكد اتصال الخبـر) ؛ وقوله « واخبرني بهذا الحديث مصعب بـن عثمان بن نوفل بن عمارة » (ص ٣٣٩) ، و « حدثني عبد الله بن محمـد بن يحيى بن عروة بن الزبير وغيره » (١٠٩) ، و « اخبرنـا سليمان بن

عيّاش السعدي قال » (ص ٢٢٩) . وأخذ عن ابي الزناد ، مثل « قال ابو الزناد » و « ذكر ابو الزناد » (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

وقد يأخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة ، مثل قوله: « وحدثني بعض من يعلم » (ص ٣١٤) و « وأُخبرت عن هشام ابن يوسف الصنعاني عن معمر » (ص ٢٣٩) ، و « أخبرني من قرأ في ديباج كسوة الكعبة » (ص ٢٣٩) و « وذكر ان ابا موسى الاشعري ذكر » (ص ١٠٢) . ويأخذ عن جماعة كقوله: « قالوا » (ص ٨١) على طريقة الاسناد الجمعي . وكل ذلك يدلّ على جهده الواسع في دراساته وفي جمع أخباره . ومع ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري ان يتوسع في ذكر المصادر، مع وجود دراسات قبله، مثل دراسات الزهري وابي اليقظان ، ومع وجود نسّابين ، بالاضافة الى ديوان الجند .

ولا بد من ملاحظة أولية هي أن مصعب الزبيري اغنى كتابه بمجموعة طيبة من الاخبار والشعر ، فتجاوز خطة الملاحظات المركّزة التي اخذ بها ابن الكلبي .

٥ ــ يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحوّلات في الانساب، بذكر النسب الصحيح وما اتجهت اليه بعض القبائل ؛ ولعل التمثيل مفيد هنا ؛ فيذكر أن عك (الحارث) من ولد عدنان بن اد ، ويضيف « فكل من بالمشرق من عك ينتسبون الى الازد .. وسائر عك في البلاد وفي اليمن ينتسبون الى عدنان بن اد » (ص ٥) .

ويبين أن من ولد مَعَدّ بن عدنان قضاعة (ونزار)، ويضيف : « وقد انتسبت قضاعة الى حمير، فقالوا: قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ .. وزوروا في ذلك شعرا » . ويستطرد الى تأكيد ذلك بقوله: « واشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدلّ على أن نسبتهم في معدّ » (ص ٥) . ويورد ملاحظة عامة

عن ربيعة ومضر ويقول :« وكـــان يقال ربيعة ومضر الصريحـــان من ولـــد اسماعيل، فدخل من كان منهم بالعراق في النخع،ومـــن كان منهم بالشـــام على نسبهم في نزار » (ص ٦) . ويذكـــر ان بجيلة من انمار بن نزار، وانهـــم « انتسبوا الى اليمن،الاّ من كـــان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى انمار بن نزار » (ص ٧) . وعند ذكر خزيمة بـــن يشكر يقول « وقـــد انتسبوا في الازد ، ومنهم خثعم،وهو اقبل بن انمار بن نزار .. وهـــم بالسراة على نسبهم الى انمار بن نزار ؛ واذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبـــين حضرموت ، كانت خثعم مع اليمن على مضر » (ص ٧) . ويتبـــين من هذه الاشارات انتساب قبائـــل من عدنان الى اليمن ، ممـــا يُشْعِر بتحركها جنوبا قبل الاســـلام ؛ فالاشارات اليها في الفتوح وبُعْدَها تعتبرها يمانيـــة . وقد كان مألوفا في اليمـــن دخـــول عشائر او مجموعات في انساب غيرهـــا،لضرورات زراعيـــة او سياسيـــة .

ولعـــل اهـــمّ ما في نسب قريش انـــه يجمع بين الانساب والاخبار التاريخية والادبية ؛ فهـــو يورد معلومات واخبارا عـــن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي الى زمن الرشيـــد ، واحيانا المأمون (ص ٢٢٨ ، ٢٧٢) ، اي الـــى عصره .

واخبـــاره احيانا وافية ومهمة ؛ وقـــد يتوسع فيها الـــى ما يقرب من ترجمـــة شاملة ، مثل اخباره عن ابن عباس (ص ٢٦ ــ ٧) ، وعن عبد الله بن جدعان (ص ٢٩١ ــ ٧) ، وعـــن الحكم بن المطلب (ص ٣٣٩ ــ ٣٤١) ، وعن خالد بن الوليد (ص ٣٢٠ ــ ١) ، وعن عبد الله بن عامـــر (ص ١٠٧ ــ ٩) .

ويأتـــي احيانا بملاحظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات (مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ ــ ٤٠ وانظر ٢١٨) بصدد اشتراكهـــا في احداث هامة ؛ وهي اقرب الى روايات كتـــب الادب ، ولكنها

على سعتها لا ترقى الى ترجمـــة (مثلا حركة زيد بن علي ص ٦٠ ــ ١) . وقد يكتفي المؤلـــف بمجرد اشارة موجزة او طويلـــة الى حدث (انظر ص ٢٢٠ ــ ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٢٢) .

وهـــو يلتفت في اخباره الى جوانب المروءة، فيهتم بصفات الشجاعة وبالاستشهاد وبالكرم (انظـــر مثلا ص ٣٣٨ وما بعدها ، ص ١٢٧ ، ص ١٤٧ ــ ٩) . ويتحدث عن اخبار بعض القضـــاة (مثلا ص ١٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢) ؛ ويشيـــد باستقامة البعض وصلابتهم عند عرض اخبارهم (مثلا محمد بن عمران ايـــام المنصور ص ٢٨٤ ــ ٥) .

ويعطي الزبيري معلومات اجتماعية مهمـــة تتصل بالمصاهرات وبالعلاقات الاجتماعية ؛ ويُشْعِر باهمية المـــراة وبدورها (انظـــر مثلا ص ٣١٣ ــ ٣١٤) ، كما يعطي اخبارا وافيـــة عن بعض السيدات ؛ ولهذا دلالته (مثـــلا صفية بنت عبد المطلب ص ٢٣٠ ، واميمة بنت عبد بن بجاد ص ٢٣٢ ــ ٣) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتميـــز الزبيري ، اضافة الى امانته ، بانـــه يعطي احيانا اخبارا لهـــا اهمية خاصة ، وقد ينفرد ببعضها ؛ ففي الاشـــارة الى وجز بن غالب يذكر انـــه « اول مَن عبد الشعرى » ، وانـــه كان سيدا في خزاعة، ويضيف « ووجز هو ابـــو كبشة، الذي كانت قريش تنسب رسول اللـــه (ص) اليه ؛ والعرب تظن ان احـــدا لا يعمل شيئا الابِرْق ينزعه شبهه ؛ فلما خالف رسول اللـــه (ص) ديـــن قريش قالت قريش، نزعه ابـــو كبشة ، لان ابـــا كبشة خالف الناس في عبـــادة الشعرى .. » (ص ٢٥١ ــ ٢) .

ولعلـــه ادق من يكشف النظرة الداخلية لمـــروان للسفيانيين في فترة معاوية، وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان بن عفان ، اذ قال لـــه: « ما اخذ هؤلاء ــ يعني بني حرب بن امية ــ

الخلافة الا باسم ابيك فما يمنعك ان تنهض بحقك ، فنحن اكثر منهم رجالا ... » ، وعدّد رجالهم ثم اضاف : « ومنا فلان وهو فضل ، وفلان فضل ، فضول رجال ابي العاص على رجال بني حرب » . ثم يورد ردّ معاوية على مروان ، وفيه « اشهد يا مروان اني سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا،ودينَ الله دخلا،وعباد الله خَوَلا . والسلام » . وهو قول اشتهر فيما بعد دون المقدمات (انظر ص ١٠٩ — ١١٠) .

ولعل من اطرف ما اورده دور العرفاء ايام معاوية في المدينة،في بدء ولاية عاصم بن ابي هاشم بن عتبة . يقول: « وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ اعطيتهم ويدفعها اليهم . فحبس عاصم اعطية الناس وقال : يأتيني اهلها فأدفع الى كل رجل عطاءه في يده . وكانت العرفاء يأخذونها،فلا يغيبون غائبا،ولا يميتون ميتا،ويصدقون اهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا ؛ فأراد عاصم أن يصلح الديوان فلا يعطون غائبا ولا ميتا ، ويأتيه اهل العطاء فيدفع اليهم اعطيتهم وقد عرفهم ؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب ، وامتنعوا من اتيانه .. » (ص ١٥٤) . وهو نصّ يَدُلّ على تلاعب العرفاء وقبائلهم في دفع العطاء ليحصلوا على اكثر مما يحقّ لهم ، كما يبين وظيفة العرفاء واهمّيتهم .

ويكثر في الكتاب ايراد المقطوعات الشعرية والقصائد ، التي قيلت في مناسبات ، او تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر (انظر مثلا ص ٢١٦ — ٧ ، ٢٣٢ — ٣ ، ٣١٤ — ٥ ، ٣٢٤ — ٧) .

٦ — اما انساب الاشراف للبلاذري ، ففيه دراسة شاملة للتاريخ العربي الاسلامي،ومجموعة كبيرة من التراجم في اطار خطة النسب .

ويبـــدو أن تنظيم خطة الانساب لديه ولدى من سبقه يتمشّى مع تنظيم ديوان المقاتلة ، ابتداء بآل الرسول، ثـــم الاقرب فالاقرب . فهو يبـــدأ بالسيرة (ق ١ ص ٤٠ ــ ٢٧٨) بعد أن يمهّد لهـــا بمقدمة في أنساب العرب ليصلها بأجداد الرســـول، وبتاريخ قريش قبل الاسلام (ق ١ ص ١ ــ ٤٠) ، يليها ابـــو طالب وأولاده (العلويون) (٢٩٠ ــ ٥٢٦) ، والعباس بـــن عبد المطلب وأولاده (العباسيون) (٥٢٦ ــ ٦٧١) ، وأميّة بن عبـــد شمس (الامويون) (٦٩٠ ــ ١١٩٦ ، و ق ٢ - ١ ــ ٤١٥) ، وبقيـــة قريش (ق ٢ ٤١٥ ــ ٦٩٧) وبقية مضر (ق ٢ - ٦٩٧ ــ ١٢٦٨) . وهكـــذا خصص للسيرة حوالي $\frac{١}{١٠}$ مـــن الكتاب، ومثل ذلك للعلويين ، وخصّص للأمويين حوالي $\frac{١}{٤}$ الكتـــاب، وللعباسيين حوالـــي $\frac{١}{١٦}$ منه، ولبقية مضر اقـــلّ من ربعه .

لقـــد تناول البلاذري في كتابه قبائل مضر، الا القليل منهـــا، (مثل كلاب ، هلال ، قشير) ولـــم يتناول ربيعة واليمن؛ وان وجد ما يدل على أن دراسته تجاوزت مـــا في الكتاب، الا انـــه توفي قبل أن يتـــم كتابه (حاجي خليفة ١/٢٧٤ . وفي تـــاج العروس اشارات اليه تتعلق باليمـــن) .

تنـــاول البلاذري العباسيين بتوسع الى ايـــام المنصور ، وأوجز في أخبار المهدي والرشيد (ق ١ ص ٦٦٧ ــ ٦٧١) ؛ وهذا يسترعي الانتبـــاه اذا تذكرنا معاصرة البلاذري للعباسيين مـــن ايـــام المأمون الى ايـــام المعتمد (ت ٢٧٩ هـ) ، وصلتـــه بالخلفاء العباسيين من المتوكـــل (٢٤٧ هـ) الى المعتز (ت ٢٥٥ هـ) . فهل التزم البلاذري بالتوقف عنـــد حدود المعاصرة ؟ ان شيخـــه المدائني تناول التاريخ العربي الى ايـــام المعتصم ، وان بعـــض معاصريه، كخليفة بن خياط واليعقوبي والبسوي (٢٧٧ هـ) والطبري، تناولوا هـــذا التاريخ الى فترات تالية بين الواثق (ت ٢٣٢ هـ) والمكتفي (ت ٢٩٥ هـ) . أم أن البلاذري سار على هيكل اهـــل

النسب مثل مصعب الزبيري وابـن الكلبي ؟ لقد بـدأ تقليص العرب في الديـوان منذ قدوم العباسيين،ولكن هذا لم يحصـل جديا الا ايـام المأمون ، ثم جـاء المعتصم فأسقط العـرب من الديوان . وهذا يعنـي أن تسجيل المقاتلـة العرب انتهى في مطلع فترة المعتصم،ممـا يجعل التوقف في اطار الانساب طبيعيـا في الهيكـل والتدرج .

وتبـدو ميزة أنساب الاشراف في انـه قـدم تاريخا للأشراف العرب في مختلف الحقول ، مـع تاريخ الخلافة ؛ وهو نسق فريد في سعة افقـه وشموله .

٧ ـ وقـد أفـاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متعددة ـ مـن اساليب كتب الطبقات،وكتب الاخباريين،اضافة لكتب الانسـاب . ولئن كان هيكله هو اطـار الانساب،فان عناوينه الفرعية للأحداث الهامة في فترة كـل خليفة،تذكّر بعناوين كتـب الاخباريين ، في حين أن تناوله للسيرة ولترجمـات الاشراف متأثر بخـط التراجم والطبقات . ويلاحظ بين أساتذته المدائنـي (٨٣٩/٢٢٥) شيـخ الاخباريين ، وابـن سعد (٨٤٤/٢٣٠) صاحـب الطبقات ، ومصعب الزبيري وابـن الكلبي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افـاد البلاذري من كتب الاخباريين ، خاصة ابـي مخنف (برواية ابن الكلبي أو مباشرة من كتبـه) وعوانة بن الحكم ، وبصورة واسعة مـن المدائني مصدره الاول عن الخلفاء (بالاخذ عنه مباشرة أو بالنقل من كتبـه) . ومن دراسات أصحاب المغازي في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابـن اسحاق والواقدي وكاتبه محمد بن سعد ، كما افـاد من اهل الانساب ، خاصـة ابـي اليقظان ومحمد ابن السائب الكلبي،وابنـه هشام،ومصعب الزبـيري .

واضـــاف البلاذري بحوثه ودراساته بالاخذ مـــن شيوخـــه ومن روايات شفوية اخرى ، وافـــاد من اسفاره في جمع روايـــات محلية موثقة من اشيـــاخ المـــدن التي زارها في الشام والثغـــور والمدينة، اضافة للمـــدن العراقية .

والبـــلاذري يدقّق مصادره ، ويفاضل بين الروايات، ويبدي رايـــه احيانا لتوثيق رواية . وقـــد يورد صورا لرواية باسانيـــد مختلفة لاظهار مجال الخلاف ، ولكنـــه كثيرا ما يأخذ معلوماته مـــن مجموعة مصادر ليعطـــي خبرا متصلا . ويبـــدو ان النظرة الى المؤرخين السابقين (من اخباريين ، واصحـــاب مغازي، وطبقات، وتاريخ، ونسّابين) استقرّت في عصره ومكّنتـــه من ذلك . وهنـــا يختلف البلاذري عن الطبري في اسلوبـــه التاريخي ؛ فبينما يعتمد الطبري اساسا احـــد مصادره في صدر الاسلام (كابن اسحـــق في السيرة، او ابـــي مخنف في الثورات العلوية) ثـــم يضيف روايات فردية ليعطي معلومات مكمّلة او مباينـــة ، يبني البلاذري قاعـــدة معلوماته على ما هو مقبول لدى مجموعة من المؤرخين ليعطي اخبارا يبداها بـــ (قالوا) ، ثم يورد روايات مفردة ليتـــمّ اخباره ، وهو اسلوب بالـــغ الاهمية في فهـــم البلاذري . وفي حين يركّـــز الطبري على المدرسة العراقية في اخباره ، يبـــدو البلاذري اكثر استفادة من مدرسة المدينة خاصة في احـــداث الفتوح والاحداث التي تتّصل بتاريخ الأمـــة في الفترات الاولى ؛ كما انـــه يعطي اهمية خاصة لروايـــات المنطقة التي وقع فيها الحادث، ويتمّهـــا بروايات اخرى خارجيـــة .

ويدقـــق البلاذري في ايراد التواريخ والارقام ، ويراعي التسلسل الزمني في كتابـــه، الا حيث يقتضي هيكل النسب التقديـــم والتأخير (مثـــلا معاوية قبل عثمان ، وترجمة عمر بن الخطاب متأخرة) . وعنـــد حديثه عن كل خليفة يتناول ما وقع في عهده من احـــداث ،

كما يعنى بفعاليات الاحزاب السياسية ، وخاصة الخـوارج ؛ وهو افضل المصادر عنهم واوفاهـا في صدر الاسلام ..

ان ثقافـة البلاذري ، كما يبدو من مصادره وشيوخه، ومن اشتغاله بالترجمة، ومن مواهبـه الشعرية ، تشير الى انـه جمع بين الاهتمام بالدراسات العربية والاسلاميـة، وبالثقافات الاجنبية؛ هذا مع تركيزه على احوال العـرب ودورهم التاريخي في الاسلام ؛ وهو لذلك يبدي اهتمامـا بالنواحي الاجتماعية والثقافية والادبية في اخباره، ويتوسّع فيمـا يورد من مقتطفات شعرية، وإن تحاشى ايراد القصائد المطولـة .

وليس هـذا مجال تحليل كتابه الضخم ، بـل يكفي ايراد ملاحظات موجزة (خارج تاريخ الخلفـاء) .

٨ ــ ان ميـزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي في كون انساب الاشراف تاريخـا للأشراف العرب في تراجمهم، كلّ في موقع نسبـه ؛ وهو بذلك يعبّر عن اتصال هـذا التاريخ ، ويرى في الاشراف مركز الاهميـة من هذا التاريخ ، ويعبّر عـن النظرة الاجتماعية لهـم عند العرب . وهو، في تراجمه وما يقدّمه من اخبار وآثـار، معجم ضخم للتراجم العربية (يشبه المعاجـم الوطنية الكبرى الحديثة) . وبعض تراجمـه واسعة تسترعي الانتباه، مثل ترجمته للأحنف بن قيس (ق ٢ ص ٩٩٤ ــ ١٠١٠) وللحجاج (ق ٢ ص ١٢١٧ ــ ١٢٥٨ اضافة لاخباره ايـام عبد الملك والوليد) ، ولبعض الفصحاء والشعراء، مثـل النابغة الذبياني (ق ٢ ص ١٠٩٣ ــ ٦) وأكثم بن صيفي (ص ١٠٧٣ ــ ١٠٨٣) والفرزدق (ص ٨٧٦ ــ ٨٩٥) وجرير (ص ٩٤٧ ــ ٩٦٢) وخالد بن صفوان (ص ٩٧٧ ــ ٩٩١) . وقـد يفيض في الترجمة اكثر من المعنيّين بحقـل الاختصاص، كما في ترجمته لابي الاسود الدؤلي (ق ٢ ص ٧١٠ ــ ١٣)، وهو بذلك يكشف جانبـا من اهتماماته الادبيـة .

وفي انســـاب الاشراف ثروة من الاخبار عن المسلمين الاولين ، فيذكر في كل ترجمة دخـــول الشخص في الاسلام، ومزاياه، ودوره، ومواقفه، واخبـــاره الخاصة ؛ وهي ترجمات مسهبة عادة ، وتختلف اهمية كل منهـــا حسب دور المترجـــم لـــه .

ويُعْنَـــى البلاذري بأمور القبائل في اطارها لنسبها ، فيقدّم معلومات واسعة عن قريش قبل الاســـلام وبعده، بتفاصيل لا تَرِد عند مؤرخ آخـــر ؛ وينبّه الى امور طريفة (مثلا في حديثه عـــن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقـــول : « قيل ما ساد قريش مُمْلِق غير عتبة وأبي طالـــب » (ق ٢ ص ٤٠٧ ، وانظـــر اخباره عن محاولة عثمان بـــن الحويرث أن يترأس في قريش، ويرتبط بقيصر الروم (ق ٢ ص ٤٨٨) ، ومثـــل اشاراته للايلاف (ج ١ ص ٥٩ ــ ٦٠) .

ويهتـــم البلاذري بأيام العرب، ويعطي معلومات مركّزة ومهمة عن مجموعة منها، مثل يـــوم ذي نجب (ق ٢ ص ٩٢٤ ــ ٦ ، ٩٠٣ ــ ٤) ، ويـــوم غبط المدرة أو صحراء فلج (ق ٢ ص ٩٢٥) ويـــوم قحقح (ق ٢ ص ٩٢٦) ويوم ذي طلوح (ق ٢ ص ٩٢٨ ــ ٩٣٠) ، ويوم المروت (ق ٢ ص ٩١٨ ــ ٩) . وداحس والغبراء (ق ٢ ص ٩٣٤ ــ ٥) ، ويـــوم القريتين (ق ٢ ص ٨٣٠ ــ ١) ، ويـــوم بزاخة (ق ٢ ص ٨٣١ ــ ٢) ويوم النسار ويـــوم الجفار (ق ٢ ص ٧٣٨) ، وأيـــام الفجار ويوم ذات نكيف (ج ١ ص ٧٥) ويـــوم نخلة (ج ١ ص ١٠١ــ ٢) ، ويـــوم شمطة (ج ١ ص ١٠٢ ــ ٣ و ق ١ ص ٧٠٠) ، ويـــوم الحريرة أول أيـــام الفجار (ق ٢ ص ٧١٩) ، ويوم نطاع (ق ٢ ص ٨٣٥) ويـــوم الشيطين (ق ٢ ص ٨٤٥) ويـــوم جبلة (ق ٢ ص ٨٥٢ ــ ٣ ، ٨٥٧) ويـــوم اوارة (ق ٢ ص ٨٦٦ ــ ٧) ويـــوم قشاوة (ص ٩٤٠) ويـــوم الكلاب الاول (ق ٢ ص ٨٩٧) ويـــوم الكلاب الثاني (ق ٢ ص ٧٩١ ــ ٢ ، ١٠٢٣) . هـــذا، وترد اشارات أكثر ايجازا لايام اخرى (مثل يوم

خـــو(ق ٢ ص ٨٦٠) ويوم الهباءة (ق ٢/١٠٢٣) ويوم رحرحان (ق ٢ ص ٨٦٣) ويـــوم الغبيط (ق ٢ ص ٩٤٣) ويـــوم سلمان (ق ٢ ص ٨٧٣) .

وهـــو يورد مقتطفات في مواضع عـــدة من نقائض جرير والفرزدق (انظـــر ق ٢ ص ٩٣٤ ، ٩٤٠) . ويلاحَظ ان البلاذري حاول الافادة من اكثـــر من مصدر في اخبار الايـــام (انظر ق ٢ ص ٩٢٥) وفـــق اسلوبه ، ولكن يبدو ان جـــلّ اعتماده كان على محمد بن السائب الكلبي وابنـــه هشام (ق ٢ ص ٩٤١ ، ٨٦٧) ، وهو قليل الاشارة الى ابـــي عبيدة (ق ٢ ص ٩٤١) . وقـــد يأخذ عن راوية من البـــدو (مثل مراش بن اسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧) أو يكتفي باشارة عابرة (مثل « قـــال بعضهم ق ٢ ص ٩٢٤) . وهكذا يحفظ البلاذري روايات مبكّرة عن الايـــام توازي روايات محمـــد بن حبيب (عن أبـــي عبيدة) ، ولهذا اهمية خاصة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتحـــدث البلاذري عن الشؤون المختلفة للقبائل قبل الاسلام ، من غزوات اعتيادية (مثل غارات بنـــي ثعلبة بن يربوع على بني اسد (ق ٢ ص ٧٣٥ ــ ٦ ، وانظر ٩٣٠ ــ ٢) ، الى احلاف (مثـــل حلف قريش مع الاحابيش وظروفه ق ٢ ص ٧٢٢ ، ٧٢٨) ، او محاولات ثـــأر مهمة (مثل مقتل حُجر بن عدي على يـــد بني اسد ، ومحاولات امرىء القيس للثأر ق ٢ ص ٧٤٠ ــ ١) او شـــؤون أخرى مثل الاتفاق على جعل ولايـــة الموسم والافاضة بالناس الى بني تميم (ق ٢ ص ١٠٢١ ــ ٢) ، بـــل يعطي معلومات طريفة عن الرادفة لدى المناذرة ، ومعناها ، ومهمـــة الردف ، وامتيازاتـــه (ق ٢ ص ٩١٧ ــ ٨) .

ويورد البلاذري معلومات بالغـــة الاهمية عن الحياة الاقتصادية خلال القرنين الاولين (انظر مثلا ق ٢ ص ٧٥٣ ، ٩٨٨ ، ١٠٠٧) بما في ذلك اثـــر الجفاف في البادية على ميـــاه بعض القبائـــل

وحركتها ، كما يقدّم معلومات ثمينة عن نظرة العرب للأرض، وعن تحوّل الاشراف الى ارستقراطية ملاكة ؛ وهو في طليعة المؤرخين الذين اهتموا بهذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان .

كما انه يعطي معلومات غنية في الناحية الاجتماعية (انظر ق ٢ ص ١٠٠٦ ، ٧٥٠) . واخباره عن حركة القبائل وانتقالها من الجزيرة الى الامصار لا مثيل لها في الشمول والتفاصيل والدقة (وإنْ قارَبَها الطبري احيانا في السعة) .

٩ ــ ويستند البلاذري في معلوماته عن القبائل الى ابي اليقظان (٨٠٥/١٩٠) لدرجة كبيرة ، ويأخذ عنه عادة بعبارة : قال ابو اليقظان (ق ٢ ص ٨٧١ ، ٢) أو « وفي رواية ابي اليقظان » (ق ٢ ص ٨٩٥) ، وبذلك يؤكد الاشارات الى اهميته ودوره في النسب .

كما انه يأخذ كثيرا عن ابن الكلبي (هشام بن محمد) برواية مباشرة (عن ابنه) أو بالاخذ من كتابه (ق ٢ ص ٤٥ ، ١٠١ ، ١٥٤) ويعتمد عليه اعتمادا واسعا في اخباره عن قريش قبل الاسلام . ويأخذ عن ابيه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام،أو بالاخذ عنه مباشرة (قال الكلبي ق ٢ ص ٣٤ ، ٦٦) وبهذا يؤكد وجود كتاب لمحمد بن السائب في الانساب ؛ وهو يأخذ عنه احيانا دون اشارة واضحة،مثل تعقيبه : وقال غير الكلبي (ق ٨١٩/٢) ويبدي تفضيله له حين يقول : « وقال غير الكلبي .. وقول الكلبي اثبت .. (ق ٢ ص ٨٢٧) .

واذا كان البلاذري في فترة قبل الاسلام يعتمد على روايات فردية،فانه في الفترات الاسلامية يستند في الاساس في اخباره على مصادر متعددة،فيبدأها بـ (قالوا) ، تعضدها روايات فردية مسندة (انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها) . ونكتفي بالتمثيل من

السيرة . ففي حين يعتمد الطبري على سيرة ابن اسحٰق ، فان البلاذري يعتمد بالدرجة الاولى على الواقدي وتلميذه محمد بن سعد ، اضافة الى رجوعه الى مؤسس مدرسة المغازي (الزهري ٨٥ رواية ، وعروة بن الزبير-حوالي ٤٠ رواية) ، اما ابن اسحٰق فيرجع اليه بقدر متواضع-٤٣ رواية) . وكمثل لذلك ننظر الى اخباره عن بدر لنرى أن صلب معلوماته يرد تحت « قالوا » (٢٨٨ — ٩٠ ، ٢٩١ — ٢ ، ٣٠٤ — ٥) . وبجانب ذلك ترد اخباره عن الواقدي (٢٩٤ — ٨ ، ٢٩٨ — ٣٠٢ ، ٣٠٥ — ٣٠٨) ويأخذ الاخبار عن ابن سعد مباشرة ، كما أن جلّ اخبار الواقدي يرد في حديث ابن سعد،وبعضها بالنقل من كتبه « قال الواقدي ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٥ وبعدها » وهو يتم هذا بروايات فردية مسندة عن محدّثي المدينة ورواتها .

يبدو أن البلاذري توسع في مفهوم « الاشراف »؛ فهو لا يقتصر على من يأخذ شرف العطاء ، ولا على من ينتسب الى اشراف القبائل ، كما انه لا يقتصر على من سجل في ديوان المقاتلة الذي لم يعد يشمل الا جزءا من العرب في الامصار ، من ايام المروانيين ، بل انه شمل هؤلاء جميعا،وانتبه بصورة خاصة الى من صار له دور في الحياة العامة السياسية والادارية والفكرية (الشعراء خاصة) .

وهو على صلته بالعباسيين يحاول أن يكون موضوعيا ؛ ولعلّ صلته هذه افادته في الاطلاع على روايات داخلية عن الدعوة العباسية،وعن الفترة الاولى ، وفي الافادة من الدواوين . وهو على العموم محايد متزن . وهو في الانساب يعبّر عن نظرة اجتماعية عربية الى دور الاشراف العرب في تاريخ الامة ، كما يعبّر عن اتصال خبراتها وسيرها .

د. عبد العزيز الدوري

في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية

مشاكل وحلول

للدكتور احمد سليم سعيدان
(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ في تقديري اننا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى تعريب التعليم الجامعي ، والتغزل بمحاسنه ، والتأكيد على انه ضرورة تربوية وقومية ؛ فقد عقدت من اجل ذلك مؤتمرات ، وألقيت بحوث ومحاضرات ، واشترك في هذا المضمار باحثون اجلاّء ، من العرب ومن غير العرب .

يبدو لي ، على كل حال ، انه لم يعد يجدي في هذه المرحلة ، تعداد محاسن التعريب ، ولا رصد مساوىء التعليم في الجامعات العربية بغير اللغة العربية . فان يكن احد ما زال في شك من جدوى التعريب ، فغاية الامر عندي أن يقال له : تعال نجرّب ، ثم نحكم على النتائج .

اذا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى التعريب ، فنحن اذن في مرحلة التنفيذ ؛ واذا كنا قد أجزنا أن نمسك ، في هذه المرحلة ، عن الخوض في تأييد التعريب ومعارضته ، فلا يجوز لنا ، ونحن نخطط للتنفيذ ، أن نتجاهل حجج المعارضين ودعاواهم . وغنيّ عن البيان أن دعاوى المعارضين تجملها تساؤلاتهم : اين المصادر العربية ؟ واين المراجع التي تبقينا على علم بتطور العلوم ؟ ثم اين الدوريات العربية العلمية التي فيها ننشر أبحاثنا ؟ انهم ،بايجاز، يريدون ان تكون المكتبة العربية

في مثل غنى المكتبات الغربية في الكتب والنشرات العلمية . وهذا مطلب حق ينبغي أن نسعى لتحقيقه جاهدين .

ولكني أبادر الى القول بأن تساؤلات المعارضين ، على وجاهتها ، تخفي وراءها غير ما تظهر . وانني ، وقد سبق أن خضت مع زملاء لي معركة التعريب في قطر عربي شقيق ، على يقين أن ما لا يظهره المعارضون هو التهيّب والتحرّج : معلّمٌ تَعَلَّمَ بالانكليزية ، وهو الآن بها يعلّم ؛ فَهْمُه لها محدود ، ونهمُ طلابه له اقلّ القليل ؛ ولكن الامر مَسْتور ، فلماذا يخوض هذا المعلّم تجربة التعليم بالعربية ، وهذا ما يقتضي فوق تعلّم مصطلحاتها ، استذكار قواعدها الصارمة ؟ انه يخشى أن يعلّم بلغة قد يتقنها طلّابه اكثر منه . ان دافع المعارضين الباطن هو في اغلبه خوف وكسل ؛ وقد ينجلي اكثر هذا الخوف عند بدء التعريب . ولكن يبقى أن المطالبة بابقاء الكتب والنشرات العلميّة تحت متناول يد القارىء العربي امر لا بد من السعي الدائب لتحقيقه .

٢ ــ ولقد سمعتُ قولة حقّ قالها غير واحد ، مؤداها ان التعريب خطوة سياسية ينبغي أن تأتي بقرار سياسي من عُل . وفي يقيني أن هذا القرار يعطي التعريب دعما كبيرا ؛ ولكن يبقى الخوف من فشل التجربة الاولى، لمجرد أن الجنود المجهولين الذين يمارسون التعليم في قاعات الدرس لا يريدون التعريب لمثل هذا التحرّج الذي اشرت اليه . فمع المرسوم السياسي الذي يأمر بالتعريب ، نبقى بحاجة الى فئة من المعلمين انفسهم تؤمن به ، وتدعو اليه ، وتدافع عنه ، وترقب، من حيث تشعر أو لا تشعر، تنفيذه ؛ ونبقى ايضا بحاجة الى خطوات تهيّىء الاسباب للبدء به وللسير فيه .

هنالك خطوتان رائدتان خطوناهما في الاردن ، وفي الذهن كل هذه المشاكل التي أُلمحتُ اليها . ولأبدأ بثانية الخطوتين :

أقدم رئيس الجامعة الحالي ، الدكتور ناصر الدين الاسد ، على الطلب الى عميد كلية العلوم فيها بالاسراع بتعريب التعليم في كلّيته .

وسئل الرئيس : هل اقـر ذلك مجلس العمداء ؟ فقال : وما لكم ولـه ! ان للكلية الحق في ان تعلم بالعربيـة اذا هي ارادت .

ولمـا عرف اعضاء هياة التدريس في كليـة العلـوم ان رئيس الجامعة يساند التعريب ويلحّ بطلبه ، ارتفعت اصوات الداعين لـه ، وخفتت اصوات المعارضين . وانّ كليـة العلوم في الجامعة الاردنيـة تتطلع الآن لأن تبـدأ التعليم بالعربية ، في العـام الدراسي القادم ، في السنة الجامعية الاولى ، على الاقـل .

ولا شـك ان خطوة رئيس الجامعة الاردنية لم تكن لتنجح لولا خطوة سبقتها ومهّدت لهـا السبيل ؛ تلك هي خطوة مجمـع اللغـة العربية الاردني ، واكثرية اعضائه مـن رجالات الجامعة الاردنيـة ، ذلك ان المجمـع كان قد شرع بترجمة خمسة كتب في العلـوم الاساسية ، اختارها اساتذة كليـة العلوم انفسهم على أمـل استعمالها في السنة الاولى الجامعية ، وبعض الثانيـة .

وقـد أُعلِمت الجامعات العربية والمجامـع اللغوية بهذه الخطوة التي خطاها مجمع اللغـة العربية الاردني ، وتوالت على المجمـع كتب التأييد والتشجيع من مختلـف الجامعات والجهـات .

٣ ــ ولكنْ غنيّ عن البيان أن أمـر ترجمة الكتب العلمية لا ينقضي بترجمة خمسة كتب ، ولا عشرة ، بل ولا الف ؛ انه عملية متواصلة دائبة، لها بداية ، وليس لهـا نهاية .انها تمشي مع التعليم الجامعي جنبا الـى جنب ، وكالتعليم ، يسلمها كل جيل ، مع صفوة خبراته ، الى الجيـل الـذي يليـه .

في اوائـل هذا القرن ، قـام واحد من رواد ما يسمى بالنهضة العربية الحديثة ، بترجمة كتـاب انكليزي في الهندسة المستوية . ولعلّ اكثرنا يذكر الكتاب ، فقـد تتلمذنا كلنا عليه ، وكنا نعرفه باسم كتاب « هول واستيفنز » . ولقـد عاشت هذه الترجمة نحو نصف قرن مـي

مدارس الشرق العربي . ولقد نفـدَ الاصل وتوقّف عن الطبـع ، وظلّت مـن بعده الترجمة تُطبَع المرة تلـو المـرة .

مثـل هذا لم يعـد يحدث ؛ اننا نعيش في عصر يتطور فيـه العلم بسرعة مذهلة ، وتتجدد وسائله وسبل عرضه وتوصيله للنـاس ؛ فما من كتاب علمـي يصمد لرياح التطور اكثر من خمس سنـوات ، يُعيدَها او يُقبّلها يُطرَح علـى الرفّ ان لم يبادر المؤلـف الى تجديده على نحو يتّفق مع ما استجـدّ من معلومات وخبرات ومفاهيم واذواق . لـذا نجد الكتب التعليمية تتلاحق،ويزحم بعضها بعضا : فما كان يُعَـدّ كتابا موّفقا بالامس ، يَسقط اليوم في الميـزان .

وليس هـذا التغيّر المستمر نقصا في الفكـر العلمي ، ولكنه من طبعه وطبيعته ؛ فـاذا كان الدوام والخلود هدف الادب ، فان التطـوّر هدف العلم . والتطـوّر في مقاييس العلم هو الحياة ، والحياة هـي الخلود . نظرتان مختلفتان،ولكنهما تلتقيان في الافق البعيـد .

ممـا تقدم نَخْلُص الى أن ترجمة الكتب التعليمية عمـل ينبغي ان يكون دائما مستمرا لا ينقطع . وهـذه ضرورة تزداد الحاحا كلّمـا مضينا قُدُمـا في تعريب التعليم . ونحن نراعي في الوقت نفسه أن نبقـى مواكبين ، على قدر الطاقة ، لتيّـار التطور العالمي .

فـاذا اضفنا الى هذا السيل من الكتـب التعليمية الذي تفرزه المطابع ، كتـب البحوث العلمية والدوريات وامهات المراجع ، نجـد اننا امام امـر جلل يفوق كل وصف . قُدّر ما تخرجه مطابـع العالـم من الفكر العالمي الرصين ، في الدقيقة الواحدة ، ما لـو جمع في مجلد واحد لبلغ هذا المجلـد حجم الموسوعة البريطانية .

والمكتبـة العربية لها علينا واجب تزويدها بالفكـر العالمـي ، والقارىء العربي لـه علينا واجب تقريب هذا الفكر اليـه ؛ وهذا واجب لا بـد من الاضطلاع بـه اذا كنا نبغي ان تكون الاجيال العربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على علـم بروح العصر ، وعلى فهـم لعقليته . واضطلاعنا بهذا الواجب يستلزم ترجمة دائبـة متصلة .

انني ارجـو الا يظن انـي في تحمسي للترجمة خلطـت بين مهمتين : ترجمـة الكتب التعليمية من اجـل التعريب ، وترجمة الفكر العالمي الذي يستهدف خلق اجيال عربيـة تضيف الى موروثهـا الفكري والحضاري، الذي نعتز بـه، فهما ووعيا لروح العصر الـذي نعيش فيه . صحيح أن هنالك فرقـا بين المهمتين ، ولكن يخطىء من يظن أن التعليم يمكـن أن يمضي سليما بمعزل عن الحيـاة ، أو أن العلم في اي عصر يمكن أن يُفْهَم الفهـم الايجابي البناء بمعزل عن فكـر ذلك العصر . انـه يكون كثمرة قطفت من شجرتها ، مهما تكن حلـوة فانها تطعم آكلا واحدا ، أمـا الشجرة فتطعم الناس اجيالا واجيـالا، وتفيء بظلها على كل مستظل . اني اتمنى أن يكون تعليمنا ، لا ثمـارا يتخطفها الآكلون ، بـل أشجارا تؤتي أكلها الشهي وظلها الظليل ورونقها الغض النضير . لعل من نقائض نُظُمنا التربوية القائمة أنها تقدم ثمارا شهية أكثر مما تغرس أشجارا نديـة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ــ نحـن اذن أمام واجب دائم لا ينقطع ، هـو واجب الترجمة . وأمـر الترجمة لا يجوز أن يبقى نهوضا بـلا تنسيق ، كيلا تصير الترجمة اقليمية ، وكيلا يهدر الوقت والجهـد بترجمة الكتاب الواحد اكثر مـن مرة دون مبرر ، وكيلا تنزل الى الميـدان مصطلحات متضاربة تدخلنـا في دوامة المقابلة ، وحساسيات الاختيار والمفاضلـة .

المطلـوب ترجمة الكتب الجامعية ترجمة تشرف عليها الجامعـات العربية ، وتباركها المجامـع اللغوية . والترجمة لا تتـمّ بمجرد أن تُنْقَل مـادة الكتاب الى العربية ؛ فلا بـد من طباعة ، ثم لا بـد من نشر . فهل تقوم الجامعات والمجامـع بالترجمة ، ثم تسلم أمرها الـى دور النشر التجاريـة ؟ ان كان يتحتم هذا في حالات ، فهـو لا ينبغي أن يكون في الكتـب التعليمية التي نؤلفها أو نترجمها لابنائنـا الطلبة وزملائنا المعلمـين .

اذن تُحْسِن الجامعات والمجامع صنعا اذا هي انشأت مكاتب للترجمة والنشر ، تُعْنَى بنشر الكتب التعليمية بأثمان تساعد على تيسير العلم، ولا تستهدف الربح الوفير .

٥ ــ ارجو الا يغيب عن البال ان الهدف الكبير الذي نهدف اليه هو تعريب التعليم الجامعي ؛ ومن اجل التعريب جئت اطرح فكرة الترجمة ، وفكرة مكاتب الترجمة والنشر .

وغنيّ عن البيان اننا لا ينبغي ان نؤجل التعريب الى ان نترجم وننشر ، ونُقيم في كل جامعة او مجمع مكتبا للترجمة والتأليف والنشر . ان ما اقدَمَ عليه مجمع اللغة العربية الاردني مبادرة فيها كثير من المجازفة ، وكثير من الامل . كان يستهدف وضع نواة تمكّن المعلم في الجامعة الاردنية من ان يمضي مع الطلاب في السنة الاولى الجامعية على نحو لا يختلف كثيرا عما الفوه في المرحلة التوجيهية . ولكن لا شك أن تعريب التعليم ، مهما ساندته الترجمة ، يمكن ان يمضي بدونها ، ولو مرحليًّا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليس امرا هينا ان نحاضر ونشرح ونناقش بالعربية ، حتى مع ذكر مصطلحات اجنبية، اذا لزم الامر ، ثم في نهاية المطاف نرجع الطالب الى مرجع اجنبي ؟ لأن اقول لطلابي : ستقابلكم في هذا المرجع مصطلحات جديدة ، اليكم قائمة بها وبمعانيها العربية ، اجدى واضمن لفهم الطالب من ان احاضره بلغة لا يفهمها ، ثم اسلمه الى كتاب يُحَوّل درسَ العلم عنده الى بحث في القاموس . بل اني على يقين أن الرجوع الى كتب اجنبية امر لا مندوحة عنه ، حتى وان تكاثرت الكتب المترجمة ؛ وهو امر سيتزايد كلما صعدنا في سلم التعليم الجامعي .

٦ ــ ومشاكل الترجمة والنشر ليست سهلة هيّنة ، وانما هي كثيرة متشابكة ، آخذ بعضها برقاب بعض ؛ ولذا فاني ، في سبيل التفكير فيها تفكيرا صافيا بُنّاء ، احلّلها الى عواملها الاولية . ومن عواملها الاولية : ما الذي نترجمه ؟ ومن الذي يترجم ؟ وماذا بعد الترجمة ؟

بعبارة اخرى : ابحث في امـر الكتب التي تترجم ، وامـر الاشخاص الذين يقومون بترجمتها ، ثم أمْـر نشر هذه الكتب .

أ ـ امـا بصدد الكتاب الذي يترجَم ، فبين البيروقراطية والمركزية التي تدعو الى مجلس عربي عـام يقوم باختيار الكتب،فيوقعنا في بـطء الاجراء ودوامة اختلاف الاذواق والمستويات ، وبين فوضى المبـادرات الفردية ، كأن يقوم كلّ مدرّس بترجمة الكتاب الذي يحلو لـه ، ثم اذا بنا نجد للكتاب الواحد اكثر مـن ترجمة واحدة ، ارى ان نختـار طريق المركزيات المحلّية . ففي الاردن ، مثـلا ، يقوم المدرّسون باختيار الكتب التي يوصون بترجمتها من اجـل التدريس ، فيعرضون قائمة بأسمائها على مجالس الاقسام ، فمجلس الكليـة ؛ فاذا اقتنع المجلس بجـدوى الترجمة ، آخذا بعين الاعتبار عمـر الكتاب الحالي من ناحية ، وامكانيات التأليف من ناحية اخرى ، يتقـدم بطلب الى مجمع اللغـة العربيـة الاردني ؛ فاذا اقـر المجمع الترجمة،يخبر بذلك الجامعات العربيـة والمجامـع ، كيلا تقوم بترجمة الكتاب نفسه . فـاذا انقضى سنتان ولم يظهر الكتاب ، تصبـح الجامعات والمجامع في حلّ من امـر ترجمته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمـا المشاكل المنظورة التي يمكن ان تقوم في وجـه هـذا الترتيـب البسيـط ؟

اولا : الجامعة التي لا تجـد الى جوارها مجمعا مستعدا للاشراف على ترجمة مـا توصي بترجمته من كتب وعلى تمويلـه ، يمكـن ان تستعيض عنـه بمكتب ترجمة تقيمه لهذا الغرض ، كـي يتولى مهمة المجمـع هذه،مستمدا سلطانه من الجامعة ذاتها .

ثانيا : الحصول على حـق الترجمة ، اذا امكن ، امـر ينبغي ان تسعى اليه المجامـع ومكاتب الترجمة ؛ فاذا تعذر فمن حسن حظنـا اننا لم نرتبط عالميـا باتفاقية حق المؤلف والناشر ؛ يكفي ان نخبر المؤلـف او الناشر او كليهما اننـا نرغب في ترجمة الكتاب ، وليس علينا بعـد ذلك ماخذ قانونـي .

ثالثا : ان النظرة الواقعيـــة قد تغاير توحيد الكتاب الجامعي فـــي جميع انحاء العالم العربي . ولعـــلّ في ان يُتَرْجَم في الموضوع الواحـــد ، من المستوى الواحد ، اكثر من كتاب ، خيرا ؛ فأبناؤنا بحاجة الى كتـــب مقررة والى مراجع ؛ وإن مـــن الخطر ان يكون ثمـــة مرجع واحد يرجع اليـــه الطالب والمدرس .

رابعا : ينبغي ان نشجع التاليف الاصيل بقدر مـــا ينبغي ان نشجع الترجمة ؛ فاذا استُعمِل كتـــاب مؤلَّف محلّيًّا،فينبغي ان يحرص مكتـــب الترجمة أن يكون هـــذا الكتاب من مستوى جيـــد متجدد ، فاذا لـــم يجدَّد وجب تغييره بدون تردد . ان لـــم يكن ما نؤلفه للجامعة في المستوى العالمي المقبول ، فلا خير فيـــه .

خامسا : بالتاكيـــد : ما كل ترجمة مقبولة ، لا من حيث اللغـــة ، ولا من حيث المحتوى ؛ فكـــل كتاب يُترجَم او يُؤلَّف ينبغـــي ان يُعرَض على لجنـــة تقييم تشهد بسلامة لغتـــه وصحة ترجمته .

ب ــ نأتـــي الآن الى اختيار المترجمين : فهؤلاء طبعا من اساتـــذة الجامعة ، كل في ميـــدان تخصصه . والاساتذة منهم قلّـــة يقدرون على الترجمة ، واكثرهم لا يقدرون . امـــا اولئك الذين يقدرون على الترجمـــة فقد اوتوا موهبة عالية،هي القدرة على فهـــم لغتين فهما صحيحـــا ، وعلى التعبير بلغتهم على الأقل تعبيرا صحيحـــا . مثل هؤلاء قادرون على ان يكتبـــوا للمجلات السيارة مقالات يتقاضون عليها مكافآت عالية . فان لم يكن المـــردود المادي للترجمة مجزيا ، فسيفضّل هؤلاء ان ينصرفوا الى كتابة المقـــالات ؛ وان هـــم لم يترجموا فكل ما ندعو اليه مآلُـــه الفشل . لذلك لا بـــد من حافز سخيّ يحفزهم للترجمة . واول مـــا يتبادر الى الذهن اعتبار الترجمـــة الناجحة مبررا قويا للترقية . انـــي اقولها بكل ما املك من قـــوة : مهما بلغ ترحيبنا بالبحوث الجامعيـــة الاصيلة ، فـــان الترجمة الناجحة اكثر منهـــا فائدة وادعى للترحيب . ولـــذا فاني ادعو الى جعلها مميِّزا يَستَدعي الترقيـــة .

أما الذين لا يقدرون على الترجمة ، فلا ينبغي ان ندير لهم ظهرنا ؛ ذلك أن الترجمة تتحسن بالممارسة ، ومن لا يتقنونها الآن فقد يتقنونها في المستقبل ؛ ولذا فعلى المسؤولين عن امر الترجمة اخذ هؤلاء بكثير من الصبر والحكمة والاناة،عساهم يغدون بعد حين احسن حالا . ان من واجبات مكاتب الترجمة ان تساعد على تخريج اجيال ممن يتقنونها .

وبصدد تخريج هذه الاجيال،اقترح بقوّة ان يكون من مساقات كل قسم مساق واحد على الاقل يقتضي أن يقوم فيه الطالب بترجمة كتاب ، او فصل من كتاب ، او بحث في ميدان تخصصه . ويمكن أن تجمع هذه الترجمات وتنشر . واذا خُطّط لمثل هذا المساق تخطيطا سليما ، فسيكون ما يُبْذَل فيه من جهد مثمرا اكثر مما نتصور .

واود ان اشير الى العدو الرابض في المحتل من ارضنا . بمثل هذا الذي اذكره خلقوا لهم لغة بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ، ونقلوا الى هذه اللغة اكثر الفكر العالمي الرصين،وكوّنوا لهم مكتبات تنافس اغنى المكتبات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاذا تصوَّرنا نشاطا في ترجمة الكتب العلمية ملء العين ، تنظّمه وتشرف عليه مكاتب متخصصة ، في رحاب مجمع لغوي او جامعة ، وترجمة اخرى جادة يقوم بها طلاب لاستكمال متطلبات تخرّجهم ، لا يمكن الا ان يرتسم في الصورة سيل من المصطلحات العلمية ، منها المعرَّب ومنها المترجم ،ومنها القديم ومنها المستحدث ، ومن هذا المستحدث ما قد يصمد وما قد يذهب كالزبد جفاء ، يرفضه اللسان . ومع هذا السيل الذي يتدفق في كل قطر ، مَن ذا الذي يضمن الاّ نفتح اعيننا الا وقد وجدنا لكل قطر مصطلحات علمية خاصة به ، تكرّس الانفصال اللغوي مثلما كرّست الاحداثُ الانفصالَ السياسي ؟ !

الذي يضمن ذلك قيام مكاتب الترجمة بتنسيق هذه المصطلحات وجمعها وعرضها في مجموعات على المجامع اللغوية ، كيما تساعد على اقرار ما تراه مناسبا ، وعلى رفض ما لا تراه مناسبا .

واذا كنا نتردد كثيرا في تقييد المترجمين ، ونطلب ان يمضوا قُدُما في ما يرونه مناسبا من تعريب او ترجمة للمصطلحات المستحدثة ، واذا كنا ندرك ان مفاهيم بعض المصطلحات يعتريها ما يعتري العلوم ذاتها من تطور ، فينبغي الا نتردد قيد انملة في اشاعة ما تُقِرّه المجامع اللغوية من مصطلحات مستحدثة ، وفي الالحاح على الالتزام به ريثما يأتي ما هو أحسن منه . ليست الغاية التي نستهدفها قطع الطريق على استحداث المصطلحات ، ولكن الغاية ان نعمل على توحيدها في العالم العربي .

ومكتب التنسيق ، الذي يقوم بهذه المهمة خير قيام ، ينبغي ان يكون من العلميين المتخصصين الذين يشاركون في الترجمة ذاتها ، ويعرفون عمّا يتحدثون . لذا ارى ان يكون هو نفسه مكتب الترجمة : ينظّم الترجمة ، وينسّق المصطلحات ، ويرفعها الى المجامع .

جـ — وبعد الترجمة تأتي الطباعة والنشر .

أما الطباعة فتتولاّها المطبعة ، والتكنولوجيا تولي الطباعة اهتماما كبيرا ، فما قد نراه الآن احدث مطبعة نجده بعد سنتين قد فاته قطار التطور السريع . ومع تطور الطباعة يأتي التفنّن بالتلوين والاخراج وعرض الكتاب على نحو جذاب . ولقد اقنعتني الخبرة العملية والممارسة ان المطابع المحلية تجد أسهل عليها وأقل كلفة ان تلبي الطلبات المتزايدة : من اخراج جذاب ذي الوان وتجليد ، باللجوء الى مطابع في اثينا او روما . وهذا امر مؤسف ، ولكن لعلّ علاجه من شأن المطابع المحلية . علينا ان ندفع بها للحاق بالركب ، وهي عاجلا او آجلا ستستجيب .

ولكن الطباعة غالية التكاليف ؛ انها تبلغ اربعة اضعاف ما تكلفه الترجمة . واذا كان الكتاب الذي يترجم سيعطى الى عدد كبير من الطلاب ، ضَمِنّا ان تُستَرَدّ تكاليفه في غضون سنتين . ولكن قلّما يتوافر مثل هذا العدد في غير السنة الاولى الجامعية . اما في غيرها

من المستويات فقد يكون استهلاك الكتاب المتخصص بطيئا الى حد لا تتحمّله الجامعة ولا المجمع . حتى ولا دعم الدولة يضمن بقاءه طويلا دون هزّات مبعثها التغيّرات السياسية المحلية .

لهذا ارى ان تتعاون مكاتب الترجمة والتنسيق ، وان يُسند بعضُها بعضا على نحو يُتّفق عليه وتُوقّع بصدده اتفاقيات . واود ان اترك تفاصيل هذا الامر الى لجنة العمل التي دعوت الى تكوينها . قد تكون احدى السبل ان تسند الدولُ العربيةُ الغنيةُ مكاتبَ الترجمة والتنسيق في الدول الاخرى . ومن السبل التي تتبادر الى ذهني ، والحديث منحصر في الكتب التي تستعملها كليات العلوم ، توزيع اعباء الترجمة على هذه المكاتب ، بحيث يزوّد كلُّ مكتب المكاتب الاخرى بعدد من النسخ يضمن سرعة التصريف ومواكبة التغيُّر السريع في الكتب .

المطلوب على كل حال ، ان يكون بامكان كل مكتب ان يُقْدِم ، دون خسارة كبيرة ، على ترجمة كتاب علمي يعرف ان عدد الطلاب الذين يستعملونه لا يزيد عن عشرة في كل عام ، وانه قد يضطر الى اهماله وترجمة غيره بعد خمسة اعوام . مثل هذا الكتاب لن تكون ترجمته مجدية الا اذا استعمل على نطاق العالم العربي بأسره .

اخلُص مما تقدّم الى ان مكتب الترجمة الذي في ذهني هو مكتب ترجمة وتعريب ونشر يتبع الجامعة او المجمع ، ويرتبط بالمكاتب الاخرى عن طريق اجتماعات سنوية توزّع فيها اعباء الترجمة ، وتُحَدَّد التخصصات والارتباطات .

ليس في النية طرد اللغات الاجنبية من كليات العلوم ، بل اني ارى ان قد يكون من الاجدى تعريف بعض الطلاب في بعض التخصصات بأكثر من لغة اجنبية واحدة . وانا ابيح لنفسي ان انصرف لمعالجة الوضع في بلد كالاردن ، اللغة الاجنبية فيه هي الانكليزية . والسؤال الآن : كيف نضمن رفع مستواها لدى ابنائنا ، لا خفضه ، في ظل التعريب ؟

وانـــي انظر في هذا الامر نظرة واقعية ، توامها النقاط المحددة التالية :

١ ــ ان طلابنـــا يأتون الى الجامعة بعد سنوات عـــدة ظلوا فيها يدرسون اللغـــة الانكليزية مع موضوعات تعليمية اخرى . فهـــم ، في ظل هذا النمط التعليمي ، لا يجهلون الانكليزية كلية ، ولكنهم اولا : لـــم تتح لهم فرصة التحدث بهـــا بالقدر الكافي ، ولا فرصة استعمالهـــا في شؤون الحياة العامة ؛ ثم هـــم ثانيا : يجهلون الاصطلاحات والتعبيرات العلميـــــة .

٢ ــ في تقديري أن اي مساق يعطى لهؤلاء الطلاب في اللغـــة الانكليزية لا يرفـــع من مستواهم بالقدر الملموس ، ســـوى مساقـــات تنصبّ على دراستهم والتحدث معهـــم في موضوعاتِ تخصّصِهم العلمية . هذه المساقات تعرّفهـــم بالمصطلحات والتركيبات العلمية ، ولكنهـــا ، كالمساقات التقليدية التي سبق لهـــم ان درسوها في المرحلة السابقـــة ، لا تحسّن مستوى توظيفهم للغـــة في شؤون الحياة اليوميـــة .

٣ ــ ان مـــا يضمن تحسين مستوى ابنائنا الى حـــد ملموس باللغـــة الانكليزية، تحدثا وكتابة، هو ارسالهـــم للعيش في محيط انكليزي لمـــدة ثلاثة اشهر الى سنة . ان ابناءنا يذهبون اليـــوم للتعلم في بلـــد لا يعرفون من لغتـــه كلمة واحدة ، ثم هـــم بعد ستة اشهر يصبحون على علـــم بلغته يمكّنهم من حضور المحاضرات والتحدث مع ابناء البلد .

٤ ــ وغنـــيّ عن البيان اننا نتمنى ان يحرص جميع ابنائنـــا على الاستزادة المستمرة من المعرفة ، ولكننـــا نعلم ان هذه امنيـــة لا تتحقق الا بقدر محـــدود .

مـــن هذا كلّه اخلص الى نتيجة واحدة اجدني مقتنعا بهـــا ، هي ان تعريب التعليـــم في كليات العلوم ، مع اعطاء مساق تمهيدي باللغـــة الانكليزية ، يعرّف الطالب بأعـــم المصطلحات العلمية وبعض التعبيرات ؛ ثـــم مساقين او اكثر من ميدان تخصصه ، بالانكليزية ايضـــا ، يراعى

فيهما الالحاح علـــى استعمال الدوريات والبحوث التي تنشر فيهـــا ، يخرج لنـــا طلابا أكثر ممن نخرجهم الآن اتقانـــا لموضوعات تخصصهم، واقدر ايضا على استعمال المصـــادر الانكليزية العلمية . فمن شـــاء مزيدا من معرفـــة الانكليزية فليعش في جـــوّ يتيح له ان يتعلم المزيـــد من الانكليزية تحدثا وكتابـــة .

ولا ينبغـــي ان ننسى اننا اوصينا بان يكون من واجبات كل طالـــب في كلية العلوم ان يمارس الترجمة من اللغـــة الانكليزية،استكمالا لمتطلبات تخرجـــــه .

ارجـــو ان اكون قد وُفّقت في طرح بعض المشكلات واقتراح بعض الحلـــــول .

د. أحمد سعيدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعريب العلوم الإنسانيّة

قضايا ومقترحات

للدكتور محمود ابرٰهيم
(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

مقدمة :

الاهتمام بالانسان ، سِمَة من سمات التراث العربي كلّه . فمنذ جاهلية العرب ، كان الانسان والعلاقات الانسانية ، محور ما أُنتِج من ادب العرب ، وجُلّه شعر في ذلك الوقت . وحين اتت دعوة الاسلام ، وتنزّل بهذه الدعوة قرآن كريم ، كان الانسان ، فردا ، وعضوا في جماعة ، موضع الاهتمام الكبير . وقد كُرِّم في النصوص القرآنية ، كما لم يُكرَّم في أي نص . فلا عجب اذن أن تكون الحضارة التي وُجدت في ظل الاسلام قد رُكّزت تركيزا خاصا على الانسان ، حتى لَيصحّ القول إن من خصائصها الاولى اهتمامها بالانسان ، وإنْ لم تغفل البيئة التي عاش فيها الانسان ، والنواميس الطبيعية التي تحكمها . وما على المرء الا أن يستعرض النتاج الغزير لهذه الحضارة ، لكي يرى موضع الانسان فيه ، والتغلغلَ العميق في أحاسيس النفس الانسانية وهواجسها وتطلّعاتها .

وهنا ينبغي التنبيه الى ان شأن الدراسات الانسانية عند أية أمة من الأمم ، غير شأن الدراسات الطبيعية ، لان الدراسات الانسانية مرتبطة بذوات الأمم ، معبّرة عن شخصياتها المتميزة ، في حين أن الدراسات الطبيعية غير مرتبطة بذاتية أمة معينة ، اذ هي نتاج القوانين الطبيعية العامة الشاملة ، التي لا تتغير بتغير المجتمعات والبيئات ، ولا تتأثر بخصائص الأمم . ولذا فان قِيَم الأمم ومُثُلها وقواعد

اخلاقها ، انما تتراءى فيما يصدر عنهـا من دراسات انسانية ، قبل اي نوع آخـر من الدراسات . ومعنى ذلك ان العلـوم الانسانية لاية امـة ، ينبغي ان تكون منبثقة عن ذاتهـا ، معبرة عن شخصيتها ، والا تعرضت الأمـة لمخاطر كبيرة ، قد تؤدي في النهاية الى اذابتهـا حضاريا في امـم اخرى . وليس المقصود من هذا القول ، ان تنغلـق كلّ امـة على نفسها في مجال العلوم الانسانية ، فـلا تطّلع على ما لدى الأمم الاخرى ، وانمـا المقصود ان يُكيَّف ما يؤخذ عن الآخريـن مما يُستَحْسَن ويُقتَبَس، حتى يصطبغ بصبغة الأمـة المقتَبِسة ، ويندمج في مُثلها وقيمها ، لكـي يكون عنصر إثراء واغناء ، لا عنصر تسلّـط وطغيـان .

ولقـد مـرّ العرب بتجربة الاحتكاك بالعلوم الانسانية عنـد الآخرين ، حينما اختلطوا، زمـن العباسيين، بشعوب اخرى ذات تـراث حضاري عريق ، فترجموا عن كُتُـب الفرس ذات الصبغة الاجتماعية ، كما ترجموا عن كتـب اليونان ذات الصبغة الفلسفية ؛ ولكنهم كانـوا قادرين على ان يستوعبوا ما اخذوه عـن الفرس واليونان معـا ، ويصبغوه بالصبغة الاسلامية ، لانهـم كانوا في مرحلة ثقـة عارمة بالنفس جَعَلَتْهم قادرين على ان يطوّعوا مـا يأخذونه عن الآخريـن لعقيدتهم وقِيَمهـم ، بعد ان طوّعوه للغتهم ، ايمانا منهـم اذ ذاك بأنهم كانوا يدينون بخير عقيـدة ، ويتكلمون خير لغـة .

ومـع ذلك ، فالناظر فيما ترجمه العـرب في تلك الحقبة عـن الآخرين في نطـاق العلوم الانسانية ، يرى انـه اقلّ بكثير مما ترجموه في نطاق العلوم الطبيعية . وذلك امـر طبيعي متوقَّع، لان ما كانـوا يفتقرون اليه من العلـوم الطبيعية كان كبيرا ، وهي علوم لا تَمَسّ ،

كما ذكرنا آنفـا ، ذوات الأمم وشخصياتها ، بسبب صبغتها الشمولية العامة ، في حين ان اعتزاز العـرب اذ ذاك بما لديهم من قيـم انسانية منبثقة عن عقيدتهـم ، كانت تشعرهم انهـم في غنى عما لدى الآخريـن ،

وانهم هم الذين يحملون رسالة انسانية عامة ، من واجبهم ان ينقلوها الى شعوب الارض جميعا .

والذي ينبغي أن نتذكره الآن ، هو انه عندما اتصلنا في العصر الحديث بالعلوم الانسانية الغربية ، لم يكن لدينا ثقة أسلافنا بالنفس ؛ بل على النقيض من ذلك ، كنّا ـ وما نزال لسوء الحظ ـ نشعر بتفوّق الآخرين في كل شيء تقريبا ، وبالانسحاق امامهم في كل شيء تقريبا كذلك . ولذا فاننا ونحن نأخذ عنهم علومهم الانسانية ضمن ما نأخذ ، نتعرّض ، اذا لم نُحسِن التنبُّه ، الى مخاطر إحلال قواعد محلَّ قواعد ، وقِيَم محلّ قيم ، وبالتالي الى مخاطر اذابة شخصيتنا الحضارية في شخصية حضارية أخرى . وقد تفاقم هذا الخطر في الآونة الاخيرة ، بعد أن كادت حضارة الغرب ، بما توافر لها من امكانيات هائلة ، تطغى على حضارات الشعوب جميعا ، وبعد أن وُلِّدت تجربتنا الصعبة مع الصهيونية وحلفائها ، الشعور بالاحباط عند الكثيرين منا ، بكل ما ينبثق عن هذا الشعور من هوانٍ على النفس ، ونقدٍ قاس للذات يبلغ حدّ التهديم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلوم الانسانية في الجامعات العربية :

في نطاق الحديث عن تعريب العلوم الانسانية في الجامعات العربية ، قد يقال أن القضية غير قائمة أصلا ، او هي قضية جزئية ، لان العلوم الانسانية : من فلسفة واجتماع وتربية وعلم نفس وعلوم سياسية واقتصادية ، الى غير هذه مما يدخل فيما اصطلح على تسميته ب « العلوم الانسانية » ، تُدَرَّس فعلا باللغة العربية في الاغلبية الساحقة من الجامعات العربية ، وبخاصة جامعات المشرق العربي ؛ ولا يشذّ عن ذلك الا عدد محدود من هذه الجامعات ، وبخاصة في المغرب العربي .

وهذا القول ، ولو انه صحيح من الناحية الاحصائية ، الا انه يغفل مجموعة من الامور التي لا بد من توافرها ، لكي يصبح

بوسعنا القول بأن هذه العلـــوم معرّبة فعلا . ويمكن ايجاز هـــذه الامور فيما يلـــي :

١ ــ ان اللغـــة التي تدرَّس بها هذه العلوم في معظم الجامعات العربية ، انما هي خليط من عاميـــة ومفردات اجنبية ، وهي بالتالي ليست اللغـــة العربية السليمة الموحدة ، التي يفهمها ابنـــاء العرب على اختـــلاف مواطنهـــم .

٢ ــ ان المصطلحات التـــي تُستَعمَل في التدريس ليست مصطلحـــات عربية موحـــدة ، ذات دلالات واحدة ؛ فهي تختلف من بلـــد الى آخر ، بل من جامعـــة الى أخرى ؛ وكثيرا ما تقدم بألفاظهـــا الاجنبية ، حسب لغـــة البلد الاجنبي الذي تَلَقَّى فيه استـــاذ المـــادة ثقافتـــه .

٣ ــ في كثير من الجامعـــات العربية ، لم تجر محاولات لربط المصطلح الجديد بمصطلح عربـــيّ مقابل سَبَقَ أن استعمله أسلافنـــا ، واكتســـب من خلال استعماله عبر القرون دلالات وايحاءات تاريخية وفكرية ووجدانية لا يمكن أن تتوافـــر في مفردة جديـــدة على الأذن العربيـــة .

٤ ــ وفي كثير من الحـــالات كذلك ، يجري النقل من اللغات الاجنبيـــة الى اللغـــة العربية في العلوم الانسانية ، دون ادراك الناقـــل للخلفيّة الحضارية والاجتماعية للمـــادة المنقولة عن مصدر أوروبي أو أمريكي ، ولا لمدى تواؤم هذه المـــادة مع المجتمع العربـــي ، بأوضاعه التاريخية ، والحضارية والاجتماعية الخاصة بـــه . في حين ان الذي يتصدى لنقـــل مثل هذه المـــواد ، ينبغي أن يكون على علـــم بأوضاع كلا المجتمعين المعنيين : المجتمـــع المنقـــول عنه ، والمجتمع المنقول اليـــه ، حتى تُقَدَّم المـــادة الى الطلبة ، وهـــم على بصيرة بخلفيتها عنـــد الآخرين ، وبمدى تواؤمها مع مجتمعهـــم .

٥ ــ وقــد يحدث أن يكون الناقل ــ مترجمًا كان أم مدرِّســا ــ لا يتعاطف فكريا ووجدانيا مع المجتمــع العربي الذي ينتمي اليــه ؟ بــل قد لا يكون على بيّنة من تاريخ هذا المجتمــع ، وما ارتبط بــه من نُظُم وقواعد وقِيَم ، ومن التطورات التي مــر بها عبر تاريخه ؛ فكثيرون هــم مدرسو العلوم الانسانية الذيــن كانت جميع دراساتهم التاليــة للمرحلة الثانوية في جامعات اجنبيــة لا تُعنَى اساسا بالمجتمــع العربي ، بل قد لا تدخل ما يرتبط بــه وبمقومات الحياة فيه في مناهجها ، فيتخرّج الطالب العربي فــي هذه الجامعات وهــو يكاد لا يعرف شيئا عن المجتمــع الذي ينتمي اليه أصلا ، في حين انــه يعرف بحكم دراسته اشيــاء كثيرة عن المجتمعــات الاخرى : من يونانية ورومانية قديمة ، الى أوروبية وأميركية حديثة . وحين يعود الى بلــده للعمل فــي جامعاتها ، لا يدرك ، وهو ينقل علمــه الى طلبته ، أن طبيعة المــادة التي يدرّسها ليست ذات صبغة عالمية ثابتة ، بــل هي قابلة للتكيُّف والتغيُّر بتغيُّر البيئات الاجتماعية التي تدرَّس فيها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والخطــر في مثل هذه الحالة بيّن ، إذ أن تداخل القيــم والقواعد السلوكية والمعيشية ، وتضارب هذه القيــم والقواعد أحيانا ، يُحــدِث اضطرابا في النفوس ، وبخاصة في نفوسٍ غضّة كنفوس الطلبــة ، تكون في دور التطلّع الى القيــم والمثل والانتماء التي تنبني عليها المواطنة الواحدة في البلــد الواحد ، أو الانتماء الواحد في الأمــة الواحدة ، كما هي الحال بالنسبة الى طلبــة العرب ، وأمــة العرب .

التعريب في صورته الصحيحــة :

أيّ نــوع من تعريب العلوم الانسانية نريد اذن ، اذا اردنــاه تعريبا سليما بريئــا من الثغرات والمحذورات المذكــورة آنفــا ؟ ان طبيعة هذه الثغرات والمحذورات،كما أوضحت آنفــا ، هي ، الى حــد كبير ، مؤشر الى طبيعة التعريب الذي نريــده للعلوم الانسانية التــي

تُدَرَّس في الجامعات العربيـــة ؛ ولكن التعريب الذي نريده لهذه العلـــوم في نطاق الجامعة ، ينبغـــي أن يتناول كذلك امـــورا اخرى ؛ فليس التعريب بمقتصر على أن تكون لغـــة التدريس هي اللغـــة العربيـــة السليمة ، بل لا بـــد كذلك من أن تُجْرَى بحوث علميـــة في نطاق هذه العلوم باللغـــة العربية ، حتى يدرك المشتغلون بهذه العلـــوم علـــى جميع المستويات ، أن اللغـــة العربية يمكن أن تكون لغـــة البحث العلمي في هـــذا الميدان ، شأنها في ذلك شأن ايـــة لغـــة اجنبية تُنْشَر بها بحوث في العلـــوم الانسانية في الدوريات العلميـــة . والذي يُنشَر بحثا في العلـــوم الانسانية باللغـــة العربية في مجلة علمية ، لن يصعب عليه أن يؤلف كتابـــا في هذه العلوم باللغـــة العربية ، لكي يُشْعِر الطالب والقارىء العربي من أي نوع انـــه قادر على ان يجد المرجع الـــذي يقـــرأ فيه في هذه العلوم بلغتـــه ، مثلما أنـــه قادر على أن يستمع الى من يتحدث في هذه العلوم باللغـــة العربية ، وحتى تصبح مفردات هذه العلوم ومصطلحاتها في متناول القارىء العربي اينما كـــان ، فتشيع على الالسنة ، ولا تنحصر بـــين مدرّس وطالب في قاعـــة محاضرات داخل اسوار الجامعـــة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المـــــدرس :

كثـــيرا ما يقال ان تعريب التعليم الجامعي ، في جميع المـــواد لا في مـــواد دون أخرى ، هو أمنية جميلة ، ولكنـــه صعب التحقيق ، لان المدرس الجامعي غـــير قادر على أن يدرّس مادتـــه لطلبته باللغـــة العربية ، بعد أن تلقّى هو هذه المـــادة بغير اللغة العربية . والمدرس كان،وما يزال ، اهـــمّ عنصر في العملية التعليمية ؛ واذا لـــم يكن هو مُعَدّاً لان يُدَرِّس باللغـــة العربية ، فلا يمكن لشيء آخر أن يجعـــل التعليم بهذه اللغة ممكنـــا .

وهـــذا القول بعجز المدرس عن التدريس باللغـــة العربية ، لا يثبت كثيرا للتمحيص الدقيق ، كما يتبين مما يلـــي :

١ ــ اذا افترضنا أولا ان المدرس المعني لا يعرف العربية اطلاقا ، لانه أجنبي، فان ذلك لا يكون مشكلة حقيقية ، لان عدد مدرسي العلوم الانسانية من الاجانب في البلاد العربية قد تضاءل الآن الى حد بعيد ، حتى غدت جامعات عربية كثيرة ، ليس فيها أجنبي واحد يدرس هذه العلوم (باستثناء مدرسي اللغات الاجنبية طبعا) . وهذا العدد القليل جدا من المدرسين الاجانب تُحَلّ مشكلته بأن يستبدل به مدرسون عرب ، وإن استُبقِيَ بعض من الاجانب لتفوّق في مادة تخصصه ، فلا بأس من أن يدرِّس جزءا من المنهاج في اطار مادته باللغة الاجنبية ، لابقاء الطلبة على صلة بالمصطلح الاجنبي والمراجع الاجنبية . بل ان من المفيد ، حتى في حالة عدم وجود مدرِّس أجنبي في قسم من أقسام العلوم الانسانية في جامعة عربية ، ان يُعْطَى للغرض عينه بعض محاضرات بلغة أجنبية يلقيها مدرّس عربي . وقد مررنا في قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية بمثل هذه التجربة حين حاضر بعض المدرسين العرب في القسم باللغة الانجليزية ، في مادة النصوص الاستشراقية المكتوبة بتلك اللغة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ أما بالنسبة الى المدرسين العرب ، فان التدريس بلغة غير العربية في مادة العلوم الانسانية ، اصبح لا يتسق مع واقع هؤلاء المدرسين بحكم مصادر ثقافاتهم ، فقد ذهب الزمن الذي كانت الانجليزية أو الفرنسية فيه اللغتين الاجنبيتين الوحيدتين اللتين يتعلم بهما الانسان العربي في الخارج ؛ اذ أصبح هذا الانسان يدرس في عدد كبير من أقطار العالم بلغات تختلف باختلاف القطر الذي يدرس فيه ، مما يجعل تدريس الطلبة العرب بلغة البلد الذي درس فيه المدرس أمرا غير عملي ؛ ولم يبق والحالة هذه الا أن يجرى التدريس باللغة المشتركة الوحيدة بين المدرس وطلبته العرب ، وهي اللغة العربية .

وهنـــا نعود الى الدعوة القائلة بعدم قدرة المدرس الجامعـــي على أن يدرس باللغـــة العربية ؛ ويُرَدّ على ذلك ما يلـــي :

١ ــ لا يمكـــن الادعاء بأن انسانا نشأ في مجتمـــع عربي ، ودرس مـــدة اثني عشر عاما على الاقل خلال مرحلة التعليم العـــام باللغة العربية (هذا اذا لـــم يدرس بعد ذلك في ايـــة جامعة عربية) يمكن أن يكون أعجميـــا غير قادر على الابانة ، لمجرد انـــه قضى بضع سنوات من عمره في بلـــد اجنبي . وحتى ان تَعَثّر هـــذا المدرس في بداية تدريسه بلغتـــه القومية ، فان الممارسة والمـــران كفيلان بأن يزيلا هـــذا التعثّر تدريجيا ، الى حـــين التخلص منه نهائيا . وغير خافٍ مـــا ينبني على التعليم باللغة القومية من آثـــار ايجابية على المتعلمـــين ، لتفاعلهم مع الافكار المقدَّمة بلغتهـــم القومية أضعاف تفاعلهم مع أفكـــار تقدَّم اليهم بلغـــة اجنبيـــة .

٢ ــ وحتـــى نساعد مدرّسي هذه العلوم على الأداء عن انفسهم بيسر ودقـــة في اللغة العربية ، يُقتَرَح مـــا يلـــي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ ــ استحثاث هؤلاء المدرسين علـــى مطالعة الكتب المكتوبـــة بالعربية ذات العلاقـــة بتخصصهم ، ولا سيما كتـــب التراث العربي ، التي تقدّم نقارئها افكارا ومـــادة لغوية ذات علاقة بالعلوم الانسانية ، بمـــا في ذلك المصطلح الفنـــي العربي ، الذي يمكن اقتباسه والاستفادة منـــه . ومع كتب التراث القديمة ، يمكن للمدرس، بالطبع ، أن يستفيـــد كذلك من الكتابات العربية الحديثة المرتبطة بالعلوم الانسانيـــة .

ب ــ اتاحـــة الفرصة لبرنامج تبادل بين مدرّسي هذه المـــواد في الجامعات العربيـــة ، حتى يتاح للمدرسين حديثي العهـــد باستعمال اللغـــة العربية في التدريس ، أن يشـــهدوا تدريس هذه المـــواد في الجامعات العربية التي تمرّست بتدريسهـــا

باللغة العربية ، وان يشاركوا هم في عملية التدريس بالعربية ؛ ولكي يتاح كذلك لطلبة الجامعات العربية حديثة العهد باستعمال العربية في التدريس ، ولمدرّسيهم ، فرصة الاستماع الى مدرسين زائرين أُلفوا التدريس بالعربية ، وهم يحاضرون بهذه اللغة .

ج ـ تنظيم دراسات للتقوية في اللغة العربية تُعَدّ خِصّيصا لمدرسي العلوم الانسانية ، ويُعْتَمَد فيها على نصوص مختارة من مواد تلك العلوم ، ما بين قديمة وحديثة ، فتكون هي المحور الذي يُنطَلَق منه في عملية التقوية ، وذلك بغرض اكتساب المهارات اللغوية ، بما في ذلك التعبير غير المتعثّر مشافهةً وكتابةً بالعربية ، ومن أجل الالفة بالنص العربي المرتبط بالعلوم الانسانية . وقد يُدخل في هذه الدراسات كذلك اعمال ترجمة من اللغة العربية واليها في نطاق تلك العلوم ، وكتابة تقارير وبحوث قصيرة فيها باللغة العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د ـ وقد يكون مما يفيد ، حيثما توافرت الامكانيات ، ان يحضر هؤلاء المدرسون بعض المحاضرات في كليات التربية الموجودة في جامعاتهم ، للاستماع الى اساليب تدريس العلوم الانسانية التي تقع ضمن اختصاصاتهم ؛ اذ ان ثمة الكثير من العناصر المشتركة في عملية تدريس مواد معينة ، حتى في مستويات تعليمية مختلفة ، ولا سيما ونحن نركز هنا على اللغة التي يجري بها التدريس .

المصطلح :

ومن اوائل القضايا التي يوردها المتخوفون من تعريب التعليم الجامعي بشكل عام ، قضية المصطلح ، انطلاقا من فكرة صحيحة ،

مؤداها أن المجتمع الذي ينتج المادة العلمية ، ينتج معها مصطلحاتها . وبما أن مجتمعنا ما يزال عالة على الانتاج العلمي الغربي ، الذي يتسارع في عصرنا هذا بصورة لم يسبق لها مثيل ، فانه سيواجه هذه المصطلحات الاجنبية الكثيرة التي تتسارع مع تسارع الانتاج العلمي . واذا أمكن لشعوب لم تمرّ لغاتها بالتجربة الحضارية التي مرت بها الأمة العربية ، أن تتجاوز هذه الصعوبة ، فتدرّس وتكتب وتؤلف في العلوم الحديثة كلها بلغاتها ، فان بامكاننا أن نتجاوز هذه الصعوبة كذلك اذا ما قررنا نحن مواجهتها ، وخَطّطنا لايجاد حل لها ، على أساس العمل الجماعي المنظم .

وأول ما ينبغي فعله في هذا السبيل ، التخلّص نهائيا من موقف الكثيرين من اللغة العربية واللغات الاجنبية ، وهو موقف الاعجاب والاكبار للغات الاجنبية ، واعتبارها لغات العلم والمعرفة والحضارة القادرة على مواكبة الحياة الحديثة ؛ وموقف الاستضعاف لشأن اللغة العربية ، واعتبارها لغة الماضي ، أو على أكثر تقدير ، لغة الشعور والعواطف والادب ، لا لغة العلم والمعرفة ، المنبثقين عن الحياة المعاصرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحين نتخلّص من هذه العقدة ، يمكن أن نسير في حل مشكلة المصطلح في العلوم الانسانية على ضوء مجموعة من الحقائق ، نلخّصها فيما يلي :

١ ــ ان المصطلحات المستجدّة الخاصة بالعلوم الانسانية هي،في الواقع ، أقلّ بكثير من نظيراتها الخاصة بالعلوم الطبيعية والتطبيقية .

٢ ــ ان تراثنا العربي ، بدءًا بالقرآن الكريم والسنّة النبوية ، ومرورا بمؤلفات ادباء العربية وكتّابها الكبار عبر القرون ، حافلة بالمصطلحات المتعلقة بالعلوم الانسانية ؛ وهذه المصطلحات ،

حين تفرغ وتنظم في جداول حسب موضوعاتها ، كفيلة بأن تُمِدّ الدارس بالكثير مما يحتاج اليه من الالفاظ التي يتلمّسها للدلالة على معان جديدة عليه . وفضل هذه الالفاظ على غيرها ، انها قد اكتَسَبَت ،عبر تاريخ استعمالها في البيئة العربية ، دلالات وايحاءات لا يمكن ان تكون لالفاظ اخرى ، فضلا عن انها استُخدِمَت في ظل حضارة وقِيَم عربية ، وطرائق عربية في الحياة .

٣ ــ واذا عَزَّ اللفظ العربي لمصطلح اجنبي جديد ، فمن الافضل ان يُنْظَر في تلمُّس المصطلح العربي المقابل الى وظيفة المصطلح الجديد ، او الى مدلوله الفعلي في لغته . ولقد مررنا في مجمع اللغة العربية الاردني بهذه التجربة ، في مصطلحات تَمُتّ الى ميادين علم مختلفة ، وكنا نسترشد بوظيفة المصطلح الاجنبي ، ولا سيما اذا لم يسعفنا البناء اللغوي للمصطلح ، فنجد في ذلك عونا لنا في تقديم المقابل العربي . وقد يشذّب لفظ المصطلح ، وقد يؤخذ جملة كما هو ان كانت له صبغة عالمية لا تحصره في نطاق لغة دون اخرى .

٤ ــ ولكي يمكن امداد المترجم او المدرس بذخيرة من المصطلحات في مادة تخصّصه ، تُلْتَمَس هذه المصطلحات في المعجمات الاجنبية المتخصّصة ، ومن ثم تُلْتَمَس لها المقابلات العربية .

٥ ــ واذا كان الامر يستدعي في البداية ان يُضَمّ مصطلحات كل فرع من فروع العلوم الانسانية كراسٌ خاص بها ، فان الهدف النهائي ينبغي ان يكون وضع معجم كبير لمصطلحات العلوم الانسانية ، يكون عونا للدارس والمدرس على السواء ، ويضمّ بين دفتيه المصطلحات المأخوذة من تراثنا ، اضافة الى المصطلحات المستجدّة . وقد يكون من الخير ان يحتوي هذا المعجم على الفاظ مقابلة بلغة اجنبية واحدة على الاقل ، لما في

ذلك من عون للباحثين والمترجمين في اطار هـذه العلوم . وهذا المعجم، كاي معجم آخـر ، يكون قابلا للتنقيح والزيادة ، فـي فترات زمنية متّفق عليهـا .

٦ ــ وغنـيّ عن البيان ، أن جهودا كهذه لا يمكن أن تكـون فرديـة ، وذلك بسبب ضخامتها وعجز الافراد عن القيام بهـا ، ولاننا نتطلع الى ايجاد المصطلح العربـي الشامل ، لا المصطلح الخاص ببلـد دون آخـر . وكثير من المشكلات التي نواجهها في تعريب العلـوم الانسانية ، انمـا كانت نتيجة انبثاق المصطلح من جهـد فردي أو اقليمي ، دونمـا تنسيق بين الجهود على نطاق الوطـن العربـي كلّـه .

٧ ــ ولتوحيـد المصطلح على نطاق العالم العربي ، ولامكان القيـام بالمجهودات الكبيرة التي تتطلّبها عمليـة التوحيد ، ثم عمليـة الطباعة والنشر ، يمكن السير في خطوات لم تُعُدْ مجهولة لمـن شاركوا في أعمـال التعريب ، والهيئات التي تنظّمهـا وتشرف عليها في العالـم العربي ، وهي كما يلـي :

أ ــ تقـوم الهيأة المحلية في بلـد عربي بمجهود على مستوى ذلك البلـد ، في عملية تعريب المصطلحات . وهـذه الهيـأة ، غالبا ما تكون مُجْمعا للغـة العربية، إن وُجـد ، أو جامعة ، أو أيـة مؤسسة معنية بأعمال التعريـب ، مثل لجان التعريب والترجمة والنشر الوطنيـة .

ب ــ تُرسَـل حصيلة هذا المجهود الى اتحاد المجامـع العربية ، ومكتب تنسيق التعريب في الربـاط ، والمنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلـوم .

جـ ــ تُضَـمّ هذه الحصيلة الى نظائرها في كراس يُخَصَّص لكـل مـادة ، وتقدَّم الكراسات المختلفة الى مؤتمـر التعريب

العلمّ الذي ينعقد مرة كل ثلاث سنوات ، وتُناقَش مقترحات البلاد العربية المختلفة من خلال لجان تنبثق من المؤتمر ، وتختصّ كل منها بمادة من المواد .

د ــ يُمثِّل ما اتفقت عليه هذه اللجان تَبَنِّيًا على مستوى العالم العربي لمصطلحات معينة . واذ تطبع هذه المصطلحات وتوزع ، فان كل بلد عربي ، في جامعاته ومؤسساته المختلفة ، يكون ملتزما ادبيا بالاخذ بها واستعمالها .

هـ ــ وحين تتكامل هذه المصطلحات ، وتشمل مراحل التعليم المختلفة ، ينبغي أن تُجمَع في معجم فنّي يضمها جميعا .

ولا بدّ هنا من التنويه بالجهد الذي يبذله مكتب تنسيق التعريب، في الرباط ، في جمع المصطلحات المرتبطة بميادين معرفة مختلفة وتنسيقها ، واخراجها في كراسات ، فضلا عن نشره طائفة كبيرة من هذه المصطلحات في (اللسان العربي) ، المجلة التي تصدر عن المكتب . وحبّذا لو كانت الاستفادة من هذه الكراسات والمجلة على نطاق أعمق وأوسع في البلاد العربية ، اذ ان الكثيرين ، حتى من المختصّين ، لم يستفيدوا ، أو لم تتح لهم فرصة الاستفادة ، من محتوياتها .

ومما يرتبط بموضوع المصطلحات في الدراسات الانسانية ، أن يُتَّفَق على أن توضع في نهاية كل كتاب يُتَرجَم الى العربية من لغة أجنبية ، قائمة بالمصطلحات التي وردت في الكتاب ، مع مقابلاتها العربية التي استعملت في الترجمة ؛ لان في ذلك فائدة لقارىء الكتاب ، ولان حصيلة هذه القوائم ستكون من الروافد التي ترفد عملية التعريب المستمرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنهـــــاج :

قـــد يبـــدو الحديث عن المنهاج في موضوع تعريب العلـــوم الانسانية امـــرًا خارجا عن الموضوع ؛ ولكن اذا فهمنـــا تعريب هذه العلوم بالمعنـــى الواسع ، الذي يتجاوز مفهـــوم الترجمة ونقـــل المفردة الاجنبية الى العربية ، فـــان منهاج هذه العلوم يدخل مباشرة في موضوع التعريـــب ، لان تعريب العلوم الانسانية ، ينبغي ان يُفهَـــم منه كذلك ارتباط هذه العلوم بمـــوادّ دراسية تتصل بالمجتمع العربي في حاضره وماضيه ومستقبله علـــى السواء . ونحن اذا استعرضنـــا مناهج التربية وعلـــم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد ، على سبيـــل المثـــال ، فاننا قلّما نجد في هذه المناهج مـــادة كافية عن مبادىء التربية العربية الاسلاميـــة،او اشكال تطبيقها ، او عـــن النظرية الاجتماعية الاسلامية ، وما أُنجـــز في هذا الميدان من دراسات ، او عـــن الاقتصاد الاسلامي كما يمكـــن استخلاصه من النظرية والتطبيـــق .

ثـــم ان هذه المناهج ، قَـــلَّ أن تُركِّز على المجتمـــع العربـــي الحديث ، في دراسة أوضاعه الراهنة ، واستقصاء حاجاتـــه ، وتَلَمُّس الحلول لمشكلاته . فالدراسات الانسانية ليست مجـــرد دراسات نظرية ، بـــل هي ، في الدرجة الاولى ، دراسة لمجموعة الناس التي ينتمي اليها الطالب ، او هكـــذا ينبغي ان تكون . وهي بالتالي ينبغي ان تكـــون في الجامعات العربية دراسة للمجتمـــع العربي في حاضره وماضيـــه ، قبل ان تكون دراسة لمجتمعـــات اخرى . وتعريب هذه العلوم ينبغي أن يُفْهَم منه ، ضمن مـــا يُفْهَم ، توجيهها لخدمة الانسان العربـــي والمجتمع العربي ، من اجـــل صياغة الفكر العربي،والاتجاهات والمواقف العربية ؛ لأنّ هذه العلـــوم ، دون غيرها ، هي التي تحـــدد هويـــات الأمـــم ، وهي التي تُعرِّف ابناءها بماهية المجموعة الانسانية التـــي ينتسبون اليها : بتراثهـــا الماضي ، ووضعها الحاضر ، وتطلعاتهـــا نحـــو المستقبـــل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذ ندعو الى أن تعالج في مناهج العلوم الانسانية قضايا الانسان والمجتمع العربيين ، لكي لا تكون هذه المناهج نُسَخًا عن مناهجَ وُضِعت لمجتمعات غير مجتمعنا ، فاننا لا نقول بالانقطاع عن العالم الخارجي ، وما تَوَصَّل اليه هذا العالَم من افكار ونظريات تتعلّق بهذه العلوم ، ومن تجارب في نطاق مادتها ؛ غير أن ذلك ينبغي تناوله بالقدر الذي يمكن الاستفادة منه في مجتمعنا وبيئتنا ، حتى لا يَشْعُر طالب التربية،مثلا ، انه يعالج أمور التربية في أمريكا ، ولكي لا يشعر طالب الاقتصاد أن قضايا السوق الاوروبية المشتركة ، مثلا ، تطغى على القضايا الاقتصادية التي يواجهها العالم العربي ، والبلد الذي يعيش فيه .

ولما كان مدرِّس المادة في الجامعة هو الذي يضع ، في المعتاد ، منهاج مادته ، فانه مدعوٌّ الى أن تكون هذه المادة عربية الاهتمامات بالدرجة الاولى ، مع ضرورة الالمام بأية نظريات أو تجارب عالمية نافعة يستفاد منها جميعا ، باعتبارها ادوات مساعدة يستخدمها الباحث للوصول الى الحقائق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الترجمة :

عملية التعريب في العلوم الانسانية ، كما في اي نوع من علوم العصر ، تقتضي ترجمة كتب اجنبية كثيرة الى اللغة العربية .

وتلك بديهية من البديهيات ، لا تحتاج الى تبرير أو تعليل . ولكن يبقى أن نتساءل عن نوعية الكتب التي تُتَرجَم ، والكيفية التي تَجري بها الترجمة ، لانه لا يمكن أن يُترَك امر ترجمة الكتب الى الافراد وحدهم ، لكي يختاروا ما يشاؤون منها ويترجموه كما يشاءون .

ولعل النقاط التالية ، تمثل ايجازا لمجموعة من التصورات في هذا الشأن :

أ ــ تتكوّن باشراف اتحاد الجامعات العربية لجان ، يختصّ كلّ واحدة منها بواحد من العلوم الانسانية ، وتضمّ اعضاء هيئات تدريس مختصين من جامعات عربية مختلفة ، لاختيار امهات الكتب في الموضوع المعنيّ ، من أجل نقلها الى العربية .

ب ــ يوكل الى كل بلد عربي ، من خلال جامعاته الممثّلة في الاتحاد ، ترجمة كتب معينة من تلك التي اختارتها اللجان المختصة ، حسب امكانيات البلد البشرية والمالية ، واللغة الاجنبية الشائعة فيه .

ج ــ تتعاون الجامعات العربية في كل بلد عربي مع مجامع اللغة العربية حيثما وجدت ، ومع أية هيأة أو افراد يمكن أن يسهموا في عملية الترجمة ، وتضطلع هذه الجامعات بنفقات الترجمة والطباعة .

د ــ تستفيد الجامعات العربية جميعها من الكتب المترجمة ، بأن تقتني منها في مكتباتها ، وبأن تتيح لمن يشاء من طلبتها الحصول عليها .

هـ ــ تجتمع هذه اللجان اجتماعات دورية ، كل ثلاث سنوات على الاقل ، من أجل اقتراح كتب جديدة للترجمة .

و ــ يُوصَى بأن يكون مثل هذه الترجمات ، حين يضطلع بها أعضاء هيئات التدريس ، سبيلا الى الترقية في المراتب الاكاديمية .

ز ــ لتسهيل عملية الطباعة والنشر ، قد يكون من المفيد أن تنشأ في كل جامعة عربية،كما هي الحال في الجامعة الاردنية ، دار للنشر ، تتولى الانفاق على الترجمة والطباعة ، وتقوم بعملية النشر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ح ــ ايّــا ترجمة لكتاب في جامعة عربية ، يُعَمَّم خبرها على جميــع الجامعات ، ومجامع اللغــة العربية ، والمنظمة العربية للتربيــة والثقافة والعلوم ، ومكتــب تنسيق التعريب في الربــاط ، احترازا من ازدواج الجهد والنفقــات .

ويجــدر القول هنا إنّ لمجمع اللغــة العربية الاردني تجربــة متواضعة ناجحة في ترجمة الكتــب العلمية ، اذ اختار المجمــع ، بمعرفة المختصّين في كليــة العلوم في الجامعة الاردنية ، مجموعة من الكتــب التي تُدَرَّس للسنة الاولى في اقسام الكليــة المختلفة ، وكلّف مجموعــة من اساتذة الجامعة الاردنية وجامعــة اليرموك ترجمتها . وقــد سار العمل في الترجمة سيرا مرضيا ، وستكون الترجمات العربيــة جميعها في متناول ايدي الطلاب ، باذن اللــه ، قبل نهاية عام ١٩٧٩/٨٠ ، مع قوائم في نهاية كل كتاب مترجــم ، تضم المصطلحات الواردة فــي الكتاب ، مع مقابلاتها العربية . وقــد أُحيطت الجامعات العربيــة ومجامع اللغــة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلــوم علمــا بذلك . والمتوقّع الاّ تقتصر الاستفادة مــن هذه الكتب علــى جامعتي الاردن ، بــل ستكون عامة في الجامعات العربية كلها . فــاذا استطاع المجمــع الاردني ، بامكانياته المتواضعة ، ان يشرف علــى هذه الترجمات وينفّذها ، فــان الامكانيات المتضامنة للجامعات العربية ، كفيلة بأن تنتج اضعاف ما انتجه هذا المجمــع . والامل وطيد في ان تساعِد هذه الكتب المترجَمة على البــدء، في اقرب وقت ممكن، بالتدريس باللغــة العربية في كليــة العلوم في الجامعة الاردنيــة .

وبمــا ان تَتَبُّع المستجدّ في علوم العصر عامة انما يُلْتَمَس عادةً فيما تنشره الدوريات العلمية ، فانّ من المفيد جــدا ان تحيا توصيةٌ كانــت قد اتُّخِذَت في حلقــة الترجمة التي انعقدت في الكويت عــام ١٩٧٣ ، ومؤداها ان تَصْدُر عن المنظّمة مجلّــة علمية ، تُنشَر فيها ترجمــات البحوث التي تُتَخَيَّر لأهميتها ، ومثل هذه المجلــة ، ان وُجدت ، يشارك في الكتابة فيهــا الاساتذة المختصون في ايــا جامعة من الجامعــات العربيــة .

وقد يتبنى اتحاد الجامعات العربية نشر هذه المجلة ، وتَخَيُّر موضوعاتها ، وتوزيع مادتها الاصلية على الجامعات العربية للقيام بترجمتها . ومثل هذا المشروع لو خرج الى حيّز التنفيذ ، فانه سيكون ذا فائدة مزدوجة ، لانه يصل المختصين بالجديد من البحوث في ميادين اختصاصهم ، ويُهيّىء لهم الفرصة لنقل المادة المكتوبة بلغة اجنبية الى اللغة العربية ، بما يحمله هذا النقل من استعمال للغة العربية في التعبير عن هذه العلوم في احدث أوضاعها ومعطياتها ، ومن تعريب للمصطلحات التي تَرِدُ في بحوثها . وهنا يجدر ايضا ان تُتْبَع كلُّ ترجمة لبحث من البحوث بقائمة تضمّ ما ورد فيه من مفردات اصطلاحية ، تُكْتَب بكلتا اللغتين : العربية والاجنبية .

التأليف والنشر :

ايّما حديث عن التعريب لا بد ان يُذْكَر فيه ، في معرض تعداد الصعوبات ، قلّة المراجع باللغة العربية . وهذا التهيّب من التعريب، والتحدّث عن الصعوبات التي تكتنفه،سيبقيان على الالسنة الى ان يَدْخُل المسؤولون عن التعريب فِعلاً في التجربة ؛ فمثل هذا التهيب كان قائما في السودان بالنسبة الى تعريب التعليم الثانوي ، قبل ان يصبح هذا التعريب حقيقة واقعة ؛ وهو ما يزال قائما بالنسبة الى بعض مراحل التعليم العام في بعض من اقطار المغرب الشقيقة. والواقع انه بالنسبة الى العلوم الانسانية ، تُمثّل المراجع مشكلة اخفّ بكثير من مشكلة المراجع في العلوم الطبيعية ، لان ما أُلِّف بالعربية في هذه العلوم ، اكبر بكثير مما أُلّف بها في العلوم الطبيعية . ولكننا نبقى مع ذلك بحاجة الى مزيد من المؤلفات من نمط معين ، هو النمط الاكاديمي الذي يَحمل سِمَة البحث العلمي .

وحين يوضع أساتذة الجامعات العربية أمام مسؤولياتهم تجاه طلبتهم ، بعد التعريب العامّ الشمولي للعلوم الانسانية ، فانهم لا بد ان يؤلفوا ويترجموا لكي يؤمّنوا لطلبتهم المراجع التي لا بد منها ، لان تعريبا بالمعنى الصحيح ، ينبني عليه الا تفي الكتب الاجنبية

باحتياجات الطلبة العرب ، حتى لـو كان الطلبة قادرين ، من الناحيـة اللغوية ، على استيعاب المـادة المكتوبة باللغة الاجنبية . وهنـا أود ان أتحدث عن تجربة عمليـة في الجامعة الاردنية ، تُدِّر لكاتب هـذه السطور الاطلاع عليها عن كثب ، حين كـان يشغل منصب عميـد البحث العلمي والدراسات العليـا في الجامعة المذكورة . هذه التجربة ، تمثّلت في اتاحة الفرصة لاساتذة الجامعـة لأن يقدّموا بحوثا اصيلـة الى مجلـة علمية تصدر عن العمادة تحت اسـم (دراسـات) ، يُعْتَبَر النشر فيها من سبل الارتقاء في المراتـب الاكاديمية . واُشتُرِط فيما يُقدَّم للنشر فيهـا في اطار العلوم الانسانية ، أن يكون باللغـة العربية دون غيرها ؛ كمـا تمثّلت في اتاحة الفرصة لاعضاء هيـأة التدريس لان يتقدموا بمؤلفات لهـم تدعمها العمادة ماديـا ، في اطار ميزانية دعـم البحوث العلمية .

وقـد يصل الدعم، بالنسبة الى الكتب المتميّزة ، الى حـدّ تغطيـةٍ كلّيّـةٍ للنفقات ، بالاضافة الى نشر الكتاب ، ومكافأة مجزية للمؤلـف ، وذلك في اطـار دار النشر التي انشئت في العمـادة ، ورُصِدَت لهـا ميزانية خاصة . وغنـيّ عن البيان أن المؤلفات التي تدعمها العمـادة ، تكون هي الاخرى من سبـل الارتقاء في المراتـب الاكاديمية في الجامعة .

ومعنى ذلك انـه عندما يواجَهُ استاذُ علـم من العلوم الانسانية بحاجته وحاجة طلبتـه الى المراجع العلمية ، في ظِـلِّ مناهج يخططها هو لتسدّ احتياجات المجتمـع الذي يعيش فيه ، ولا تكفي فيها المراجـع الاجنبية والمراجع العربية المطبوعـة ، وحين يَجِدُ هذا الاستـاذ ان مؤلفاته تَحظى بسُبُل الدعم المالـي والنشر ، وتهيّىء لـه اسباب الترقية في جامعته ، فـان كل هذه ستكون عوامل تدفع بـه الى ان يكتب بحوثا اصيلة ، او يُعِـدّ ترجمات لنشرها في مجلـة ذات قيمة علمية تصدر عن جامعته ، والى ان يؤلف كتبا في مـادة اختصاصه وهـو مطمئـن الى توافر كل ما يحتاجه الكتاب الجيـد من متطلبات ، قد يعجز الفـرد عن تأمينها . والواقع ان المجلـة التي تصدر عن عمـادة البحث العلمي

والدراسات العليا في الجامعة الاردنية ، لم تكن تقتصر فيما تنشره على انتاج العاملين في الجامعة ، اذ كانت وما تزال تنشر المادة الصالحة من حيثما وردت ، بعد أن يُقوِّمها المختصّون .

ذكرتُ هذه التجربة في الجامعة الاردنية ، لأقول إنها تجربة قابلة لان تعمَّم في كلّ جامعة عربية ، لانها سبيل عملي للحفز على كتابة البحوث وتاليف المؤلفات في كل جامعة . وجدير بالذكر ان ما كان يصدر عن العمادة من مجلات وكتب ، كان يجد سبيله الى الجامعات العربية عن طريق الاهداء والتبادل .

ولا شك أن تعميم التجربة على الجامعات العربية كلِّها سيُغني اثراءً لمكتبات هذه الجامعات ، وتأمينا للمراجع المطلوبة ، او لعدد كبير منها على الاقل .

الطالب :

من المسلّمات ، أن الطالب العربي يفضّل ان تكون دراسته في العلوم الانسانية ، وايسة علوم اخرى ، بلغته العربية ، لان ذلك يكفيه جهدا ووقتا يُبذَلان في تقصّي معاني المفردات والتركيبات اللغوية الاجنبية.

ولذا فاننا لا نحتاج الى أن ندفع الطالب العربي الى قناعة باستعمال اللغة العربية فيما يتعلم في الجامعة . بقي ان نتلمّس الدور الذي يُمكِن لهذا الطالب أن يضطلع به في عملية التعريب ؛ ولا سيما أن الطالب الجامعي الآن اصبح له دور ايجابي في العملية التعليمية ، مثلما ان له دورا في العملية التعلُّمية ، ولم يُعُد مجرد مُتَلَقٍّ للمعارف عن اساتذته . وفي نطاق المشاركة والتعاون مع أستاذ الجامعة ، يمكن للطالب الجامعي أن يُسهم في تعريب العلوم الانسانية على النحو التالي :

أ ـ قد يعمل بتوجيه من أساتذته على استقصاء الكتب العربية في العلوم الانسانية ، سواء أكانت كتبا تراثية ، أم كتبا حديثة ،

مع تعريف موجز بهـا ؛ وذلك بالاستعانة بمكتبة الجامعة ، او بأيمـا مكتبة قد تتوافر فيها هذه الكتب .

ب ـ وقـد يقوم الطالب الجامعي بالاسهام في استقصاء المفـردات ذات الدلالة الاصطلاحية في كتـب التراث العربي، الخاصة بالعلـوم الانسانية ، ثـم ترتيب هذه المصطلحات والتعريف بدلالاتهـا .

ج ـ وقـد يقوم الطالب، من ناحية اخرى، بالمساعدة في رصد المصطلحات الاجنبية في هـذه العلوم، بتجريدها من كتـب انجليزية او فرنسية ، حسب اللغـة الاجنبية المستعملة في جامعتـه .

د ـ وقـد يُكلَّف ترجمة فصل او فصول من كتـاب اجنبي ، ليتمرَّس بالاسلوب العربي والاجنبي في هـذه العلوم ، ويألف مصطلحاتـه في غيرما لغـة واحدة .

هـ ـ ويمكـن أن يقوم خلال العام الدراسي بكتابة بحـوث باللغـة العربية ، يستعين في كتابتها بمصادر عربيـة واجنبية ، ثـم يناقش هذه البحوث مع زملائـه تحت اشراف استاذه في قاعة المحاضرة ، لكي يتدرّب هـو وزملاؤه على معالجة موضوعات هذه العلـوم مثافهة ، مثلمـا يتدربون على معالجتها كتابـة .

و ـ وفي نطـاق الدراسات العليا التاليـة للشهادة الجامعية الاولى ، يوجَّـه الطلبة لكتابة رسائلهم العلمية باللغـة العربية ـ كمـا يجري الآن فعلا في معظم الجامعات العربيـة ـ ويُحرَص على أن يهتموا، في مـادة رسائلهم هذه بصورة خاصة ، بالمجتمـع العربي في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وأن يبـرزوا ما أمكن النظريـة الاسلامية فيمـا يتعلق بالقضايا المثارة ، وكذلك المعطيات التاريخية للحضارة الاسلامية ، بشأن مـا يعالجونه في دراساتهم ؛ مـع الاستفادة الكاملة من ايـة نظريات او دراسات او ممارسـات موجودة في أي مجتمع من المجتمعات العالميـة .

وقـد يكون من المناسب ، أن أستفيد من ملاحظة وردت في ورقـة قدّمها الدكتور سيد حامد حريز الى المؤتمـر التاسـع لاتحاد المعلمين العـرب في شباط ١٩٧٦ ؛ ومفاد هذه الملاحظـة ، انـه ينبغي الا نرى العالَم من حولنـا ، او نرى انفسنا بعيـون انجليزية او نسية . وهنـا قد نحتاج الى التذكير بأن اللغـة ليست وسيلة تواصل واتصال فقط ، وانمـا هي كذلك طريقـة احسـاس وتفكـير .

ز ـ وفي البـلاد التي ما يزال التعليم في المرحلة الثانوية فيها باللغـة الاجنبية ، لا بـد من التنبيه الى ضرورة تعريب التعليم الثانـوي قبل أن ينتقل الطالب في تلك البـلاد الى المرحلة الجامعية ، لان من المخالف لطبائع الاشياء أن نستعين بالطالب الجامعي الجديـد في عملية التعريب ، وهـو نفسه ما يزال لم يُعَرَّب بعد في ثقافتـه .

القـرارات والتشريعـات :

مـن الممكن أن يتجادل القائمون على التعليم الجامعي مـدّة نصف قرن حول تعريب هذا التعليـم ، وأن ينقسموا بين محبِّـذ ومعارض ، دون أن يُعْدَم اي من الفريقين حججـا يقدمها لدعم موقفه . واذا كنا قـد أحجمنا في هذه الكلمـة المتواضعة عن تفصيل الحجج المؤيـدة للتعريب ، اعتقادا منـا بأن تلك مرحلة قد فرغ المعنيّون بالموضوع منها وتجاوزوها ، فانه لا بـدّ من القول إنّ اجراءً واحدا فقط هو الذي ينقـل الموضوع كلّه من حيز الجدل النظري الـى حيز التطبيق العلمي ، وذلك هـو القرار السياسي أو القانوني او الاداري ، سواء أَصْدَرَ هذا القـرار عن السلطة العليا في الدولـة العربية ، أم عن وزارة تعليمٍ عـال ، إن وُجِدت ، أم عن ادارة كـلّ جامعة من الجامعات العربية . واذ يوضع أعضاء هيـأة التدريس أمام الامر الواقع ، فانهـم سوف يواجِهون متطلباته ، ويُعِدّون لـه ما يحتاجه . والصعوبات التي سيواجهونهـا ، ستعالَج من خلال التكيّف بعـد ممارسة التجربة،لا قبلها ؛ فنحـن لا

نستطيع أن نتكيف مع أوضاع لم نمارسْها اطلاقا ، ولا يمكن لتَهيُّبٍ من شيء أن يزول الا بعد أن يُمارَس ذلك الشيء فعلا ، وغالبا ما يُتَبَيَّن أن ما تَهَيَّبْنا منه كان مبالغا فيه . واذا كانت النقلة الى اللغة القومية قد نجحت في عدد كبير من بلاد الدنيا ، فلا يوجد سبب يحول دون نجاحها في الجامعات العربية . وقد يبدو من باب المتناقضات أن عالَمًا كالعالَم العربي ، بموقعه الفريد ، وامكانياته الاقتصادية الهائلة ، وبتجربة لغته الحضارية العريضة العريقة ، وبما له من دور في شؤون العالم المعاصر ، ما يزال يتهيّب الدخول في تجربة التعريب ، مع أن تاريخ الحضارات يثبت أن الأمم انما تبدع بلغاتها القومية ، وأن الذي يكون عالة على لغة أجنبية فيما ينطق به ويكتبه ، يكون كذلك عالة على الناطقين بتلك اللغة فيما يحتاجه ، بل فيما يفكر فيه .

خاتمة :

وفي النهاية ، أسمح لنفسي بأن أستفيد مباشَرَةً من فكرتين أوردهما الدكتور رشدي فكار في بحثه الذي قدّمه الى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عُقِد في بغداد في آذار عام ١٩٧٨ ؛ وأُولى تلك الفكرتين تتعلّق بالدعوة الى القيام بعمل جماعي متكامل ، يَرصُد مراحل تطوّر امتنا دون أهواء أو تذوقات شخصية لكل مفكر على حدة ، والثانية تتعلّق بتقديم النظريات العامة لحضارة اليوم الغربية ، وقدراتها المنهجية ، وعدم ترك الساحة الفكرية للترجمات التجارية والمبيتة والموجهة ، بهدف سلب شبابنا ذاتيته ، وتعريبِهِ وتشكيكِه في أرضيّته .

والهدف من الفكرتين واضح،فهو يتمثل في استبانة المعالم الكبرى للتطوّر الحضاري الذي مرّت به امتنا ، حتى تتراءى تلك المعالم بصورة موضوعية في أحجامها الحقيقية ، وفي ركائزها الاساسية ، كيلا يضيع الدارس في التفصيلات الجانبية ؛ وكذلك في استبانة

الاسس والمفاهيم التي تقـــوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة ، كيـــلا يضطرب الدارس بين الاصل والفرع ، والجوهر والمظهر ، ولكي يتجنّـــب المزالـــق ، فياخذ من تلك الحضارة ما ثبت نفعـــه دون ضرره ، ممـــا يساعده على تحديد طريقه ، والاستقلال بشخصيته ، والنجاة مـــن اقتداء جاهل او تبعية غـــير مبصرة .

الدكتور محمود ابرٰهيـــم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللغة والأسلوب في شعر (عرار)

للدكتور محمود السمرة
(نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردني)

قبل ثلاثين عاما توفي مصطفى وهبي التل ، وقبل خمسة وعشرين عاما صدرت الطبعة الاولى من ديوانه « عشيات وادي اليابس » في عمان .

ورغم أن عرارا مشهور معروف في الاردن ، وهو شاعر الاردن دون منازع ، يحفظ شعره المثقفون ، ويردده حتى من نالوا حظا قليلا من الثقافة ، الا انه لا يكاد يعرفه احد خارج الاردن .

لماذا ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لعلّ من أسباب ذلك أن ديوانه الاول صدر في وقت كانت فيه امكانيات الطباعة في الاردن محدودة جدا : فالحروف صغيرة ، والاخطاء كثيرة ، والورق رديء ، والتوزيع معدوم .

ثم : ان شعر عرار مُحَلّي ، مغرق في محلّيته : محلّي في موضوعاته ، واشاراته ، وكثير من تعبيراته . وما لم يتمثل القارىء هذه كلها تمثلا واضحا ، فان تجاوبه مع هذا الشعر يبقى محدودا . وقد بذل المرحوم الاستاذ محمود المطلق جهدا طيبا في شرح ما يحتاج الى شرح ، لتقريب هذا الشعر الى أذواق القراء العرب . واذكر انه ما من مرة تذاكرت شعر عرار مع اخوة عرب ، وقدّمت لهذا الشعر بما يُعين على ادراكه وتمثّله ، الا وجدت عندهم استجابة له ، ودهشة لان مثل هذا الشاعر غير معروف عندهم .

ثم : هناك لوم يقع على ادباء الاردن : فهم لم يعنوا انفسهم بالتعريف بالشاعر وتقديم الدراسات عنه ، الا في نطاق محدود .

* * *

لكلّ هذا وجدتُ ان الحاجة اصبحت ملحّة لاصدار طبعة ثانية من الديوان ، وخاصة عندما وُضعت بين يدي اوراق الشاعر ، فوجدتُ فيها شعرا يستحق ان ينشر ، ولم ينشر .

وهكذا ، في سنة ١٩٧٣ صدر ديوان « عشيات وادي اليابس » في طبعة جديدة فريدة ، تعكس تقدم فن الطباعة في الاردن الحديث ، وتضع بين أيدي القراء شعر الشاعر الاول في الاردن في شكل يليق بجمال هذا الشعر ؛ وقد زينته رسومات الفنان الموهوب مُهَنّا الدرة ، آملين من ذلك ان نستطيع ايصال الديوان الى ايدي محبي الشعر الجيد ، لا في الاردن فحسب ، بل في اكثر عدد ممكن من البلاد العربية الشقيقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن ما أردناه لم يتحقق ، لسبب بسيط هو افتقارنا الى مؤسسة ، او شركة ، لتوزيع الكتاب الاردني وتسويقه . وبقيت هذه الطبعة يسعى الى الحصول على نسخة منها ، ويجدّ في السعي ، من يجد الرغبة في ذلك .

* * *

وفي رايي انه ما زالت هناك حاجة الى اصدار طبعة جديدة من الديوان ، يقوم المحقق فيها بايراد الروايات المختلفة للأبيات ، وترتيبها في القصائد ؛ فقد خلصتُ من اطلاعي على اوراق الشاعر الى أن الصورة التي بين ايدينا للقصائد والابيات ، ليست الا صورة واحدة من صور عدة : ففي كثير من القصائد نجد ترتيب الابيات مختلفا ، والتغيير في الفاظ الابيات كثيرا . ويحضرني هنا التحقيق الامثل الذي قام به المستشرق Ritter لكتاب « اسرار البلاغة »

للامام عبد القاهر الجرجاني ، وتحقيق الاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد لديوان قيس بن الخطيم ، وتحقيق الاستاذ الدكتور احسان عباس لديوان لبيد . على هذه الصورة نريده . وقد شغلتني شواغل كثيرة عن النهوض بهذا العمل الذي يستغرق وقتا طويلا .

وفي رايي ان اوراق الشاعر التي بين ايدينا ، تغري الناقد ايضا بالقيام بدراسة نقدية نفسية : تدرس حياته ، وظروفه ، ومجتمعه ، باستقصاء . ثم تنظر في زمن نظمه لكل قصيدة ، والاسباب النفسية التي دعته لهذا التقديم ، وذاك التأخير ، وشطب هذه الكلمة أو تلك ، ولماذا استبدل بها غيرها . إن قام بهذه الدراسة ناقد بارع موهوب ، فربما حصلنا على دراسة نقدية ممتعة ، على غرار الدراسة التي وضعها John Middleton Murray عن الشاعر Keats بعد أن حصل على أصول قصائد الشاعر بخط يده .

* * *

وبعد ، فان لي على شعر عرار الملاحظات التالية :

١ ــ شعر عرار بسيط في مضمونه وشكله ، يقترب كثيرا من كلام الناس الذين هو منهم : عاش بينهم ، يشاركهم أفراحهم ، وأحلامهم ، وآمالهم ، ويأسى لاحزانهم ، وتدميه آلامهم؛ومع هذا فلشعره فعل السحر في نفوسهم .

لماذا ؟

في رايي ان السر في قوّة تاثير شعر عرار في النفوس انه شعر يعبّر عن تجربة محلية وانسانية ، معا ... تجربة عميقة ، فيها قدر طاغٍ من حدة الاحساس . وهو يعبّر عن هذه التجربة بالفاظ مشحونة بهذا الاحساس . وحالة الانفعال الحاد ، حالة تميّز الشعر الجيد عن غيره من الفنون الادبية الاخرى ؛ وهي حالة تصاحب الشاعر في اثناء عملية الابداع الفني ؛ ذلك لان الشاعر

الحق انسان يتمتع بحساسية غير عادية ، تجعله يتعاطف مع احداث الحياة الانسانية بدرجة عالية .

واللغة التي يستعملها عرار ، رغم محليتها ... ورغم بعض الاخطاء اللغوية والعروضية ، حافلة بالحياة ، تفتح عيوننا على عيوب في المجتمع ، قد نمرّ بها دون ان نحسّ بها ، واذا احسسنا بها ، فقد يكون هذا احساسا عابرا . ولكنها في هذا الشعر دفقات قوية ، تنبه العقل ، والنفس ، والاعصاب .

ومن الخطأ ان نعتبر شعر عرار وثيقة تاريخية ترسم بدقة ما كان يسود شرق الاردن زمنه ؛ ذلك لاننا نعرف ان الشعر ذاتي ، والشعراء يعبّرون عن أحاسيسهم ، وانفعالاتهم الخاصة . ونحن في بحوثنا لا نعتمد شعر الشعراء وثائق نستشهد بها ، وان كنا نستعين بها في حدود ضيقة . وهذا لا يضير الشعر ولا الشاعر : فالصدق الفني هو غاية الشاعر ، أما البحث عن الحقيقة فغاية العالِم .

ان الشاعر لا يعرض لنا الحقائق عرضا موضوعيا كما توجد في الواقع ، بل يحوّرها بفضل ملكة الخيال التي وُهِبها ، ويكوّن منها كُلاً فنيا موحّدا . ومنذ ان كان في الدنيا شعر ، كان قدر الشاعر أن يرى ويرصد المظاهر المختلفة لهذا الكلّ المعقد الذي نسميه الحياة الانسانية ، ثم يعبّر عن وقع هذا الوجود على وجدانه بصدق وجمال .

وسواء أقُلْنا بعد قراءة الشعر إننا نوافق الكاتب في رأيه ، أم لا نوافقه ، لان الحياة في واقعها ليست كما يراها ، فهذا ليس هو المهم ، وانما المهم أن قراءتنا لهذا الشعر تجعلنا ننظر الى الحياة من زوايا جديدة ، وتضيف الى تجربتنا في الحياة تجارب جديدة ، قد تكون أعمق وأنضج ، حتى اننا لنحس ، عندما نطوي آخر صفحة ، اننا ازددنا معرفة بالحياة والانسان .

وانت في شعر عرار تدخل دائرة التأثير ، وتبقى فيها الى ان تصل الى نهاية القصيدة ؛ ذلك لان شعره يخلو من سقطات بعض الشعراء

الكبار ، الذيـــن يجمعون أحيانا بين الرائع والرديء في القصيدة الواحدة ، ويجمعون بين صورتين متنافرتين في بيتـــين متتاليين .

واذا كنـــا قد بدانا القول بأن من صفات شعر عـــرار انـــه شعر مَحَلّي ، بالمفهوم الذي حدّدناه ، فمـــا موقف الجماليين ، والنقاد الجـــدد (The New Critics) ، الذين يسيطرون على دنيـــا الادب في ايامنـــا هذه في الغرب ، من مثل هذا الشعر ؟ انهم يرون ان القصيدة الجيدة مكتفية بذاتهـــا ، لا تحتاج للكشف عن أسرار الجمـــال فيها الى أن نعرف مناسبتها وظروفها ، ولا حتى من نظمها . وفي رايـــي أن هذا القول صحيح ، ولكن في حـــدود . وانا لست من المؤمنـــين ايمانا مطلقا بمـــا يقولون ، ومن المؤمنين بالمنهـــج التكاملي الذي يرى الاستفادة من كـــل النظريات النقدية ، لانهـــا متكاملة ، غير متناقضـــة . والاختلاف بينها هو اختلاف في زاوية الرؤيـــة .

٢ ــ شعر عـــرار شعر ملتزم .

وقـــد كان عرار شاعرا ملتزما ، بكل ما في هـــذا المصطلـــح من دلالة وابعاد . وكانت مواقفه واضحة جريئـــة : فقد وقف الى جانب الفقراء ، والمعوزين ، وهاجـــم المستغلّين ، ودعا الى المســـاواة ، ونـــادى بالعدالـــة .

وهـــذا موقف سيبقي عرارا مذكورا دومـــا كشاعر صاحب رسالة ، أجاد التعبير عنها في شعـــره .

وهـــذا يجعلنا نقف أمام قضية مهمـــة في الفن : فنحن كلما تناقشنا في الفـــن عامة ، وفي الشعر خاصة (وسأقصر حديثي هنا على الشعر) ، تساءلنا : مـــا غاية الشعر ؟

يـــرى البعض أن غاية الشعر هي المتعـــة ، وان القصيدة الجيدة هي التي تولـــد أكبر قدر منها . وفي رايي أن المتعـــة نتيجة ، لا غايـــة ، وان غاية الشعر عرض التجربـــة الانسانية عرضا يُرَسّخ في نفوسنـــا

قيمـــا ومواقف ، واذا كانت غاية العلـــم تفسير الوجود ، فان غايـــة الفـــن تقييم الوجود . وهذا ما فعلـــه عـــرار في شعره .

وهذا ما عناه كولردج في كتابه القيم « سيرة ادبية »
Biographia Literaria

عندما قال : ان الشعـــر ليس مجرد انفعالات واحاسيس ، فأرخص انواع الادب قادر على اثارتها . انـــه رؤيا ، وكشف عن اسرار الوجود .

* * *

ورغـــم التزام عرار العميق الحاد ، فانه كان في الوقت نفسه رومانسيا ، مغرقا في رومانسيته . واذا كـــان الرومانسيون الغربيون قد عبّروا بشعر حافل بالعاطفة المشبوبة عن ثورتهم ، وهربوا الـــى الطبيعة والحياة البسيطة ، عندما ادركوا عجزهم عـــن التغيير ، فقد فعل عرار مثلهم : هرب الـــى مضارب النَوَر ، والى حياة الريـــف ، حيث البساطة ، وراحة البـــال ، والمساواة التامة :

الكـــل زُطّ ، مساواةٌ محقّقة تنفي الفوارق بين الجار والجارِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

٣ ــ شعر عـــرار شعر للرمز فيه دور كبـــير .

والحديث عن الرمز في شعر عـــرار حديث قد يطول ، ولهـــذا سأقصر حديثي عن الرمـــز عنده على ثلاثة جوانب بـــارزة :

اولهـــا : شخصية الهبر : وهي شخصية حقيقية ، ورمزية ، فـــي آن واحـــد .

وقـــد وصف المرحوم الاستاذ يعقوب العودات الهبر ، فقال :

« شخصية نَوَريّة ، دميمة الخَلْق ، مستقبَحة القـــوام ، اختارها عرار لزراية شكلها ، وحقارة شأنها ، هدفا لسهام نقـــده ، ومخاطبتها عندما يحلو لـــه خطاب ذوي الشأن ، واستفزازهم » . (عـــرار شاعر الاردن ، ص ١٣٨) .

ويقـــول المرحوم الاستاذ محمود المطلق :

« رأى عـــرار في هذه الشخصية انموذجا كاملا لشخصية النَوَريّ ، ومثالا معبّرا عن كل ما في النَوَر من خير وشر ، وسمو وانحطاط . ولهـــذا فقد اتخذ منه رمزا للنَوَر، واداةً ادبيـــة يستعين بها على التعبير عـــن آرائه ومقاصده ». (المقدمة ، ص ٢٣) .

وتقـــول الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي :

« لعـــل عرارًا كان اول شاعر عربـــي حديثٍ اخترع نماذج عليا في الشعر ، وجعلها رموزا لقضايـــا حيوية . جعل من الهبر رمـــزا للانسان البسيط المنبـــوذ المضطهد » . (مجلة عالم الفكر ، العدد الثاني).

وحقيقـــةُ الامر أن الهبر في شعر عـــرار رمز لاكثر من هـــذا :

انـــه رمز لما يتعاطف معه عندما يرى فيه الانســـان البسيـــط ، المنبـــوذ ، المضطهد ، والانسان المشرد الضائـــع .

وهـــو رمز لما يثير السخرية عندما يرى فيـــه الانسان الذي فَقَد كل احساس بالكرامـــة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ويبـــدو الرمز عند عرار ، ثانيا ، في شخصية الشيخ عبّود النجار . وهي شخصية تُناقِض الشخصية الاولى تمامـــا : فهي رمز لفئة متزمتة منتفعة : فِقْهُها:« في الجنة الخلودُ » ، ومبداها انها : « حِصَّةُ مَن فـــي جيبـــه نقـــودُ » .

وسخريته منهـــا ، ورفضه لها ، لانها بسلوكها تساهم في ابقـــاء الشعب على حالـــه من الجهل والتخلّف .

* * *

ويبـــدو الرمز عند عرار ، ثالثا ، في كل امـــراة تغزّل بها ، وكلّ قرية ذكرها ، وكـــلّ وادٍ تَغَنّى بـــه . انها كلها رموز لهذا الوطـــن ، الذي أَحَبَّ كلَّ من فيه ، وما فيـــه .

٤ ــ شعر عــرار شعر عمودي ، منظوم على أوزان الخليل ، ما عدا قصيدتين همــا :

« متــى ؟ » و « يــا حلوة النظرة » .

ومــن الخطأ الشائع ما نردده من أن كل قصيدة نظمت علــى وزن من أوزان الخليل فهــي قصيدة عمودية ، مع أن الوزن (أو البحر) ليس سوى شرط واحــد من سبعة شروط حَدَّدها النقّــاد العــرب القدامــى ، وجعلوها المبادىء التي يجــب أن يقتفيها الشعــراء .

وكــان المرزوقيّ خير من حدّد مفهوم عمــود الشعر ، وذلك في مقدمته لشرح ديوان الحماسة ، في قولــه : « انهم (القدماء) كانــوا يحاولون : شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفــظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار لــه ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهــذه سبعة أبواب هي عمــود الشعر ، ولكل باب منها عيار (أي مقياس) » . وجــاء ابن طباطبا فكتب كتابه المعروف « عيار الشعر » .

وشِعر عــرار عموديّ بهذا المفهوم للشعر العمودي الجيــد .

ولــو تأملنا في هذا التعريف لوجدنا كثيرا من الشعــر الذي يُعْرَف بأنه عمودي ، ليس عموديــا .

* * *

هــذه ملاحظات نقدية عامة على شعر عــرار ، لعلها تصلح مخططا لدراسة موسعــة .

ويبقــى عرار ، بعد هذا ، شاعرا لم ينل من عناية الدارســين مــا يستحقــه .

ومــا زال مجال القول فيــه واسعــا .

الدكتور محمــود السمرة

قضايا تعريب الكيمياء ومشاكله

للدكتور عادل أحمد جرار
(الجامعة الاردنية)

ان مسألة تعريب الكيمياء جزء من مسألة اكبر، هي مسألة تعريب العلوم ، وخصوصا في المراحل الجامعية . وقد شَغَلَت هذه القضية اهلَ العلم والفكر ردحا طويلا من الزمن ، فهم بين مناصرين لتطبيق فكرة التعريب ومعارضين لها ، ولكل فريق حججه التي يدعم بها وجهة نظره .

وفي رايي ان هذه المسألة لا تقبل أنصاف الحلول او الحلول الجزئية ، فهي إما أن تكون تعريبا كاملا شاملا ينتظم جميع مراحل التعليم والدرس ، ويمتدّ ليشمل جميع الاقطار التي تتخذ العربية لغة ، أو أن تظل محاولات مبتورة ، عديمة الجدوى ، ربّما ادت الى ضرر ان كانت تنحصر في اقليم دون آخر ، او كانت تتناول فروعا معيّنة من العلوم،او مراحل محددة في سلّم التعليم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واقوى الحجج التي تساق تأييدا لفكرة تعريب العلوم هي :

١ — من الناحية التربوية المطلقة،يكون استيعاب الدارس اقوى واشد فعالية ان كانت دراسته بلغته الأم ، فهو بذلك ينصرف بكامل جهده الذهني لفهم المعضلة العلمية المعروضة ، بدل ان يصرف جانبا غير يسير من جهده ووقته لفهم معمّيات اللغة الاجنبية التي يدرس بها ، الى ان يتوصل الى فهم وتحليل الموضوع العلمي الذي وصفته له . وقد ساق الكثيرون براهين لهذه الحجة من نتائج المقارنة بين مجموعتين من الطلاب،احداهما تدرس موضوعا علميا باللغة العربية، واخرى تتلقاه بلغة انجليزية او فرنسية .

ولكـــن الامر في الواقع من البداهة بحيث لا يحتاج الى برهـــان ؛ فانك اذا قدمت موضوعـــا علميا لطالب عربي بلغـــة عربية سليمة ، وكانـــت لديك الوسائل والقدرات على أن تعبّـــر عن هذا الموضوع بشكل يخلـــو من التعقيدات والابهام في المصطلح والاسم والوصـــف ، فمما لا شك فيه عندئذ أن هـــذا الطالب سيفهم الموضوع بصـــورة اسرع واكمل مما لو قُدِّم لـــه بلغة اجنبية .

اذاً فَلُبّ الامر هـــو ان نستطيع وصف الموضوع العلمي بطريقـــة تخلـــو من التعقيد والابهام ؛ وهذا امـــر مهـــم ساعود اليه حين احلّل القضايا والمشاكل التي تكتنف تعريب الكيميـــاء .

٢ ــ أمـــا الحجة الثانية التي تساق ، وهي ايضا حجـــة لهـــا وجاهتها ، فهي أن الاعتزاز القومي باللغـــة العربية يفرض علينـــا ان نعرّب العلوم . وكثير من المحتجين بهـــذا يذهبون الى أن تدريس العلوم بالعربية عامل مهـــم في سبيل الوحدة العربية ، وكأن هذه الأمـــة تفتقر الى عوامل الوحدة ؟ وايـــن عامل الوحدة هذا من الديـــن الذي ننضوي تحت لوائـــه ، حيث تقف الملايين كل يـــوم تعبد ربّهـــا في صلوات واحدة ، تقرأ قرآنـــا واحدا ، وتهتف باسم الـــه واحد من اعلى مآذن مساجدها وفي محاريبها . وان كانت هذه الأمـــة ستتوحد ، فهذا جمهور وحدتها ؛ وأيـــن من ذلك جمهور الجامعات،وهـــم قلّـــة ؟

علـــى اننـــا،وبسبب ذلك،لا بـــد ان نقدّس اللغة العربية ونجلّها ، فهي الوعاء الذي صُبّ فيه قرآننـــا وسُنّتنا ، وادبنا وشعرنا،وخوالج نفوسنا ، وهي الوعـــاء الذي اتسع يومـــا ليكون قادرا على استيعاب نشاطنا العلمي ابان ازدهار حضارتنا العربية الاسلاميـــة ، حين كانت اللغة العربية لغـــة العلم العالمية الاولى مـــدة تقارب القرنين .

وعلينـــا أن نؤمن بأن هذه اللغة التي قامت بهـــذا الدور قادرة على القيام بـــه مرة اخرى،شريطة أن نجلـــو عن صفحتها الناصعة غبار التخلّف والاهمال بجهودنـــا ونشاطنا العلمي في العصر الحديـــث .

ويحضرني هنا قـــول شاعرنا حافظ ابرهيم متحدثا باسم اللغـــة العربية :

وسعتُ كتاب اللـــه لفظا وغاية وما ضِقتُ عن آيٍ بـــه وعظاتِ

فكيف اضيقُ اليوم عن وصف آلة وتنسيق اسمـــاءٍ لمخترعاتِ

بيـــد انـــه يضيف الى ذلـــك :

انا البحر في احشـائه الدرُّ كامِنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

نحـــن بحاجة، ليس فقط الى الغوص في بحر اللغـــة العربيـــة لاستخراج مكنونه من الدرّ ، ولكننـــا بحاجة الى ثاقبين لهذا الـــدرّ ، لجعله قلائـــد تزين صدر اللغـــة العربية في ميادين العلوم ؛ فـــلا نريدها ان تقتحم ميدانـــا تخلّفت عنه فترة طويلة دون استعداد وافٍ يزيـــد من جمالها ويُغْنِيها بالممارسة . لا نريـــد ان تكون تجربتنا فـــي التعليم والنشر بالعربية عائقـــا يحول بيننا وبين السير في تيـــار العلـــم والثقافة العالمي . ولا يضيرنا ان نذكـــر ان ما تـــمّ حتى اليـــوم من محاولات تعريب في عـــدد من الاقطار العربية ليس على المستـــوى المطلوب ، فهي تقصّر بنـــا عن مواكبة اهل العلم في مسيرتهم الظافـــرة ، دون اعتماد كبير على اللغـــات ذات الانتشار العالمي . فممـــا لا شك فيه أن للعلم المعاصر بضع لغـــات دولية ؛ ولتوضيح ذلك تَنـــاوَلْ موضوعا علميا من المواضيـــع المطروقة كثيرا هذه الايـــام ، وأَحْصِ المنشورات العلمية التي تظهر عنه في عـــام معين ، فاذا فعلت ذلـــك ستخرج دون ريـــب بنتيجة مفادها أن معظـــم البحوث ذات القيمة نشرت ضمن عـــدد محدود من اللغات ؛ وانك إن كنـــت قادرا على قراءة هذه اللغات وفهمهـــا خرجت بزبدة البحوث في ذلك المجال المعين .

وستجـــد حتما انك ان اتقنت لغتين من لغات العلم الدوليـــة، ستصل الى مـــا لا يقلّ عن (٧٠٪) مما نشر عـــن الموضوع . ومع انك ربمـــا تحتاج الى معرفة ما يقارب عشرين لغـــة لقراءة كل ما كتـــب عنه، الا أن ذلك امـــر لا يستحق العناء ، لانك ان قَيَّمت المنشورات علـــى انفراد ستجـــد القيّمة منها منشورة باحدى اللغـــات الدولية . ذلك

انـــه ان توصّل عالم عربي او سويدي مثلا الى كشف ذي قيمة كبيرة في ذلك المجال ، فان همّـــه الاول سيكون ان يصل بـــه الى جمهـــرة المشتغلين بـــه ، فنجده يلجأ الى نشره باللغـــة الانجليزية مثلا ، وفي احدى الدوريات ذات الشهرة العالميـــة .

مـــن واجبنا،والحالة هذه،ان نعمل على دفع لغتنـــا العربية الى مصاف اللغات الدولية ؛ وهـــي مكانة احتلتها سابقا . وهذا امـــر لـــن يتسنى لنـــا تحقيقه بقرار نتخذه ارتجالا ، ولـــن يتسنى لنا الوصول اليه بين يـــوم وليلة ؛ فاستعداداتنا الحالية لا تجاوز في اغلـــب الاحيان الحماسة والنيّـــة الطيبة . لكن ، كما قيـــل في الامثال الصينية ، فـــان رحلة الالف ميل تبـــدأ بخطوة واحدة ، فلا بـــد لنا ان نخطو الخطوة الاولى ، ولكننا نريدها خطوة واثقـــة لا تراجُع ولا نكوص بعدهـــا . ولهذا فان من واجبنـــا استجلاء المصاعب والعقبات ، والاشارة الـــى الوسائل التي تضمن لنـــا التغلب على المصاعب وتخطّي العقبـــات ، حتى نضع بين ايدي اجيالنـــا القادمة السلاح الذي يمكّنهم من الســـير بهدى وعلى صراط مستقيم . وفي ما يلـــي سأمر على بعض القضايـــا ذات العلاقة الوثقى بتعريب الكيميـــاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصطلح الكيميائي : ان جهـــود التعريب لا تثمر دون مؤلفـــات كيميائية قيّمة باللغـــة العربية . ومن الطبيعي ان المحاولات الاولـــى كانت ترجمات من اللغـــات الاوروبية ــ سأعود الى الترجمة كقضيـــة منفصلة بعد حين ــ وقد تلت الترجمات مؤلفات باللغة العربية . جميع هذه المحاولات حتى الآن محصورة ضمن القطـــر العربي الذي بدات فيـــه ، وفي اغلب الاحيان نتكلم لغـــات كيميائية مختلفة . ذلك ان وضع المصطلح كان حتى الآن اجتهادا فرديا ، او كان يتـــمّ بالمشاورة مع اقرب محيـــط للمترجم او المؤلف ؛ ولذلك نجـــد اختلافات كبيرة بين مـــا يُستَخْدَم في قطر عربي وما يُستَخْدَم في قطر آخـــر . وان استمر الحال على ذلـــك سنصل الى وضع يشبه برج بابل ، حين لم يكن احـــد يفهم احدا غيره . كل ذلك رغـــم جهود مكتب تنسيق التعريب ، ورغـــم المعاجـــم التي

أوردت سلسلة من المصطلحات ؛ فهذه لا تكاد تفي بحاجة مناهج المدارس الثانوية . وكثيرا ما يوضع المصطلح الكيميائي بطريقة متسرعة ، فلا يفي بالغرض الذي وضع من أجله ، لكنّ تأثير قطر عربي استعمل هذا المصطلح قد يكون واسع الانتشار ، فنرى هذا المصطلح ينشر ويغرس جذوره رغم عدم صلاحيته .

نخلص من هذا الى أن جهود وضع المصطلح جهود مرتجلة ومعزولة وتؤدي الى فوضى وارتباك ، فكلمات :
(Isomerism, physics, Ion, Atom)

وكثير غيرها لا تعني نفس الشيء في كل البلاد العربية .

اين العلاج ؟ لا شك ان في عقد ندوة لهذا الغرض جهدا ايجابيا نحو العلاج ، إن خرجنا منها بنتائج محددة لوضع أسس للعمل على تقديم الوقود الصالح لعمليات الترجمة والتاليف . ولكن يجب ان اذكر أن الكيميائيين ، رغم اتقان بعضهم للّغة العربية ، لا يزالون بحاجة الى عالِم اللغة العربية الذي اعتدنا منه الشعارات الرنانة التي تقول أن النحت والاشتقاق والوسائل الاخرى كفيلة بسد حاجات اهل العلم ؛ لكننا لا نراه يضمّ جهده في ذلك الى جهد الكيميائي أو غيره من أهل العلم . ولا يظنّنّ احد أن هذه المهمة ذات بداية ونهاية ؛ كلاّ ، فهي مهمة مستمرّة متجددة ما دام العلم يتطور ، وما دام العلماء يكتشفون كل يوم جديدا ، ويسمّونه ويصفونه بكلام جديد ، سواء أكان هؤلاء العلماء عربا أم غير عرب .

لذا فان المطلوب هو أن يقوم علماء الكيمياء واللغة في البلاد العربية بعملية منظمة لاستنباط المصطلحات ونشرها وتوحيدها ، كما أن المطلوب أن يتحوّل مكتب تنسيق التعريب الى المبادرة بتشجيع هذا الجهد ودفعه نحو النجاح .

التسميات : رغم عدم استطاعتنا فصل ميدان المصطلح عن ميدان التسمية ، الا أن هناك مئات الآلاف من المركّبات الكيميائية التي

تحتاج الى أن نضع لهـا اسماء ، كما أن آلافا جديدة منهـا تضـاف للمعترك الكيميائي في كل سنة ؛ والمشكلـة التي يخلقها هذا السيـل العـرم تستدعي من علماء الكيمياء في العالم عقـد الندوات والتشاور لوضع الاسماء ، وتنقيح طـرق التسمية بصورة مستمرة . فماذا نفعـل نحـن ؟ هل نأخذ الاسم الاجنبي ونكتبه بحروف عربيـة ، أم نضع لنا طريقة خاصة بالتسمية ؟ الاتجـاه السائد حتى الآن ، والذي لا يجـادل احـد في انـه الاسهل ، هو الاول ، مـع اصرار الاكثرية على أن يوضع الاسم الاجنبي في كل حالـة للاسترشاد بـه ، ولابقاء الصلة مع اللغات الاجنبية . ولا شك أن هـذه الطريقة ستؤدي بالدارس الـى أن يقـرأ وأن يفكر باللغة الاجنبية ؛ لان ادراك مرامي هـذه الاسماء يتوقف على فهـم ما تنقله مقاطعها الاجنبية كلٌ بنفسه ؛ فلـو كتبنـا الاسماء باللفظ العربي وحده،فاننا دون شك نكون قد قطعنا صلة تلـك الاسماء بأصولها ، لتصبح كنباتٍ اجتُثَّ من جذوره ، يتيما مالـه من قرار .

لقـد حاولت استيضاح آراء مجموعة من طـلاب الجامعة الاردنية حول هذا الامر ، وطلبت منهـم الاجابة على الاسئلة التاليـة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أرجـو أن تجيب على الاسئلة التاليـة بوضع دائرة حـول الجواب الذي تختـاره :

١ ــ كلمـة (٢ ــ ميثيل سايكلوهكسانون) تدلّ على مركّب كيميائي معروف لديك . اذا قرأتهـا أو سمعتها ، فما هي الطريقة التـي تنتقل فيها الى ادراك المركّـب الذي تدلّ عليه بتخيّل صيغتـه أو كتابتهـا ؟

١ ــ هـل تخطر الصيغة ببالك مباشرة مثلما تتصور طائرة لـدى سماع الكلمة أو رؤيتها مكتوبـة ؟

٢ ــ هل تعود بذهنك للأصل الانجليزي للكلمة
2- Methylcyclohexanone
وتستفيد من مقاطعها للدلالة على معناهـا ؟

٣ ــ هــل يتعذر عليك فهــم دلالة الكلمة كليــا ؟

٤ ــ هــل تعتقد أن فهمك لهــا سيكون سهلا لــو كانت مقاطعها قد فُسِّرت لك اولا ، كما جرى في حالــة الاسم الانجليــزي للمركّب ، رغــم ان لفظ كل مقطع بالعربية لا يدل على ما يــدل عليه مقابله بالانجليزيــة ؟

٢ ــ القضية التي عرضتُ في السؤال الاول ستثار لــدى تسمية اي من مئات الآلاف من المركّبــات الكيميائية . في ضوء تقديرك الشخصي للموقــف :

١ ــ هــل تحبّذ أن تدرس الكيمياء بالانجليزيــة ؟

٢ ــ هــل تحبّذ أن تدرس الكيمياء بالعربية مع أخذ الاسماء بألفاظها ؟

٣ ــ هــل تحبذ أن تدرس الكيمياء بالعربية مع وضع طريقة عربية خاصــة بالتسميــة ؟

٣ ــ اذا عُرِّبَت الكيميــاء وأُخِذَت المصطلحات والاسماء كما تُلفَظ باللغة الاجنبية،وكُتِبَت بحروف عربية ، هــل تعتقد أن كتابتها غير مشكولة ستخلق مشاكل ، كأنْ تقــرأ الكلمة على وجوه عديــد ؟

١ ــ نعــم

٢ ــ لا

وقــد حللت اجاباتهم وحصلت على النتيجــة التاليــة :

السؤال الاول :

الجــواب	١	٢	٣	٤
النسبة المئوية	١٨٪	٧١٪	٢٪	٩٪

السؤال الثاني :

الجــواب	١	٢	٣
النسبة المئوية	٥١ر٣٪	١٩ر٦٪	٢٩٪

السؤال الثالث :

الجـــواب	نعـــم	لا
النسبة المئوية	٨٤٪	١٦٪

مـــن جواب السؤال الأول نلمس اثباتا لمـــا قلناه من ان الطالب مضطرّ للعودة بذهنه الى الاسم بلغتـــه الاصلية ؛ فالعملية الذهنيـــة هذه ضرورية للفهـــم . ورغم ان نسبة الاجابة على السؤال برقـــم ٣ أو ٤ منخفضة ، الا ان ذلـــك يُعزَى الى ان المركّب المختار مألوف للطلاب . ولا شك لديّ أن مشكلةً ستواجه الطالب في فهـــم اسم جديد ، فهو يجد هذه المشكلة حتى لـــو كان يدرس باللغـــة الاجنبية ، فبالاحرى سيجدها، وبشكل احـــدّ، اذا عُرِض لـــه الاسم مجرّدًا عن نظيره الاجنبي .

ومـــن اجابة السؤال الثاني نجـــد ان الطلاب ينقسمون بالتساوي تقريبا بين المحبّذين للدرس باللغـــة العربية ومن يفضلون الدراســـة باللغـــة الانجليزية (٥١ر٣ ، ٤٨ر٦ على التوالي) . الا ان الملاحظ انـــه، ضمن من حبذوا الدرس بالعربية، هنـــاك أغلبية تفضّل وضع الاسمـــاء بطريقة عربية خاصة ، وان كنت لا اجسد دليلا على ماهيّة هذه الطريقة ، لا بين الطلاب انفسهم ولا بين علمـــاء الكيمياء ، فهي مسألة فَضَّـــلَ الجميع عـــدم طَرْقها، كما اسلفنا .

مـــن الاجابة على السؤال الثالث تتّضح اهمية المشكلة التي تجابهنا حين يتعرض الاسم الكيميائي للتغيير في لفظـــه، نتيجة قراءة الاســـم العربي على وجوه مختلفة، ان لم يكـــن مشكولا ؛ وهذه مشكلة تتنـــاول المصطلح المأخوذ بلفظـــه عن اللغات الاجنبية أيضا ؛ وهي مشكلة لـــن يتخطاها الدارس الاّ بتكرار استخدام المصطلح او الاسم بعـــد سماعهما صحيحين لأول مرة ؛ اذ لا يُعقَل ان تُصْرَف الجهـــود الاضافية في الطباعة لشكل كلٍّ من هذه الكلمـــات .

الرمـــوز والاعـــداد :

هنـــاك خلط كبير في الرموز المستخدمة في الكتـــب التي تُرجمت الى العربية او كُتِبَت بهـــا ؛ وليس من الضروري أن يوجد الخلـــط في الكتاب الواحد ، بل انـــه يظهر على شكل اختلافات بين الكتـــب ذات الموضوع الواحـــد، والتي تظهر في القطر نفسه، أو في اقطـــار اخرى .. فالامر هنـــا فيه اختلاف لا يقـــلّ عن الاختلاف في المصطلح ؛ ذلك ان اللغـــات الاجنبية تقدّم مجالا أوسع لاختيـــار الرموز، من حيث وجود الحرف الكبير والصغير ، وكذلك كتابة الحـــرف نفسه بصور مختلفة ، وبخطوط مختلفة (عاديّ أو مائل) ؛ ورغم ذلك نجـــد احيانا اختلاطا في الرموز . وفي العربية يضيق المجـــال اذا اقتصرنا علـــى استخدام شكل واحـــد للحرف ، الا أن بوسعنا استخدام اشكال مختلفة لتقدم مـــادة كافية للرموز ؛ لكن يجب الحرص على أن لا تكون النقـــط المصاحِبَة لبعض الحروف مصـــدرا للتشويش .

وهنـــاك مصدر آخـــر للاختلاف والخلط، ويصحبه العديد مـــن المشاكل التي لا تظهر لنـــا لأول وهلة ؛ ذلك أن هنـــاك اتجاهـــات لوضع رموز عربيـــة للعناصر ، واستخدام الاعـــداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ... معهـــا . وفي الحقيقة أن هذه الاعداد ذات أصل هنـــدي ، وامـــا الاعداد ... 1 ، 2 ، 3 ، 4 فهي الأعداد العربية ؛ ولا بـــد انها كانت تُستخدَم مِن قِبَـــل العرب ، وقد أخذت بهـــا اقطار عربية كثيرة فـــي الوقـــت الحاضـــر .

الرمـــز الكيميائي لعنصرٍ في اللغات الاجنبية لـــم يُبْنَ على قاعدة تربطه بالاسم المستخدم لـــه في تلك اللغة ، وانما هو، كما نعرف، مستمَدّ من اسم قد يكون من اللاتينيـــة أو اليونانية أو احدى اللغات الاجنبيـــة الحديثة، بأخـــذ الحرف الأول ، أو هـــذا مع حرف آخر . اذا كنـــا نقبل أن نكتب الكلمـــة الاجنبية بحروف عربيـــة، ونطمع عندئذ بـــان نتعرّف على المسمى مـــن التسمية ، فكيف نضيق بالرمـــز الاجنبـــي O، او C ، او Se ، او Ge ، او Na ، او Fe ، ولا سيما انها ستظهر

في المركّبات ، وقد يظهر الواحد منها عدة مرات ؛ فكيف اذا كان رمزا بحروف عربية منقطة ؟ الا يخلق ذلك مجالا لخلط هذه النقطة أو النقطتين مع الكترون،أو زوج من الالكترونيات،كما يُرمَز لها عادة ؟

ثم أليس من مبادىء التعرف على مركّبٍ النظر الى صورته أو صيغته ؟ فهل نساعد على ذلك ان غيَّرنا الصورة والصيغة باستخدام الحروف العربية للرموز ؟ والدارس منا مضطرّ للاطلاع على هذه الصيغ ، سواء أكانت بنائية أم جزئية ، وذلك لاستخراج المعلومات عنها من المختصرات التي تستخدم الصيغة كمفتاح . الا يكون من الافضل الابقاء على هذه الرموز بدل ان نضطر في كل مرة الى اعادة كتابتها كخطوة أولى نحو استخدام هذه المختصرات ؟ وما الضير في العودة الى الاعداد العربية إن وَجَدنا انها جزء ضروري من هذه الصيغ ؟

اذا كان هدفنا الأول من التعريب ، وباتفاقنا ، هو تسهيل فهم المادة العلمية انطلاقا من المبدا القائل بأن الاستيعاب باللغة الأم اقوى ، فان أي عامل يساعد على الاستيعاب يجب ان يُبْقَى عليه ، وايّ عامل يقف حجر عثرة في سبيل هذا الاستيعاب لا يَجدر بنا التمسك به .

وفي ذهني يرتبط الابقاء على الرموز ، وهي عالَميّة الاستخدام ، بقرنها باستخدام الأعداد العربية ؛ ولا يضيرنا انها (الرموز والاعداد) تُكتب من اليسار الى اليمين ، فهذا امر شكلي لن يضرّ باللغة العربية،ولن يعيق من قدرة الدارس على الاستيعاب ؛ ثم الا تُكتَب بعض الارقام الهندية من اليسار الى اليمين ؟ ٦ ، ٩،الى حد ما ، وبعض الارقام العربية الا تُكتَب من اليمين الى اليسار 4 ,5 ,6 ,9

أي أن اتجاه الكتابة ليس مطلقا ، وليس مرتبطا بلغة دون أخرى .

الترجمـــــة :

مـــن الحجج التي يتذرع بهـــا خصوم التعريب عدم توافـــر المـــادة العلمية باللغة العربية ، مقارنةً بما يُفيض بـــه المحيط العلمي من كتب دراسية ، وكتـــب متخصصة ، وسلاسل كتـــب ، ونشرات ودوريـــــات .

وهي حقيقة نجـــد انفسنا مضطرين للاعتراف بهـــا ، ليس على مستوى الكَـــمّ فقط ، ولكن على مستوى النوع ايضـــا . لذلك فـــان هناك بعض التضحية في مدى الاختيـــار، تفرضها ظروف الفترة الانتقالية حين نضطرّ الى اعتمـــاد كتاب معين ، بينما يكون المجـــال الاوســـع مفتوحا امامنا للاختيار لـــو درسنا بلغـــة اجنبية . ذلك لانه لا بـــدّ لنـــا ان نعترف انـــه قبل ان تتّضح معالم الطريق امامنـــا للتأليف على نطاق واسع ، فـــلا بـــد أن نلجأ للترجمة باختيار افضل الكتب ونقلهـــا للعربية . ولا بـــدّ ان نلاحظ أن هذه الحركة في الوقت الحاضر ضيقة الى ابعد الحدود ، ولذلك فاننا نجابَهُ بِقلّـــة الكتب المترجمة ، ونجـــد اننـــا نُقَصِّر في متابعة التطورات العلمية بالترجمة الدائبة والاستعداد لاضافة كل جديـــد .

ومنـــذ مـــدة طويلة، مثلا، قامت اكثر من محاولة لترجمة كتـــاب في الكيمياء العضوية ، واستغرقت وقتـــا طويلا ؛ وحين وضع الكتاب بين أيدي الطلاب، كان قد عفى عليه الدهـــر في مصدره ، وحلّت محلـــه كتب جديدة ذات مستويات افضل ؛ فهـــل كان بامكاننا متابعة الجديـــد بجهد جديد ؟ كلاّ . لمـــاذا ؟

عمليـــة الترجمة بحاجة الى عوامـــل عديـــدة :

اولهـــا : الجهاز المتخصص الذي يسعى لاختيار الكتب بالاستعانة بأهل الاختصاص ، ثـــم يُجري الاتفاقات بشأن ترجمتها ونشرها بشكل لائـــق لا يقلّ عن مستوى الكتاب الاصلي . وهـــذا الجهاز يجب ان

يكون شاملا للاداريين والرسامين والمصورين ، وان تكون لديه مطبعة ، أو أن يكون بامكانه الاعتماد على جهود مطبعة دون تاخير .

وثانيها : المترجمون القادرون على تولي هذه المهمة، والتعبير عن المادة العلمية بلغة عربية جيّدة ؛ ولا بد في نفس الوقت ان يكونوا مؤمنين بالفكرة ، عاملين للتمهيد لها باستنباط المصطلح، وطريقة التسمية، واسلوب الكتابة الجيّد . وانت اذا بحثت عن هؤلاء ستجدهم بصعوبة . ذلك أن معظم جامعاتنا تعتمد في تدريب هيئاتها التدريسية على ارسال المبعوثين الى الجامعات الاجنبية ، فتجد أن الكثير من أعضاء الهيئات التدريسية إمّا عاجزين عن التعبير السليم باللغة العربية كلاما أو كتابة ، وإمّا غير مكترثين للأمر، فليس لديهم حماس له ؛ وتجد بعضا منهم ، وهؤلاء ذوو خطر ، وقد تَحوَّل انتماؤهم فكريا وعقائديا نحو الغرب ؛ فهم حتى ان خاطبوك في شأن من الشؤون اليومية تَشدَّقوا بالانجليزية ، واذا عَرَّضتَ فكرة التعريب هزوا رؤوسهم وناوا بجانبهم ، وكان الامر اثم أو سبّة .

وكثيرا ما يتساءل البعض : هل سيتمّ التعليم باللغة العربية الفصحى، أم ان اللغات واللهجات العامية هي التي ستسود قاعات المحاضرات ؟ واذا كان الامر كذلك، فاي جدوى تعود على اللغة العربية من عملية التعريب ؟ الحقيقة أن اللهجات المحلية ليست على تلك الدرجة من القوة ، فهي على طريق الزوال نتيجة لانتشار صورة واحدة من اللغة الفصحى بانتشار الاذاعات والصحافة والمطبوعات المختلفة في الوطن العربي .

غير أن اللغة العربية الفصحى تعاني على السنة الساسة والعاملين في الاذاعات المسموعة والمرئية ، فان اضيفت لذلك معاناتها في غرف المحاضرات ، فليس العيب في ذلك كامنا في عملية التعريب نفسها ، بل في القصور عن تنمية القدرات الاساسية في اللغة العربية لدى الطلاب في مختلف مراحل الدراسة ، حتى اذا ما شبّوا عن الطوق

وصاروا رجال سياسة او اعلام او تعليم، نجدهم لا يتقنون لغتهم ولا يحسنون التحدث بها .

وثالثها : التمويل : اذا وُجِدَتْ المترجمين الصالحين ، فيجب أن تجد المال الكافي لمكافاتهم بشكل مُجْزٍ على عملهم كي يتقنوه .

وكذلك يجب توفير المال الكافي لجميع الفنيين اللازمة جهودهم للخروج بالكتاب الى حيّز الوجود ، كما يجب توفير تكاليف الطباعة وغيرها . كل هذه الامور تتطلب اموالا طائلة . واستطيع ان اقول، من تجربتي مع بعض الهيئات التي تصدّت لعملية الترجمة، إن هذا العائق كان حتى الآن العقبة الكأداء التي تحول دون توسّع العملية وانتشارها .

ومن طبيعة الاحتياجات اللازمة لعملية الترجمة نجد ان افضل ما يمكن تصوره لنجاحها أن تكون هناك هيئة عربية قومية تقوم بها ؛ فهي بذلك تكفل انصباب موارد الخبرات والمال من جميع الاقطار العربية، فتُولَد حركة الترجمة ولادة صحيحة قوية ، ويشتدّ عودها، وتنهض على اقدامها بثبات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التاليف :

رغم أن الترجمة في المراحل الاولى ضرورية كصورة من صور نقل التكنولوجيا ، الا انه ، كما في حالة التكنولوجيا ، فاننا بعد فترة يجب أن يصدر عنا، وأن نطوّر ما يناسبنا سواء اكان تكنولوجيًا مناسِبَةً لبيئتنا ، او كتبًا علمية يضعها علماؤنا ، تأخذ بعين الاعتبار عقلية طلابنا ومصادرنا الطبيعية وصناعاتنا، وغير ذلك .

ودون أن أعود من حيث بدأت ، أقول إن متطلبات التاليف لا تختلف اختلافا كبيرا عن متطلبات الترجمة التي اسلفت ذكرها .

على انه في كلا الحالتين — الترجمة والتاليف — لا بد أن يجريا على نطاق واسع ، وبسرعة توازي ما يحصل من تطور في

العالم العلمي المتقـــدم ، حتى لا نجابُه بقلة التنوع في المصـــادر ، وبان تصبح بعض المصادر قديمة قبـــل أن يتداولها الدارسون ؛ وهـــذا لا شك كائن إن كانت الترجمة او التأليف جهـــودا فردية ، او تقوم بهـــا هيئات ضعيفة المـــوارد ، ونكون بذلك عرضة لعُزلة كليـــة او جزئية عن تيّار العلـــم .

ولا يفوتني ان اذكر انـــه، لإحكام الصلات بين العلماء العـــرب والاجانب، لا بـــد لهاتين العمليتين ، وخاصة الترجمة ، ان تســـيرا في اتجاهين : فننقل احيانا ما يصدر عن علمائنـــا من مؤلفات ومنشورات عربية الى لغـــة اجنبية ، ان كان لدينا ما نَفْخُر بأن يطّلع العالم عليـــه .

اللغـــات الاجنبيـــة :

اشرنـــا في ثنايا هذا الحديث الى أن هناك بضع لغـــات علميـــة دُوليّة تسود العالم العلمي في الوقت الحاضر . لذلـــك، وعلى افتراض العمل الجاد والسير بحركـــة التعريب بخطى ثابتة ، فلا بـــد لنـــا من التوسّع في تعلّـــم اللغات المذكورة ، اذ لا غنى للدارسين عندنـــا عن الاطلاع علـــى المنشورات العلمية التي تستحيل ترجمتها لكثرتهـــا ، كما انهم لا بـــد مضطرون للرجوع لمصادر الدراسة الاجنبية استـــزادة للمعرفة . كما انهـــم يجب أن يكونوا قادرين على فهـــم المحاضرين من الزوار الاجانب الذيـــن تُعتَبَر زياراتهم ضمن برامج التبـــادل امـــرا جوهريا في النشـاط العلمـــي .

زد على ذلك انـــه ، حتى نصبح في وضع علمي متقدم يحفـــز العلماء على تعلـــم العربية لقراءة ما ننشر من أبحاث ، فلا مناص لنـــا بين حين وآخـــر من مخاطبة العالم العلمي باحدى اللغات العلمية الدولية .

وبعـــد ، فان قائمة المشاكل التي تقف في طريقنا لا تقف عند هـــذا الحـــد ؛ وهي تتضخم بمقدار النقص في استعدادنا للتصدّي للمهمـــة . لكن الاصالة وعلـــو الهمة في ان لا نتخاذل امـــام المشاكل ، ووعورة المســـالـــك .

وطبيعة هذه المشاكل والقضايا تتطلب ان ننال الدعم من الساسة واهل النفوذ ، حتى لا نكون كمن يحرث في البحر ؛ فالحلول الماثلة امامنا تتطلب المال والتنظيم والتعاون ، والا لن نتقدم قيد انملة نحو تعريب التعليم والنشر .

انني رغم ذلك لا ادعي ان مجرّد التغلب على هذه المشكلات سيؤدي الى فيض من الابداع العلمي ، فهناك الكثير مما يعوق ذلك مما لا صلة تربطه بموضوع اللغة ، لكن ازالة بعض العقبات من الطريق حافز لنا للسعي نحو ازالة غيرها من العوائق والعقبات .

الدكتور عادل جرار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع "ديوان الأدب"، لأبي ابراهيم الفارابي

للدكتور ابراهيم السامرّائي

(كلية الآداب/جامعة بغداد)

كنتُ قد كتبت شيئا مما بدا لي وانا اقرا الجزء الاول، ثم عقبت على ذلك بملاحظات عرضت للجزء الثاني ؛ وهاانا اتصدى للجزاين الثالث والرابع، فأخص مجلّة المجمع اللغوي الاردني بهذه الاثارة .

اقول : اراد الفارابي أن يُعرض لابنية العربية كما جاءت في المعجمات المطولة ، وأن يصنّف من ذلك معجما مرتبا لهذه الابنية؛ فهل تراه صنع معجما كسائر معجمات المعاني ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجواب : ان "ديوان الادب" معجم فريد في منهجه ؛ وفرادته هذه جعلته صعب المنال، لا يمكنك أن ترجع اليه بيسر : فالابنية مرتبة على نمط خاص من حيث عدّة اصواتها، ومن حيث كونها فعلا او مصدرا او اسما مهموزا او معتلا او صحيحا . وانت ممتَحَن اشد الامتحان في الاهتداء الى ما تريد من ذلك . ثم انك محتاج الى فهارس تستوفي هذا القدر الكبير من الأبنية وموادها ؛ واظن ان المحقّق بعد ان انتهى من تحقيق نص الكتاب، سيعمد الى شيء من ذلك، والا ضاعت الفائدة وبعد الطريق .

لقد قلتُ في الكلام على الجزاين الاول والثاني إن المحقق قد ادرك في تحقيقه ما يصبو اليه الباحث الجادّ في اخراج النص سليما مبرءا ، مجلوًّا بفوائد نافعة .

غير انـــي تناولت مـــادة الكتاب وطريقة عرضها،فوقفت علـــى ذلك وقفات طويلة.وهاانا أُتِـــمّ هذه المسيرة في هذين الجزأين،الثالث والرابع من الكتاب،فأقـــول :

١ ــ لـــم يكن عمل الفارابي في "ديوان الادب" عملا معجميا يتّصف بالاستقراء الوافي للأبنية،ومـــا يندرج في كل بنـــاء من الكَلِم . لقد خصّ هذا الجزء بالمضاعف،فبـــدأ بالأسماء،فكان بنـــاء « فَعْل »،بفتح الفاء وسكون العين،فاتحة هذا الجـــزء،مرتّبًا الكَلِم على حروف المعجم؛فجـــاء بـــ « الحَبّ جمع حبة ، والخَبّ من الرمل ... والرَّبّ معرّفا ... وهكذا في سائر الحـــروف » .

أقـــول : وفاته أن يذكر في حكـــم هذا الترتيب « الأَبّ » .

والأبّ : الكلأ ؛ وقالوا : هو المرعى . قال تعالى : « وفاكهةً وأبًّـــا ».

وفاتـــه أن يذكر « الخَبّ » ومعانيه،واكتفى بقولـــه : « الخَبّ من الرمل »،وهو في تمام معنـــاه : حبل من الرمل لاطىء بالارض . ولـــم يذكر أن « الخَبّ » الخَدّاع،وهو الجُرْبُز الذي يسعى بين الناس بالفساد .

وفاتـــه أن يذكر « البَبّ »:الغلام السمين .

وفاتـــه أن يذكر « اللَّبّ » وهو اللبيب ؛ وهو ايضا اللطيف القريب مـــن النـــاس .

ويقـــال : رجل لَبٌّ طَبٌّ،اي لازم للأمر ؛ وانشد ابـــو عمـــرو :

لَبًّا بأعجـــاز المطـــيّ لاحقًـــا

وفاتـــه « الجَتّ » . قال ثعلب عن ابن الاعرابي : الجَتّ هو الجَسّ للكبش لتنظر أَسَمِـــينٌ ام لا .

وفاتـــه ايضا « الثَّجّ » ؛ جاء في الحديث : تمام الحَجّ العَجّ والثَّجّ . والعَجّ العجيج في الدعـــاء . والثَّجّ : سفك دمـــاء البُدن وغيرها .

ولـم يشر الى « الدُخّ »؛وفي لغـة « الدُخّ » بالضم،وهو الدخان ؛ قـال الشاعـر :

وصار وصلُ الغانيات أَخَّـا

عند سعار النار يغشى الدُخّا

وفاتـه أن يشير الى « الزَخّ »،فهـو السير العنيف .

وقـال في « النَخّ » : أَن تُناخ الابـل قريبا من المصدِّق ليُصَدِّقها » .

اقـول : ولمـا كان الباب معقودا للأسماء دون الافعال،فعبـارة « الصحاح » هي المقبولة الواجبة ؛ جـاء في « الصحاح » : النَخّ:الابل التي تناخ عنـد المصدِّق ليصدِّقها » .

وفاتـه أن يذكر « الصَّخّ »،« وهو الضرب بالحديد على الحديـد، والعصا الصلبة على شيء مصمـت » .

وتخصيص الضرب بهـذه الخصوصية المعنوية يُخرج الكلمة عن المصدر،وهو « الصَّخّ » . والمصادر ممـا أدرجها الفارابي في بـاب الافعـال .

ومـن المهـم ان اشير الى ان المصنِّف حين يذكر الكلمة يُكتفي منهـا في كثير من الاحيان بمعنى واحـد ، وقد يكون هو المشهور الذي يعرفـه الخاصة والعامة . ومـن ذلك قوله في « الخَـدَ » :

« وهو الخـد »،وسكت .

جـاء في « اللسان » : والخَـدّ والاخدود:شقّان في الارض غامضان مستطيلان . والخَـدّ:الجدول .

وقـد يختلط الامر على المصنِّف فيُدرِج المصدر مع الاسماء ويحسبه اسماءكما قـال في « الشَدّ »،أي ارتفاع النهار . وعندي انـه مصدر، لان الفعل في قولهم « شَدَّ النهار » ارتفـع .

وفاتـــه ان يذكر « الصُدّ » ؛ و « الصَدّ » و « الصِدّ » بفتح وضم ؛ الجبل ؛ قالت ليلـــى الاخيلية :

أَنابِغُ لم تنبَغ ولم تك اولاً وكنت صُنيًّا بين صُدَّين مجهلا

و « الصدّان » ناحيتا الشعب أو الجبل أو الوادي، والواحد « صُدّ » .

وقـــد يثبت من المعاني احدها، وقد يكون الاغرب، كما قـــد يكون الاشهر كما بيّنّـــا ؛ ومن ذِكرِهِ اغربَ المعاني واهمال المعاني الاخـــرى قوله في « القَـــدّ » :

و « القَـــدّ » : مَسْك السخلة ؛ يقال في المثل « مـــا يجعل قَدُّك مـــن اديمـــك » . وشيء حسن القَـــدّ ، اي حسن التقطيع .

اقـــول : وفاته أن يذكر أن « القَـــدّ » القامة ، وقدر الشيء ؛ وغلام حسن القـــد اي الاعتدال والجسم .

وامـــا اثبات المصنّف في قوله « حسن القـــدّ اي حسن التقطيع » فهو اعلق بالافعال لانـــه يذكّر بالمصادر .

وقال في « النَـــدّ » : وهو « النَـــدّ » ، واكتفى بذلك، والذي جـــاء في كتب اللغـــة : ان « النَـــدّ » التلّ المرتفع، ونوع من الطيب ، كما في « الصحـــــاح » .

وقـــد يتجنّب المصنّف الخلاف وما فيه من اقوال قـــد تحمل على التضاد او غيره، ومن ذلك ما جـــاء في « الهُدّ » . قال المصنف : ويقـــال : اني غير هَـــدٍ، اي غير ضعيف .

اقـــول : وقال ابن الاعرابي « الهُـــدّ » من الرجال: الجـــواد الكريم، واما الجبان الضعيف فهو « الهِـــدّ » بكسر الهاء لا فتحها .

وفـــات المصنف ان يذكر « وَدّ » وتعني الكلمة اسم جبل معروف . و « الوَدّ » : الوَتِد، بلغـــة تميم .

واكتفى المصنف بقولـه : ان « الجرَّ » اصل الجبل ، وهو جمـع « جُـرّة » .

اقـول : وفاته ان يذكر انـه الحبل الذي في وسطه اللُّؤمـة الـى المضمـدَة .

وفاتـه ان يذكر « العَـرّ » بمعنى الجرب،وهو العُرّ والعُرّة،بالضم .

وذكر ان « المـرّ » هو الحبل،وفاته ان يذكر انـه المسحاة ايضا ، وقيـل : مِقبَضهـا .

ومـا اريـد ان اسرف في استدراكي على ما ذكره المصنف فـي بنـاء « فَعْل » من المضاعف،فأنتقل الى بنـاء « فَعْلَة » بفتح فسكون من المضاعف ايضا فأقـول :

٢ ــ بـدأ المصنف بـ « حَبَّة القلب » بمعنى ثمرته،وفاته ان يذكر : « بَبَّـة » وهي حكاية صوت صبيّ . قالت هنـد بنت ابي سفيان تُرَقّص ابنهـا عبد الله بن الحارث :

لأُنكِحَنَّ بَبَّـهْ

جارِيَـةً خِدَبّـهْ

وفي « الصحاح » : « بَبَّـةُ » : اسم جارية . و « البُبَّة » السمين ؛ وقيل : الشابُّ الممتلىء البدن نعمةً ، وقـد حكاه ابو عبيد في « الغريبين » .

وفاتـه ان يذكر في « حَبَّة » انها واحدة الحَبّ ؛ وانها اسم امراة .

وفاتـه ان يذكر « الخُبَّة » بفتح وكسر:الطريقة من الرمل والسحاب ، وهي من الثوب شبه الطُـرَّة .

وفاتـه ان يذكر « الدَبَّـة » وهي التي يُجْعَل فيها الزيت والبزر والدهن،وجمعها « دِبـاب » .

واذا كـان المصنف قد ذكر « الرَّبّ » معرِّفًا بانـه الخالـق ، وربّ الدار. صاحبها،فلِمَ لم يذكر « ربَّـة الدار » صاحبتها !

وفاتـــه أن يذكر « « السَّجَّة » وهو صنم كان يُعبَد من دون اللـــه . وبـــه فسّر قوله ــ صلى اللـــه وعليه وسلم ــ : اخرجوا صدقاتكم فان اللـــه قد اراحكم من « السَّجَّة » و « البَجَّة » .

و « البَجّة »،الفصيد الذي كانت العـــرب تاكله في الأُزْمة .

وقالـــوا : و « زَخَّةُ الانسان وَمَزَخَّته ومِزَخَّته »،امراتـــه ؛ ولـــم يشر الى ذلك المصنـــف .

وفاتـــه أن يذكر « القَلّة » وهي النهضة من عِلّة او فقر . وفاتـــه أن يذكر « العَمّة » مؤنث العـــمّ .

واكتفـــي بهذا القدر،وانتقل الى بنـــاء « فُعْل » بضم فسكون، من المضاعف،فاقـــول :

٣ ــ لقـــد فات المصنف أن يدرج « الخُبّ » وهو الغامض من الارض .

وفاتـــه أيضا أن يذكر « الأُسّ » وهو الاساس،اي اصل البنـــاء .

وفاتـــه كذلك أن يذكر « الأُصّ » وهـــو الاصـــل .

وفاتـــه أن يدرج « السُّلّ »،وهو الـــداء؛وفيه ثلاث لغات،الضمّ والفتح ثـــم السُّلال .

وفاته أن يذكر « القُـــلّ »،وهو الخسيس الدين ، ومنه قول الاعشى :

ومـــا كنتُ قُـــلًّا قبل ذلك ازَيبـــا

وننتقل الى بنـــاء « فُعْلَة »،بضم الفاء وسكون العين،من المضاعف، فنجـــد « الجُبَّـــة » .

اقـــول : واجتزأ المصنف من معاني « الخُبَّـــة » فذكر الخرقةَ تُخرِجُهـــا من الثوب فتعصب بهـــا يـــدك .

وفاتـــه أن يقول ايضا : ان « الخُبَّة » الخـــدّ في الارض . « والخُبّة » طريقة لينـــة ميثاء،ليست بحزنة ولا سهلة،وهي الى السهولة ادنى .

واغفل ذكر « الدُبَّـــة » انثى الدب .

وفاتـــه « العُجّة » لضرب من الطعام اختلفوا في مادتـــه واجزائه، فقالوا: الدقيق بالسمن، وقالوا شيئا آخـــر .

وقـــد تجـــد عبارة المصنف معوزة، فهو يقول في « الكُرَّة »: البعـــر العفن ؛ قال النابغـــة يصف الدروع :

عُلِينَ بكذْيَونٍ وأُبطِنَّ كُـــرَّةً فَهُنَّ وِضاءٌ صافياتُ الغلائلِ

اقـــول : وقد تعجب من مجيء الشاهـــد في الدلالة على المعنى الذي اثبته المصنف، وهو البعر العفـــن . ولكن الحقيقة تنجلي بعبـــارة « الصحاح » الذي زاد على ما ذكره الفارابي بقولـــه : « تُجْلَى بـــه الدروع » ؛ وهنا يتبين قيمة الشاهد وهو قـــول النابغة .

ومـــن ذلك أيضا قوله : « والحُزَّة لغـــة في الحُجزة » .

اقـــول : واذا راينا عبارة « الصحاح » : ان حُـــزّة السراويل، وحُجزتها التي فيها التكّة ، ادركنا تقصير الفارابي في ايجازه المُخِـــلّ .

ومـــن ذلك قوله في : « المُـــزّة »، الخمر . وهي في « الصحاح » : الخمر التي فيها طعـــم حموضة .

وقـــد يأتي بشيء من المناكير مما لا نجده في اي من كتب اللغـــة ؛ ومن ذلك قولـــه : « وهي اللُطَّة » .

اقـــول : وليس في « اللسان » او « القاموس » او « الصحاح » او « الجمهرة » شيء من ذلـــك .

واذا كان الكلام على بنـــاء « فُعْلَة » وما جاء منه في العربيـــة ، فاين « الأُمَّـــة » وهي كلمة شهيرة تنصرف الى دلالات عـــدة ؟

ثـــم اين « الحُمَّة » وتعني معظم الحرّ ؟ واينـــ « السُمّة » وهي حصير يتخـــذ من خوص الغَضَف ؟

وفي « التهذيب » : والسُّمَّة شبه سُفرة عريضة تُسَفُّ من الخوص وتُبْسَط تحت النخلة اذا صرمت ليسقط مـا تناثر من الرطب والتمر عليها .

ثـم أين « القُمّة » وهي المزبلة ؟

واذا انتقلنا الى بنـاء « فُعْلي » بضم الفاء من المنسوب المضاعف، وَجَدْنا المصنّف يذكـر اربعة الفاظ هي عدة ما جاء على هذا البنـاء .

٤ ــ اقـول : وليس فيها « العُمّيّ » وهو العـام، يقابل القُصْرِيّ، وهـو الخـاص .

واذا تجاوزنا هذا البنـاء المنسوب المضموم الفـاء الى نظيره المكسور الفاء، نجـد ثلاثة الفاظ ليس غـير .

٥ ــ اقـول، وفاته « عِلّيّ » وجمعها « عِلّيّون » كما في قوله تعالـى : « ان الأبرار لفـي عِلّيّين » .

٦ ــ وفاتـه أن يذكر « الحُمَم والصُمَم »، وليس لـه أن يحتج بالمصدرية، فقد ذَكَرَ البُلَل والمُلَل والزُلَل والقُصَص وغيرها، وكلّهـا من المصادر . وايـن « الدُبَبُ » وهو الشعر على وجـه المـراة ؟

٧ ــ ويعمـد المؤلف كثيرا الى الاكتفاء بمجيء الكلمة على البنـاء الذي يشير اليـه، من غير أن يذكر شيئا من دلالته، مع انـه يستحق ذاك؛ كقوله في « الحُظَظ » : انـه لغـة في « الحُظُظ » بضم ففتح وبضمتـين .

أقـول : وقد وردت بضادين وبظاءين، وبضاد بعدها ظاء، كما في كتب اللغـة الاخرى . والحُضُض دواء من أدوية العـين ...

٨ ــ ونأتي الى بنـاء « فُعَلَة » فنجد ستة الفاظ، وليس بينهـا « هُمَزَة » و « لُمَزَة » و « ضُحَكَة » و « هُزَوَة » وكثير غيرهـا .

٩ ــ ولـم يذكر في بنـاء « أُفْعول » الا « الأُخْدود »، فايـن « الأُنْبُـوب » ؟

١٠ ــ وفاتــه أن يذكر « الإرزيز » على بنــاء « إفعيل » وهــو الرعدة ؛ و « إزميم » وهو ليلــة من ليالي المحاق .

١١ ــ وفاتــه أن يذكر « المَذَبّ » وهو مكان جريان السيــل . و « المَحَــلّ » وهو اشهر من ان يغفل ذكره . ومثل هذا كثــير .

١٢ ــ قلــت : انــه يوجز، والايجاز حيث يجب من البلاغة والاحكام، فقد قالوا : البلاغة الايجاز . غــير أن الايجاز يصبح مأخذاً على صاحبه اذا لم يُــفِ بالمراد . ومن ذلك قول المصنف في « المِــدَكّ » على « مِفْعَل » مثل « مِبْرَد » : انــه شديد الوطء، إنّ قوله « شديد الوطء » معوز، فقد ينصرف « الوطء » الى دلالات عــدة ؛ فاذا قرانا « الصحاح » ووجدنــا فيه : انــه قوي شديد الوطء للأرض ، انتفى اللبس وزال الغموض .

١٣ ــ ومــن ايجاز المصنّف المُخِلّ قوله : « وهو المِخطاط » . ولا يعرف القارىء مــا المِخطاط، فيستشير مصادر اللغــة، فيجد الجوهريّ يدرجه في « الصحاح » قائلا : انــه عود يُسوّى عليه الخطوط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٤ ــ وفاتــه أن يذكر في بنــاء « فعّال » المضاعف « الدَقّــاق » و « السَلّال » من اسماء الرجــال، وكذلك السَفّاح والسَفّاك من القابهــم . ومن اعلامهم « زَبّان » وبــه سمي ابو عمرو بن العلاء، ومن هذا كثير .

١٥ ــ وفاتــه أن يدرج « الدَبّابَة » في بنــاء « فَعّالَة » من المضاعف .

و « الدَبّابَــة » التي تُتّخذ للحروب ، يدخل فيها الرجال ، ثــم تُدفَع في اصل حِصن ، فينقبون ، وهــم في جوفها ؛ سميت بذلك لانهــا تُدفَــع فَتَــدِبّ .

و « حَبّابَة » من اعــلام النساء المشهورة .

١٦ ــ وذكر في بنــاء « فُعّال »، بضم الفاء مع تشديد العين، ثلاثة اسمــاء، اولهــا :

« رجال سُحّاح » اي سمــان .

اقـــول : والضبط في « الصحاح » بكسير السين مـــع التخفيف ، وفي « القاموس » بكسر السين وبضمّها مـــع التخفيف ، ومثله في اللسان . ولم يرد في اي منها تشديد الحاء . والذي اراه ان قـــول المصنف « رجال سُحّاح » وهو جمع « ساحّ » لان « فُعّال » مما يطّرد في جمع « فاعـــل » .

ولـــم يذكر « الدُبّاء » وهو القرع؛واحدته « دُبّاءة » ولا « المُكّـــاء » لجنس من انطير، وغـــير ذلك .

١٧ ــ وفي باب « فاعول » من المضاعف ذكـــر المصنف اربعة الفاظ بداهـــا بـــ « ماجوج » .

اقـــول : والرواية فيه الهمز"ماجوج"،وقُرِىء « ماجوج » بتسهيل الهمزة ايضا ؛ فاذا ذَكَر « ماجوج » فما بالـــه لم يذكر « ياجوج »،وهـــو مثله ويسبقه في الآيـــة الكريمة : « ياجوج وماجوج » !

وذكـــر « الجاسوس » ولم يذكر « الداسوس »،وهو مثله وقريب منه في الدلالـــة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨ ــ وفي بـــاب « فَعال » بفتح الفاء مع التخفيف مما لحقتـــه الزيادة من حروف المـــدّ بين حرفي تضعيفه،فاتـــه ان يذكر « اليَباب » وهو الارض القفر ، و « الحَزاز » من الرجال،وكذلك الحزيز، الشديد على السَّوق والقتال والعمـــل .

١٩ ــ وفي باب « فَعول » من المضاعف قال المصنف : « وهو الذَرور ».

اقـــول : وجاء في القاموس : ما يُذَرّ في العين ؛ وعطر كالذريرة .

٢٠ ــ وذكـــر المصنف : « سنة حسوس،اي شديدة » .

وفي « الصحاح » : انها شديدة المَحْـــل .

٢١ ــ وجـــاء في « الزَفوف » : انهـــا فرس كان للنعمان بن المنذر .

اقـــول : قد يكون هذا ثابتا،غير أن في « اللسان » : ان « الزُفوف » هي النعامة . وقـــد اغفل ذكرها صاحب « الصحـــاح » .

٢٢ ــ وذكـــر المصنف أن « السَّموم » شدّة الحر . والـــذي في « الصحاح » انهـــا الريح الحارة . وقال في « الهَموم » مـــن البحـــار، الكثـــير المـــاء .

اقـــول : وجاء في اللسان : أن « الهَموم » البئر الكثيرة المـــاء . وسحابة هموم،صبوب للمطـــر .

وقـــال ابو عمرو : « الهَموم » الناقة الحسنة المشية ، والقرواح التي تعاف الشرب مع الكبـــار ، فاذا جاءت الدَّهداهُ شُرِبَت معهنّ ، وهـــي الصِغار . والهَموم : الناقة تهمم بفيها الارض وتَرْتَع ادنى شيء تجـــده ؛ قال : ومنه قول ابنـــة الخس : خير النوق الهموم الرموم التي كـــان عينيها عينا محمـــوم .

اقول : وقول ابنـــة الخسّ : خير النوق الهَموم الرَموم ، التي كأنّ عينيها عينا محموم . اقول : وقول ابنـــة الخسّ يشير الى « الرَموم » التي ندَّت عـــن الفارابي فلم يذكرهـــا .

٢٣ ــ لقـــد افرد المؤلف بابًا لبناء « فعيل » المضاعف،وأغلبـــه من الصفات التي كـــان من منهج المصنف أن تندرج في باب الافعال؛نحـــو : الحبيب ،والربيب، واللبيب، والشحيح، والجديد، واللذيذ، والضرير، والعزيـــز، والخسيس، والخفيف، والدقيق، والجليل، والدميم، والضنين؛ومثل هذا كثـــير في هذا البـــاب .

٢٤ ــ وجـــاء في هذا الباب « اللطيطة » فقـــال المصنف : وهي اللطيطـــــة .

وليس اللطيطة في « الصحاح » او « اللسان » او « القاموس » . وقـــد وُجِـــد في هذه المظانّ : لَطَطتُ الشيء : الصقته ؛ ولططتُ حقَّـــه : جحدتُه ؛ ولطَّ الستر : ارخاه ؛ ولطّت الناقة بذنبها،اذا جعلته بين فخذيها .

٢٥ ــ وقــال المصنف : « هي البُليلة » .واكتفى بذلك . وهي ريح باردة مع ندى او مطرة ضعيفة،كمــا في « الصحاح » و « اللسان » .

٢٦ ــ وجــاء الكثير من بنــاء « فُعال »،بضم الفاء المضاعــف، صفاتٍ ونعوتا،ممّا يجــب أن يندرج في قسم الافعال .

٢٧ ــ وفــات المصنّف أن يدرج « الطُّفاف » في عــدة هــذه الالفاظ التي جــاءت على هذا البنــاء .

٢٨ ــ وفــات المصنّف في بنــاء « فُعالَة »،بضم الفاء مع التضعيف، « الطُفافة » ، وهي مــا فوق المكيال،ومثلها « الطُفاف » الذي اشرنا اليه .

٢٩ ــ وجــاء من المنسوب على بنــاء « فُعال »،بضم الفاء،لفظ واحد هو « القُساسيّ »،وذَكَــرَ المصنّف انــه السيف .

اقــول : وفي « الصحاح » أن القُساس معدن الحديد بارمينية ، و « القُساسيّ » منسوب اليــه .

٣٠ ــ وجاء في بناء « فِعال »،مكسور الفــاء من المضاعف،« الجِداد »؛ فذكر المصنّف انــه لغــة في « الجَداد »،بفتح الجيــم .

اقــول : والجِداد والجَداد مثل الصِرام والقِطاف،كما في « الصحاح ».

٣١ ــ ومــن ايجاز المصنّف انــه ذكر « الصِرار »،بكسر الصاد، وقــال : الخيط الذي يُشدّ بــه ضرع الناقة .

اقــول : وزاد في « الصحاح »،لئــلا يُرْضَعها ولدها ؛ وهــذه الزيادة مفيدة وواجبــة .

٣٢ ــ وفي مــادة « تِمام »،بكسر التاء،ذكر المصنف : وُلِــدَ تِمــام وتَمام (بالكسر والفتح) ، وقَمَــرٌ تِمام وتَمام .

اقــول : والذي في « اللسان » الكسر وحده،ليل تِمام وليل لِتِمام وليــلٌ تِمامــي .

٣٣ ــ وفاته في بنـــاء « فِعالة »، بكسر الفاء من المضاعف، « الكِمامة » وهي ما يجعل على مِنخَر الدابّة لئـــلا يؤذيها الذباب، كما في « اللسان » . و « الكِمامة » ايضا وعـــاء الطلع، وغِطاء النَّور، كما في « الصحاح » .

٣٤ ــ وفاتـــه أيضا « الدِلالة »، بكسر الدال، وهو ما يعطـــى للدَلّال او الدليـــل .

٣٥ ــ وجـــاء في بناء « فُعْلَى » المضموم الفـــاء والمضاعف، ثلاثة الفـــاظ هي : « الرُبَّى » ، و « الحُمَّى » و « الغُمَّى » .

اقـــول : وفاته شيء كثير، منه : « الحُبَّى » من أعلام الاناث ، و « الدُبَّى » : موضع بالدهناء ليّن يألفه الجراد فيبيض فيـــه ، و « الجُلَّى » للأمـــر العظيـــم .

٣٦ ــ وفـــات المصنف في بنـــاء « فُعْلاء »، بضم فسكون مـــن المضاعف : « الدُبّاء » وهو القرع، واحدته دُبَّـــاءة .

٣٧ ــ وفـــات المصنف في بنـــاء « فُعْلان » من المضاعف : « زُبّان » من أعلام الرجـــال ، وكذلك « بُلّان » .

٣٨ ــ وفـــات المصنف أن يذكر « الحَبْحَبَة » على بنـــاء « فَعْلَلَة »، بفتح الفاء، وتعني جري المـــاء قليلا .

كمـــا فاتـــه « الخَبْخَبَة »، وهي رخاوة الشيء المضطـــرب .

ومثـــل هذا « الدَبْدَبَة » وهي العُجروف من النمـــل . و « الدَبْدَبَة » كلّ صوت اشبهَ صوت الحافر على الارض الصلبة . ومثل هذا « الذَبْذَبَة » وهي تردد الشيء المعلّق في الهـــواء . ومن ذلك « الجَلْجَلَة » للصـــوت عامّـــة . وهذا قليل من كثير مما قَصَّر فيه المصنـــف .

٣٩ ــ وفـــات المصنف « الصُرْصُر »، بضم الصاد من مضاعـــف الرباعى . والصَرْصُر، بالضم والفتح؛ والصُرصور مثل الجُرجور، وهـــي العظام من الابـــل .

٤٠ ــ وقد فاته في بناء « فُعْلُلَة »، بضم الفاء واللام: « البُلْبُلَة » لضرب من الكيزان في جنبه بُلبُل يَنْصَبّ منه الماء .

٤١ ــ وذكر في بناء « فِعْلِل »، بكسر فسكون من المضاعف : ورجل صِمْصِم اي غليظ .

اقول وزاد صاحب « الصحاح » : ويقال الجريء الماضي .

٤٢ ــ وقد قصّر المصنّف في بناء « فُعالِل »، بضم الفاء وكسر اللام، وقد فاته « البُسابِس » و « الكُباكِب » و « الدُبادِب » و « الجُباجِب » للكثير الصِيَاح ، وغير ذلك كثير .

٤٣ ــ وقد فاته كثير مما جاء على « فَعْلال »، بفتح الفاء من المضاعف، ومنه « الدَبْداب » و « الرَحْراح »، وشيء رحراح اي فيه سَعة، وغير هذا كثير .

٤٤ ــ وقد فاته في بناء « فَعْلالَة »، بالفتح « الطَبْطَابَة » وهي خشبة يُلعَب بها في الكرة .

ومن هذا ايضا « البَسباسَة » وهي بَقْلَة ، وهي ايضا من اعلام الاناث .

٤٥ ــ وفاته في بناء « فُعْلول » « الطُرْطور » وهو الوغد من الرجال .

وينتهي المصنف من باب الاسماء من المضاعف ويعود الى باب الافعال من المضاعف، فيبدأ بـ « فَعَلَ يَفْعُل »، بفتح العين في الماضي وضمّها في المضارع . ويعقبه بـ « فَعَلَ يَفْعِلُ »، بفتح ثم كسر، ثم « فَعَلَ يَفْعَل »، بفتحتين، ثم « فَعِلَ يَفْعَل »، بكسر ففتح، وهو في مجموع هذا يذكر المصادر . ولا تحسبنّ انه يستوفي الكلم او يستوفي الدلالات، فقد فاته الشيء الكثير . وهو يوجز في كثير من الاحيان ايجازا مُخِلاً .

وهـــو حين يذكر « فَعِلَ يَفْعَل »، بكسر ففتح، يعرض للنعوت التي وردت على "افعل" من الافعال المضاعف، نحـــو: الأَحَصّ والأَشَمّ وغيرهما .

ثـــم يدخل في باب الزيادات، فبدأ بـــ « أَفْعَلَ » من المضاعف، نحـــو: أَحَبَّ وأَلَحَّ . ثـــم يعقب ذلك بـــ « فَعَّل » المزيد، ثم يعرض للمشتقات، كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة وغيرهـــا ، وينتهي من المضاعف فيعود الى الافعال غـــير المضاعفة، ويتبـــع منهجه نفسه ، في المجرد والمزيد وما يتصل بهذه كلها من المشتقـــات .

ولا بـــد من القول أن المصنّف مقصّر غير مستوف لمادتـــه في هذه الجمهرة الكبيرة من المـــواد .

وهـــا نحن نبدأ الكلام على الجزء الرابع، والمنشور منـــه القسم الاول ؛ ولعلّ القسم الثاني خاص بالفهـــارس .

يبـــدأ هذا الجزء بـــ « كتاب ذوات الاربعة » ؛ وقد يخيَّل اليك أن « ذوات الاربعة » هذه تعني الرباعي، فأقول، ليس الامر على هـــذا النحو، فهو يأتي بباب « فَعْل »، بفتح فسكون، مما آخره واو، كالرَّبْو والنَّحْو والفَرْو والدَلْو، وغير ذلك . والمصنف على نهجـــه لا يستوفي عدّة الكَلِم ولا يستوفي دلالاتها ؛ وقد يوجز ايجازا يحمل الضيم على المعاني . ثـــم انـــه يخلط الاسماء بالمصادر، مع أن البـــاب مخصوص بالاسماء دون المصادر، التي يَعدّها من بـــاب الافعال .

فـــاذا انتهى من هذه الالفاظ ذات الواو في آخرها، عـــاد الـــى الباب نفسه مما آخره يـــاء .

ثـــم يعرض لما جاء من الباب نفسه من اللفيف الواوي واليائي، كالبَوّ والحَيّ . ويستمر في ابنيـــة الاسماء المنتهية بأحد الحرفين الواو والياء، كبناء « فَعْلَة » بالفتح، و « فِعْلَة » بالكسر و « فُعْلَة » بالضـــم ، و« فُعَّل » بالضـــم، و « فِعِّل » بالكسر، و « فَعَل » بفتحتين، و « فَعَلَة »

بفتحتين، و « فِعَل » بكسر ففتح، و « أَفْعُل » و « أَفْعَلَة » و « أُفْعول » بالضم، و « أُفْعُولة »، و « أُفْعُلان » بضم الهمزة والعين . و « مَفْعَل » و « مَفْعَلة » بفتح العين، و « مُفْعَل » و « مُفْعَلَة » بضم الميم، و « مِفْعَل » بكسر الميم، و « مِفْعَلَة » بكسر الميم . وهكذا في سائر المشتقات من الاصل المجرد او المزيد ، وكل ذلك مما آخره واو او ياء . ثم عرض للمهموز في الافعال ومصادرها والمشتقات، واتبع المنهج نفسه .

وهكذا ينتهي القسم الاول من الجزء الرابع، والدارس لهذا الكتاب ممتَحَنٌ اشدّ الامتحان في معرفة الغرض الذي رمى اليه المصنّف: أهو معجم للأبنية ؟ ومعنى هذا ليس من ضير ان يأتي بهذا القدر الكبير من الالفاظ ؛ أم هو معجم للأبنية والكَلم ؟ واذا كان هذا ، فأين جمهرة من الكلم التي فاتت المصنّف ؟

ولم أُرد أن آتي على ما فات الفارابي من الكَلِم المندرج في ابنيته المختلفة، فيكون للمستدرك الذي أتيت به صفة الاستقراء الوافي ؛ بل اردت ان آتي بنماذج واضحة مما فات المصنف، ومما أخلّ به او قصّر او اخطأ، لاقول إن الكتاب لم تتوافر فيه المعجمية العلمية الدقيقة .

على ان من الحق ان اقول في الختام إن المحقّق قد قدّم من الفوائد ما أغنى الكتاب، فيَسَّرَه واجزل عائدته . ولا يضير هذا العمل الجادّ هفوات عرضتُ لها في الكلام على الجزء الاول ؛ وهل تعدم الحسناء ذاما ؟

د. ابرٰهيم السامرائي

تعريب أم اقتباس ؟

للأستاذ عبدالحق فاضل
(بغداد / العراق)

الذي اريد اليه : هو (تعريب) بمعناه القديم أم الحديث ؟

ذلك بأن المعنَيَيْن قد تعارضا اخيرا وتناقضا في هذه الكلمة الواحدة . فقديما قالوا: عرَّبْت الاسم الاعجمي واعربته، بمعنى : نطقت به على نهج العرب ، على تعبير المعجم . وبتعبير أوضح : استعملته في عربيتك ونطقته على طريقة لغتك . ومن ثم اطلق اللغويون « المعرَّب » — زنة المظفر — على الدخيل في العربية . أما اليوم فصاروا اذا اقتبسوا الاسماء الاعجمية نطقوا بها على الاغلب على النهج الاجنب ؛ مثل : تلكس وفولت وهونگ كونگ، حتى حين يكتبونها هونغ كونغ .. اي ينطقونها بالحركات المالة الاجنبية والحركات الاجنبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم تغير معنى (التعريب) حين استعمله بعض المتأخرين بمعنى الترجمة ، فقالوا: هذا الكتاب تعريب فلان ، او عرَّبه فلان ، اي ترجمه من لغة أعجمية الى العربية . وهذا بطبيعة الحال عكس المعنى السابق الذي يعني اقتباس اللفظ الاعجمي واستعماله في العربية بدلا من ترجمته . والامثل فيما يبدو ، في حالة نقل الكتاب الاجنبي الى العربية ، أن يسمى العمل (تعريبا) اذا عبّر الناقل عن الفكرة بأسلوبه هو دون تقيّد بتعابير الاصل ، وان يسمى (ترجمة) اذا التزم بأسلوب الاصل وتعابيره .

وانقلب (التعريب) قلبة اخرى يوم استعملوه في قولهم (تعريب التعليم)، مثلا، بمعنى: ترك اللغة الاجنبية في التعليم واحلال

العربية محلها . ولو سمعها احد العرب القدامى لتساءل متعجبا : هل المقصود هو التعليم باللغة الاعجمية مع نطق الفاظها « على منهاج العرب » ؟ ذلك بأن المعنى القديم قد انقلب في اصطلاح (تعريب التعليم) تماما من (تعريب الاسم الاعجمي) اي استعماله في العربية بمعناه الاعجمي مع تحوير نطقه بما يلائم اللسان العربي ، الى طرد اللغة الاجنبية واحلال العربية محلّها .

وبما أن هذا المعنى الاخير المستحدث هو الشائع الدائر على الالسنة والاقلام اليوم ، وهو الذي يعرفه ابناء الجيل الجديد ، فلستُ أجد مناصا من الاخذ به في حديثي هذا ، ولا أجد مناصا كذلك من أن أستبدل بـ (التعريب) بمعناه القديم كلمة اخرى ترفع اللبس وتزيل التناقض . ولنقل انها (الاقتباس) .

* * *

كثيرون يقترحون علينا اقتباس المصطلحات الاجنبية كما هي، بدلا من صوغ الفاظ عربية تؤدي معناها . بعض هؤلاء من أجِلّة العلماء الذين لا شكّ في إخلاصهم للعربية وإكبارهم لشأنها . ومن حُجَجهم أن العلم صار يتطوّر بسرعة عظيمة،والمصطلحات تتكاثر، فكلّ يوم يولد نحو خمسين مصطلحا في مختلف العلوم والصنايع في مختلف أقطار العالم . ومن حججهم أيضا أن اقتباس المصطلحات الاعجمية يساعد الدارس العربي على فهمها حين يقرؤها في لغة أجنبية ، بدلا من الاضطرار الى تعلّمها من جديد . وثالثة هي أن العرب قد أكثروا من الاقتباس قديما،ولا سيما في عصر الازدهار الحضاري على العهد العباسي ، وعَدَّ بعضهم هذا من امارات ذكاء العرب وحسن تدبيرهم .

وجوابنا على كثرة المولود يوميا من المصطلحات عند الفرنجة، أن معظمه لا شأن له بنا من العلوم التقنية الحديثة التي لا نعرف عنها شيئا ، أو لا نعرف عنها الا القليل،والتي سوف نتعلمها ونحتاج

الى مصطلحاتها بعد ردح من الزمن، لعلّه طويل . كما ان مصطلحات اليوم غير متّفق عليها عند مختلف الأمم، مثل اتفاقهم على المصطلحات القديمة التي كانوا يختارون الفاظها من اللغة الاغريقية أو اللاتينية، لكيلا تختلط ــ ولا سيما أسماء المخترعات الحديثة ــ بالفاظ لغتهم اليومية من قبيل telephon بمعنى Voice a far بالانكليزية اي : صوت من بعيد ، و telegraph بدل script afar اي : كتابة من بعيد .

بل صاروا الآن، لكثرة المخترعات وابتكار الادوات يوميا، يتعجّلون تسميتها ، كلّ بلغة قومه ؛ احيانا يصوغ اسمها الطبيب المشتغل بها، واحيانا المهندس، أو حتى العامل . في معجم النفط ــ مثلا ــ الذي عُمِلْتُ فى وضع مصطلحات عربية للكثير من مصطلحاته الانكليزية ، يطلقون (head : راس) على أجهزة القسم الاعلى من البئر . فهل نسمّيه على مذهب مؤيدي الاقتباس : (هِد) ؟ انا آثرت ترجمة المصطلح بدل اقتباسه، فاخترت له كلمة (الهامة) لانني وجدتها أوفى بالمرام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحدى الادوات يسميها المعجم الامريكي (عنزة) . ويبدو ان هذه لم تكن من وضع عالم أو مجمع لغوي ، فلعلّها من وضع احد العمال، وَجَدَ راس الاداة او ذيلها أو شكلها العام يشبه العنزة في تصوّره . فهل يجب أن نقتبس اسمها (كوت : goat) ثم ننطقها ــ على منهاج العرب (قوت) بالفتح ، أو (جوت) بالنطق المصري ؟ (نسيت الاسم العربي الذي وضعته لها) .

واذا كانت اللغات الافرنجية تتّفق غالبا في الاسماء المصوغة من الاغريقية أو اللاتينية، كالذي المحنا اليه ، فان بعضها يتغاير حتى في هذه ، كالالمانية التي تخالف اخواتها الاوروبيات في كثير من هذه المصطلحات المشتركة . فاما المصطلحات التي يصوغها كلّ بلغة قومه فلا يمكن بحال أن نقتبس واحدة منها من لغة الا لتخالف الاخريات .

مهـذا الإشكال الذي يبتغي انصار الاقتباس ان يُجلّوه للعربيـة قد اخذت تعاني منه جميع لغـات الارض ؛ حتى الفرنجة لم يبق لهـم محيـد عن الترجمة ، كل الى لغتـه : الفرنسيون يترجمون الـى لغتهـم المصطلحات المستحدثة في الانكليزية والالمانيـة والروسية ، والانكليز يترجمون الى لغتهـم ما استُحدِث منها في الفرنسية والالمانيـة والايطالية ، الـخ ... ولا سبيل للعربية تسلكه غير هذا السبيل ، مثلهن ، اي الترجمة ، بـل التعريب ـ وان بين الكلمتين لَفَرْقـًا نَوَّهْنـا بشيء منه آنفـا ، وسيعود الينا نموذج منه بعـد ـ

وبالاضافـة الى اختلاف اللغات في الفاظ المصطلحات نذكـر ان اللغـة الواحدة الافرنجية قد تختلف مفرداتها في داخلهـا ؛ فشركات النفـط، مثلا، لا تتشاور فيما بينها حين يستدعي الامـر وضع مصطلح جديد ، بل تضع كلّ واحدة منهـا المصطلح الذي يعنّ لهـا للآلـة الواحدة، او الحالة الواحدة، حين تصادفها في اثناء الحفر او التصفيـة او غير ذلـك .

فـاذا نحن أردنا اتباع قاعدة الاقتباس، فاية لغـة نتبع ، ولكلّ لغـة ، واحيانا لكلّ شركة معجمهـا ؟

امـا الاشادة بذكاء العرب الغابرين لانهم اقتبسـوا الالفـاظ والمصطلحات ، فمن بـاب الاغراء والتشجيع على الاقتباس الـذي قد يدلّ على اي شيء سوى الذكـاء . فالاقتباس سجيّة جميـع اللغـات ، ولا سيّما القاصرة البدائية منهـا ؛ فكلّما زادت اللغـة إملاقـًا وقَلّت مقدرةً علـى التعبير، كَثُر اقتباسها من اللغـات الاخرى التي تحتكّ بهـا . (وقد يكون للاقتباس اسباب اخرى غير الفاقـة اللغوية ، لا محلّ لها هنـا).

وقـد تكاثرت المقتبسات في عهـد الترجمة العباسي حقا ، لكـن سبب ذلك على الاغلب ضعف لغـة المترجمين، وضآلة بضاعتهم مـن

العربية ــ وقد كان بعضهم من غير العــرب الفصحاء ، فشاعــت بسببهم مصطلحات اجنبية لم يعرفوا كيــف يترجمونها الى العربية ، مثل : الفلسفة ، والجغرافيا ، والاجرومية ، والارتماطيقا ، والطبوغرافيا ، وكثير غيرها ؛ فحيثما جهل المترجــم معنى الكلمة الاعجمية (اغريقية او غيرها) او لم يَهْتَــدِ الى الكلمة العربية المقابلة لهــا ، أَقْحَمَ الكلمة الاعجمية في ترجمته العربيــة .

لكــن العرب نقّحوا تلك الترجمات فيما بعــد،ووضعوا الكثير من الالفاظ العربية بــدل الاعجمية ، مثل : الحكمة بــدل الفلسفة ، وتقويم البلدان بــدل الجغرافية ، والحساب بــدل الارتماطيقا ...

ولامــرٍ ما ثَبَتَ بعض المصطلحات الاعجمية بــدل العربية ، مثل الفلسفة ، والاسطرلاب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، وغيرها . لكــن هذه قليلة اذا هي قيست بالمصطلحات العربيــة التي لا تحصى فــي الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغيرهــا .

ولــو قد أخذ العلماء العرب عهدئذ كــل المصطلحات الاعجمية كما هي من الاغريقية واللاتينية والهنديــة .. لضاع علينا من لغتنــا هذه العربية خير كثــير .

ولئــن كنت اعاضد (التعريب) وأعارض (الاقتباس) فلســت اجهل صعوبة التعريب ، وما زالت الفــاظ اعجمية تبحث لنفسها عــن صيغ عربية تلابسها ، لانها لم تجــد لدى المجامع ولا الجامعات حتى اليوم ما يقابلها من العربيــة ، وبعضها لن تجد لها ما يقابلها الا بعــد زمــن طويــل .

عُمِلْــتُ في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (التابع لجامعة الدول العربية) ــ في الربــاط ــ اثني عشر عاما ، ومارستُ تعريــب المصطلحات في بعض المعاجم ، وكتبــت دراسات عن بعضها (دون توقيع) ، فوجدت ان العقبة الكبرى في طريقي هي انــي احس بوجود

كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بالمصطلح الاجنبي ، لكني لا اتذكرها . أما الكلمات المعجمية التي اعلم انني لا اعرفها فما اوفرها عددا ! وما مرّت بي مناسبة من هذا القبيل الا اشتدّ شعوري بحاجتنا الماسّة الى معجم للمعاني الى جانب هاته المعاجم الكثيرة للألفاظ . فعندما كتبتُ (في مجلة اللسان العربي) دراسة عن معجم (الطيران المدني) ، مثلا ، عُرِضَتْ لي انواع من الغيوم والرياح والتحليق في الطيران والاسفاف فيه ، اعلم ان اسماءها موجودة في العربية،لكني لا اعلم كيف اجدها . كذلك كتبتُ عن المعجم العسكري الموحّد دراسة وجيزة ، تمنّيت في اثناء تحبيرها لو كان تحت يدي معجم للمعاني يتناول كل مفردات الهجوم والدفاع وتقسيم الجحافل والكراديس ، وكل ما يتعلق برتب القادة وغيرهم من جنود وعرفاء وما الى ذلك . ومثل هذا يقال عن معجم النفط ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والفلسفة ، وكل معجم يضعه المعرّبون في علم النفس ، والتربية ، والاقتصاد ... فلكل من هذه المعاجم وغيرها من معاجم الاختصاص ذخيرتها المكنوزة في مستودع اللغة العربية الشديد الغنى . لكن كيف نعثر عليها؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من فضلك لا تقل لي ارجع الى (مخصَّص) ابن سيدة . انه معجم جليل الشأن حقا ، ومؤلفه الضرير عبقري حقا ــ لكنه قديم، لم تكن اشتات اللغة العربية قد جُمعت عند تأليفه ، في القرن الثالث الهجري ، وخاصة في الاندلس ، وطن المؤلف ؛ فقد ظهرت بعده ، ولا سيما في المشرق ، مفردات كثيرة لا وجود لها فيه . ثم ان القارىء يتوه فيه في تفاصيل لا يحتاج اليها عن كل لفظة ، تفيد الدارس اللغوي لكنها ترهق القارىء المستعجل ، الذي همُّه ان يستعرض الالفاظ الدائرة حول المعنى المطلوب دون دخول في تشعّبات اشتقاقاتها ومختلف معانيها . يضاف الى ذلك ان (المخصص) لا يستوعب كل المواضيع ، فضلا عن ان تبويبه غير عصري ، وفهرسته غير دقيقة ولا واضحة .

ولـو تيسر لجيلنا معجم للمعاني يجمع كل ما يتعلق بالضوء في مكان ، وكل مـا يتعلق بالاحلام في مكان آخـر ، وكل ما يتعلق بالجهاد والنضال في مكان ثالث ، وكل ما يتعلـق بالدرس والحصاد في رابـع وخامس ... لامكننا في معظم الحالات أن نجـد الكلمة العربية المطلوبة مقابل المصطلح الاعجمي ، بالدقـة احيانا ، مما سبق للعـرب أن استعملوه واودعوه معاجمهـم ؛ لكننا لا ندري كيف نعثر عليـه .

ازجـي بعض الامثلة من معجم صغير ترجُمْته عـن الانكليزيـة والفرنسية باسم « معجـم صيانة الطبيعة » (١) واجهتني فيه مصطلحات اعجمية لا نستعمل اليـوم في فصحانا مقابلاتها العربية . نذكـر منهـا falconry (fauconnerie بالفرنسية) ويشرحهـا المعجم بقوله إنهـا « استخدام طيور كاسرة للصيد » . فأيـة الكلمتين الاوروبيتين نختار اذا اردنـا الاقتباس بدل التعريب او الترجمة ؟ هـذا، ولكل لغـة اوروبية اخرى كلمتها التي تؤدي لاهلها هذا المعنـى . أفليس الامثل ان نؤثر كلمتنـا العربية التي استعملها العرب قديمـا بالفعل لهذا المعنـى وهي (التَصَقُّر) ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثـم هناك مصطلح relict (وهو بالفرنسية : relicte) يُعَرِّفه المعجم بأنـه « نوع أو سلالة من نباتات أو حيوانات متخلفـة من فصيلة سالفة أكبـر » . فما الداعي الى الاخذ بالمصطلح الاجنبـي وعندنا في العربية (الخالفة) وهي معجميا « الأمـة الباقية بعد الأمـة السالفـة » ؟

كذلـك dust storm (بالفرنسية tempête de pousserie) .. كثيرا ما يستعمل المعاصرون من كتّابنـا العرب مقابلها (عاصفـة ترابيـة) بينما لدينا في العربية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنـى هـي (السافية) أي « الريح التي تحمل التـراب » .

---

(١) نشر المعجم بلغتيه الاوروبيتين مع ترجمته العربية في مجلة « اللسان العربي » . العـدد (١٢ ـ ج ١ ـ ص ٢٠٦) لسنة ١٩٧٢ .

ثـم mass mortality (بالفرنسية mortalite massive)
.. بايـة صيغة اجنبية نقتبسها ؟ بعضهم يترجمونها لفظيـا بكلمتـي (المـوت الجماعي) . ويقول المعجم المذكور بين قوسين (في الروسية مصطلح خاص « زامـور Zamor » للموت الجماعي في الاسماك بسبب عوز الاوكسجين أو التسمم) . ومعنى هذا انـه ليس لديهم في الانكليزية والفرنسية كلمـة واحدة تؤدي هذا المعنى لهـم . فمـا الداعي الى اقتباس المصطلح الاجنـب ـ الروسي او غـيره ـ او ترجمته بكلمتين وعندنا في العربية (السَوَاف) ـ زنـة الطَوَاف ـ اي : « المـوت يقع في الابل أو الماشية » ؟

مـا علينا الا أن نبحث في لغتنـا فنجد حاجتنا من الالفاظ المعبّرة عما نروم بالدقة او بمـا يقاربها . وسنجد انها في كثير من الاحيـان اغنـى حتـى في المصطلحات ، وادق من الاجنبية . مـن ذلـك مثـلا eulitteral (بالفرنسيـة Zone eulittrale) ، يعرّفها المعجم بانها « المنطقة تَغْرَق دوريًا لوقوعها بين حـدود تَغَيُّر مستوى المـاء »،اي تقع بين مستوى صعود المـدّ او الفيضان وهبوطهما . بينما هذه الكلمـة الاجنبية لا تؤدي كل هذا في لغتهم ، وانما هـي تعني لغويا عندهـم (الساحلي) فحسب . وما كـل أرض ساحلية يصيبها الغرق دوريا على هذا النحـو ، لكنهم استعملوها لانهم لـم يجدوا في لغاتهم كلمة واحدة تؤدي هـذا المعنى الطويل . فهنا لم (أترجم) لفـظ المصطلح المغاير لمعناه اللغوي بكلمـة (الساحلي) او ما يماثلها ، بـل (عَرَّبته)،اي وضعت مقابله الكلمة العربيـة التي تؤدي بالدقة هذا المعنى ، وهي (الرَقَّة) ـ زنـة البَطّة ـ ومن معانيها : « الارض يغمرها المـاء وينضب عنها » على تعبير المعجم ؛ وهي مستعملـة في الدارجة العراقية ايضا بهذا المعنـى ، وربما في دارجات اخريات كذلك .

على أن ثمـة مفردات عربية كثيرة اعرفها لكني لا اتذكرها عنـد الحاجة اليها . واكثر مما اتذكـر او لا اتذكر من المفردات التي أعرفها ، هي المفردات التي لا اعرفهـا . فهنا تتجلى من جديد فائدة معجـم

للمعاني ، عصري ، يُتِمُّ فيه جَرْد كلّ معاجمنا العربية وكتب اللغة المعتمدة ، وفرزها بحسب معانيها ، ليقدّمها لنا مصنفة مبوبة مفهرسة ؛ وما علينا عندئذ ، حين يجابهنا مصطلح اجنبي لا يحضرنا مقابله العربي ، الا ان نفتح معجمنا ذلك على الباب المطلوب . حتى اذا لم نجد المعنى المروم بذاته جاهزا ، فان مفردات المعاني المتصلة به او القريبة منه، تساعدنا على صياغة المصطلح العربي بالصورة التي تلائمنا وتفي بحاجتنا . وفي هذا مساعفة، اية مساعفة، للمشتغلين بالتعريب ، تقفز بحركة التعريب ووضع المصطلحات قفزة كبيرة الى أمام والى أعلى ، في هذه الفترة التي يجتاز فيها وطننا العربي ازمة تعريب ، ونهضة تعريب ، معا . وعندئذ يتيسر العمل حتى لغير اللغويين من المشتغلين في هذا المضمار .

هذا المعجم ـ حَلّال المشاكل التعريبية ـ موجود ، لكنه غير مطبوع ؛ كان قد ألّفه اللغوي الذي يكاد يكون مجهولا في هذا الجيل ، وهو المرحوم سالم خليل رزق ، منذ عام ١٩٣٣ ، بعد أن عمل فيه أكثر من عشرين عاما . ثم فارق هذه الدنيا ولم تكتحل عيناه برؤية انجازته تؤدي وظيفتها في خدمة هذه اللغة التي أَحَبَّها وهام بها ، بدليل انه بذل كل هذا الجهد الشاقّ في سبيلها ، وبدليل تسمية معجمه (لآلىء العرب) .

كمثال بسيط اذكر ان من يعمل في تعريب المصطلحات ـ ولا سيما من غير اللغويين المتبحرين في العربية ـ قد يتحيّر اذا جابهته بالانكليزية كلمات تعني الكتابة ، وقد ورد كل منها في معنى اصطلاحي خاص، مثل :

putting down, graph, scription, writing, booking, recording, ... فاذا لم يكن ممن يعرف الى جانب (الكتابة) : التسطير ، والتحبير ، والتدبيج ، والتحرير ، والتسجيل ، والتدوين ، والتقييد ... فما عليه الا ان يفتح (لآلى العرب) في الباب المختص ليجد أمامه

اكثر من ثلاثين كلمة تعني الكتابة بمختلف انواعها ، وبضمنها الكلمات الآنفة (٢) .

• • •

لكني لا اناصر التعريب بسبب ما تقدم فقط من ثراء العربية وقدرتها على الاكتفاء بنفسها ، ولا لانها كانت الإمام والقدوة في المصطلحات العلمية إبّان ازدهارها حضارةً وثقافةً ، ولا اعتزازا قوميا ، ولكن بدافع علمي خالص ، عالميّ ، ايضا .

ذلك بأني صرت اعتقد ـ بعد طول تأمل في هذه العربية ومقارنة لها مع غيرها ـ انها هي أم اللغات الآريات ، بالاضافة الى الساميّات والحاميّات ، كما اعلنتُ مرارا ؛ بل انها أم لغات اخريات ايضا لم يتيسّر لي بعد إعداد دراسات وافية عنها . وجدت في الانكليزية مثلا أن كلمة river (نهر) يعود رسّها (= جذرها الصوتي) الى قول العربي الاقدم (هو ووو) محاكاة لصوت هبوب الريح ، وان two (اثنين) تعود الى قوله (طو) محاكيا صوت انكسار الغصن ، وان logic (منطق) ترجع الى قول الطفل العربي (لغ لغ لغ) ، وان (sonata) نوع من المعزوفات) ترجع الى قول الفروج العربي (صو صو صو) (٣) ... ولا يقتصر هذا على الانكليزية طبعا،فهو ينطبق على الآريات بوجه عام وبعض لغات اخريات كالذي مرّ التنويه به .

معنى هذا أن اللغويين الاوروبيين لا بدّ لهم من درس العربية باصولها وفروعها ليتعرفوا على المنشأ الذي انبثقت منه مفردات لغاتهم ؛ لانها ـ اي العربية ـ ما زالت نقية تحتفظ وحدها بين

---

(٢) من حسن الحظ أن وزارة الثقافة والاعلام العراقية قد اخذت على عاتقها ، برعاية السيد رئيس الجمهورية ، نشر هذا المعجم .

(٣) فصّلنا ذلك وامثاله في كتابنا « مغامرات لغوية » .

اللغـــات الراقية بالكثير من الجذور اللغويـــة الاولى التي ضاعت من جميع بناتها الساميّات والحاميّات والآريّـات .

والمصطلحـــات الأجنبية الوفيرة التي أخذت تنهمر علينـــا ـــ اذا اقتبسناها بدلا من تعريبهـــا ـــ افسدت نقـــاء هذه العربية ، وعكّرت صفو معاجمها ، خَلْطًا بين دخيل واثيـــل .

الاقتبـــاس اسرع طريقة فعلا واسهلها لتوسيع اللغـــة ، لكـــنْ لتضييع اصالتها ايضـــا ؟ فالانكليزية اليوم اغنى لغـــات الارض،لانها دابت على اختطاف كـــل مصطلح او لفـــظ اجنبي يعرض لهـــا ، دون ان تحاول اشتقاق صيغة لهـــا من مفرداتها ، حتى غدت أوفـــر اللغات ثروة،وأوفاها بحاجـــة الانسان والباحث المعاصر . لكنها ـــ كلغـــة ـــ من افقـــر اللغات ايضا اذا بحثنا فيها عن المفردات الانكليزية الاثيلـــة . وليس ثمة لغـــة انكليزية في الحقيقة ، لانها كلها خليط من اللغـــة المحلية (الولزية) والسكسونية (الجرمانية) والفرنسية والاسكتلندية ولغـــات اوروبيات اخريات . ثـــم جاء عهد الاقتباس ـــ الاستعماري ـــ مـــن كل لغـــات الناس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

المصطلحـــات التي اجدني مترددا بين تعريبها واقتباسها هي التي يرجع لفظها الآري الى رس عربـــي . اذكر من امثالها ما يأتـــي :

تلفزيـــون :

وهـــي اهـــم الكلمات الاعجمية ، العربية الاثل ، التي تواجهنـــا الآن ، لشيوعها في كـــل اقطار الوطن العربي . وكنت اقترحت لفظـــة (المِشْواف) تعريبا وترجمةً لاسم هذا الجهـــاز (television) المركب من vision (رؤيـــة) و tele (من بعيد) . امـــا (المشواف) فمن التشوّف الى الشيء،اي التطلع اليـــه ؛ و (الشَوّاف) من الناس : الحديد البصر ، والشّيفة (زِنَـــة السيدة) والشيفان (زنـــة

السيّدان) : طليعة القوم الذي (يشتاف) لهم ، أي يستطلع حركات العدو . فمعنى (المِشْواف) مطابق لمعنى (التلفزيون)،أي الرؤية من بعيد ، أو بالاحرى اداة الرؤية من بعيد ، وهي أدق وأصوب . وقد استحسن اللفظة غير قليلين ، واستعملوها في أكاتيبهم ، لكنهم غير كثيرين أيضا .

غير أن صيغة (التلفزيون) هي الجارية على الالسن في كل مكان ، وبعضهم صار يشتقّ منها ، فأطلقوا (التلفاز) على الجهاز، و (التلفزة) على فن البث منه ، و (تُلْفَزْت) المسرحية : اعددتها للاذاعة بالتلفاز ، فهي (متلفَزَة) .

ويرجع مصطلح التلفزيون (television) ، فيما يخيّل لي، الى اثل عربي قديم . أما tele فلعلها من قول العربي تلى فلانٌ : تخلف .. وتلى فلانًا : سبَقَه وتَقَدَّمه .. وتلا بعد قومه : تأخر وبقي .. وأتلاه : سبقه أو أخّره . وأصل المعنى تلاه : تبعه . وهذا ينمّ عن قابلية الكلمة للتطور والانحراف عن معانيها ، شأن الكثير من الالفاظ العربية . ثم ان كثرة ما نجده من الالفاظ العربية متسربةً من اللغات الاعجمية،تدعونا الى البحث في العربية عن اثول الالفاظ الآرية التي لا يعرفون لها اثلا في اللغات الاخريات . لهذا لا نستبعد أن تكون (tele) هذه التي تعني البعد ، منحدرة من فعل (تلى) بمعنى التخلّف والتأخر عن القوم ، لشدة اتصاله بمعنى البعد عنهم . والمسافة بين هذين المعنيين أقرب مما بين المعنى الاصلي (الاتباع) والمعاني المتفرعة منه ولا سيما (السبق) — المناقض للاتباع — في العربية نفسها .

وأما (vision) بمعنى الرؤية فأثلها من اللاتينية . وهي من (viso) اي وجه ، بالايطالية . ومرادفها (face) ينطق (فاچِه) بالجيم المثلثة . وهذه صلتها بصيغة (وجه) العربية أوضح من أن تطلب ايضاحا . ومن viso أو نحوها صيغت (visit)

بمعنى الزيارة . والصلة بين الزيارة والوجـــه نجدها في العربية ايضـــا ، حيث اشتقوا من الوجـــه (المواجهة) بمعنى الملاقاة،والزيارة عنـــد المحدثين . اما المعجـــم فيقول ان (المواجهة) تعني اللقاء وجها لوجـــه . و وجّـــه (بالتشديد) الى فلان : ذهب اليـــه (وهذا يعني زاره بطبيعة الحـــــال) .

فعلـــى هذا يكون (التلفزيون) بشقيه (tele vision) من العربية اثـــلا . وسؤالي هو : هل نقتبس هذه الكلمة كرامة لنسبهـــا العربي العريق ، أم نعرّبها .. بالمِشْواف او غـــيره ؟

سوناتـــــا :

لهـــا معناها الموسيقي العالمي المعروف . ويرجـــع رسّهـــــا (جذرها الصوتي) الـــى حكاية صوت الفرّوج (صو صو صو) الـــذي منه قال العرب صأى الفرخ : اي صات . ومنـــه اشتقوا : صاء ، ثـــم صاح ، ثـــم صات وصوّت .. ومن (الصوت) تظهر في الانكليزيـــة shout sound . ومن قبل ظهرت في اللاتينية بصـــورة sonitum sono . ومن هذه الاخيرة صيغت سوناتا sonata

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جيولوجيـــــا :

هـــي بالانكليزية geology ، مركبة من الكلمتين الاغريقيتين : (gé) (أرض) و logia (كـــلام) التي ألحقوها ببعض الاسماء بمعنى (العلم) ؛ فيكون من مصطلحنـــا هذا : (علـــم الارض) ، وقد عرّبوه بـــ (علم طبقات الارض) . وكنت شخصيا أطلقت على هـــذا العلم اسم (الأرْضانيّات) قياسا علـــى (الأحيائيّات) بمعنى علـــم الاحياء . والنسبة الى الارضانيات (ارضاني) فنقول المســـح الارضاني، والعهود الارضانية؛بمعنى المســـح الجيولوجي والعهود الجيولوجيـــة .

ان كلمة (logy) المنحدرة من الاغريقية لوغيا : logia) أي الكلام ، ترجع بأثلها العربي الى (لغـــة) .

وأما gé فتعني بالاغريقية الارض ، كما تقدم . وتقول المعاجم التأثيلية أن الاسم الاقدم للأرض في الاغريقية هو (gaia) .. وهنا نتذكر في العربية (الكاع) اي الارض ايضا ، بالنطق البدوي والعراقي ، والدارج في اقطار المعربة (الجزيرة العربية) بوجه عام . و (الكاع) فصيحها (القاع) وهو معجميًّا : الارض السهلة المستوية ، على حين أن صيغة (الكاع) في الدارجات العربية يعني كما في الاغريقية الارض اطلاقا دون تحديد ، وهو المعنى العربي الاقدم فيما نعتقد . وربما كانت صيغة (قيعة) أقرب الى الاغريقية (gé) ، وقد وردت في الآية « كسراب بِقِيْعة يحسبه الظمآن ماء » اي كسراب بأرض . لهذا لا اجدني اتفق مع المعاجم التي تعتبر (القيعة) صيغة جمع فقط للقاع ، بينما وردت في هذه الآية بمعنى الارض الفردة ؛ وليس من المعقول أن يكون معنى الآية : « كسراب (بأراضٍ) يحسبه الظمآن ماء » .

ثم هناك (القاعة) وهي مجمعيا : ساحة الدار ، لكنها كانت تعني الارض بعامة ايضا،فيما أرى ؛ اي أن صيغة (القاعة) المؤنثة ترادف (القاع) المذكر ، مثل مرادفة الماءة للماء،او النجمة للنجم، والليلة لليل .

لهذا يغلب على الظن أن (gé) اثلها (قيعة) و (gaia) اثلها (قاعة) ــ بمعنى واحد . اي ان الكلمة العربية دخلت الاغريقية بصيغتيها .

وأما نطق القاف كافا مخففا فعادة عربية قديمة ؛ وقد جاء الاسلام وقريش وحدها تنطق القاف قافا قرآنيا،كما لا تزال تنطقه بعض الدارجات متخلفا من القبائل القرشية ومن تأثرها . أما سائر القبائل العربية فكانت وما زالت تنطقه كافا خفيفا . (وبعض الدارجات تنطقه جيما أو همزة) ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فعلى هذا وذاك تكون الجيولوجيا : geology (المؤلفة اصلا من (كيه : gé) و (لوغيا : logia) كلمة اعربية (= عربية قحى) اثيلة بمادتها، اعجمية بصيغتها . وهي كلمة اخرى اجدني مترددا بين اقتباسها بثوبها هذا الاوروبي وتعريبها بصيغة الارضانيات، التي كنت اقترحتها واستعملها بعض اللغويين .

تلفون :

هذه الكلمة الاجنبية قاومت مدة طويلة بعد انقراض زميلاتها الاخريات مثل (تلغراف : telegraph) الذي صار يدعى (برقية) و (غرامافون : gramaphon) الذي عُرِّبَ بصيغة : حاك .

بالرغم من أن بعض الاقطار العربية عرّبت (التلفون) باسم (الهاتف) بقيت اقطار أخرى محتفظة باسمه هذا الفرنجي، واشتقت منه (تَلْفَنَ يُتَلْفِن) ؛ على حين أن (الهاتف) بالرغم من عروبته لا يصاغ منه (هتفت لفلان) بمعنى تلفنت . كما أن تسميته العربية هذه تعوزها الدقة اللغوية ، فمن حقه أن يدعى (مهتوفا به) ، أما (الهاتف) فالانسان المتكلم بالجهاز لا الجهاز نفسه . وكان الصواب أن تؤخذ له احدى صيغ اسم الآلة : مِهتاف ، مِهْتَف ، مِهْتَفة ، هاتوف ! . .

لكن صيغة (الهاتف) هذه المغلوطة معنى ومبنى ، طفقت تطارد (التلفون) من قطر الى قطر ، الى ان تبنّاها الاكثرون، حتى في العراق الذي بقي حينا من الدهر متمسكا باللفظة الاجنبية . واحسب ان هذا سيكون مصيره في بقية ارجاء الوطن العربي .

و (التلفون : telephon) مركب، كما هو معلوم، من (tele) التي سبق لنا تأثيلها و (phon) : صوت ، التي يخيل لنا أن اثلها الاعربي (= العربي الاتم) هو (النوه) اي النم، الذي تنطقه الدارجة المغربية بالضم (فم) وبعضهم يمدّه على عادة

المغاربة في مـد بعض الحركات : (فوم) .. وهي ظاهرة نطقية متخلّفة من عـادة اعربية لبعض القبائل التُدْمى . وقد استعملت العرب (الفوه) بمعنى الكلام في قولهم:فـاه يفوه فَوْهًا ، اي نطق .. وتفاوَهَ القـوم : تكلّموا . وليس بمستبعد أن تكون (فون : phon) تحريفا يسيرا من (الفوه) بالضم : فـم ، أو (الفَوه) بالفتح : مصدر فعل "فـاه يفوه" ، اي ينطق .

تكنولوجيـا :

technology .. امـا (لوجي logy) فقد تحدثنا عنها ، وامـا (تكنـو : techno) فأصلها الاغريقي (تخنـه : technè) اي الفـن . واصلها العربي هو (التِّقْن) زنة الفِكْر ، اي الطبع،في مثل قولهم:« الفصاحة مِنْ تِقْنِـه،اي من طبعه »،فهي على هذا تعني الملكة والفطرة ـ اي الموهبة أو ما اليها . وهي من (الاتقان) : الإحكام . والرجل (التِّقِن) زنـة الشَرِس ، هو « المتقن للأشياء،الحاذق فـي العمـل » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذن فـ (التكنولوجيا) أيضا عربية اصـلا . ولكن اذا أخذنا بها فـلا ينبغي أن نفرّط بصيغة (التِقْنِيّات) و (التِقْن) وانمـا نقتصر في استعمال (التكنولوجيا) على المَواطـن التي لا تفي (التقنيات) بالتعبير الدقيق عنها ، فيمـا اذا جابهتنا مثل هذه المواطـن .

بنزيـن :

هـذه الكلمة الاعجمية ترجع كذلك الى اصـل عربي ، لكنها غير خالصة النسب في العروبة ولا هي قديمة ، ولا صلة لمعناها الحالـي بمعناها الاصلي . فهي من مولّدات العهـد الاسلامي اولاً،ومنحوتة من كلمة عربية واخرى اعجمية،ثانيا . وذلك الاثل هو (لبان جاوة) وهـو نوع من الصمغ العطر كان يجلبه التجار العـرب من (جاوة) الى اوروبا ، ولا علاقة لـه بالبنزين المستعمل وقودا للسيارات ونحوها . لكـن

الفرنسيين سموه (بنجوان : benjoin) بعد حذف لام (لبان) ظنًّا منهم، فيما يظهر، انـــه لام التعريف (في لغتهم) . وعنهم اخذه الانكليز بنفس الكتابة (benjoin) لكنهم نطقوه على طريقتهم (بنجوين) ، ثـــم جعلوه (بنزوين : benzoin) . ثـــم تطور معناه ايضا حتى صـــار (بنزين : benzin) .

جغرافيـــا :

امـــا هذه فلا مجال الآن لمناقشة الاحتفـــاظ بصورتها الاغريقية هذه او تعريبها بلفـــظ عربي مبين ، لانها شاعت وفرضت نفسهـــا بالرغم من أن العـــرب سبق أن عرّبوها باسم (تقويم البلدان) ثـــم اختصروها الى بلدانيـــات .

وهـــي من الاغريقية (gé : ارض + graph : كتابة) اي علـــم الكتابة عن الارض .

امـــا (كيه : gé) فقد اثلناها عند كلامنا عـــن (الجيولوجيا) ، وامـــا (كراف : graph) بمعنى الكتابة فيخيل لنـــا انها من العربيـــة ايضـــا .

ذلـــك بأن العرب قالت خرفش شيئا : خَلَّطه (بالتشديد) ، وهي من قولهم خربش الكتـــاب (أي المكتوب) : افسده . وهذا المعنـــى مستحدث في الكلمة، سبقه معنى التقريب في الكتابة بين الكلمات والسطور، الذي عدوه إفسادا بالقياس الى المباعدة بينهـــا تَطَلُّبًا للوضوح والرفاهة . وهذا المعنى المضاع من الكلمة نجـــده في قولهم: قَرْمَدَ كتابا : كتبه دقيقا وقارب بين سطوره ، ؛ وبنفس المعنى قالـــوا: قَرْمَط الكتاب . ومـــن هذه الفصيلة قولهم: حَرْفَصَ في المشي : قارب خطاه ، وفي الكلام : قاربه . واصل المعنى في كل هذا هـــو الافساد ، في لفظ (خربش) المشتق مـــن (خَرَّب) . وعند انتقال المعنى الى الكتابة صار يعنـــي التقريب بين الكلمات والسطور، باعتبار ذلك نوعـــا من الافساد . وليس ببعيد أن

فكـــون graph الاغريقية بمعنى الكتابة تحريفا تطوريا لكلمـــة (خرفش) أو (خرَّب)، بمعنى الكتابة المتقاربة أولا، ثـــم الكتابة مطلقا . وقد رأينا أن التحريف كان أكبـــر في كلتا الكلمتين لفظا ومعنى في داخـــل العربيـــة الأم .

فاصطلاح (الجغرافيا) هذا الذائع على الالسنة ، الراسخ فـــي المدونـــات العربية ، لم يعـــد في الامكان تعريبه، أي استبدال لفظـــة عربية بـــه ، حتى لو قرّرنا طرد أمثاله من المصطلحات الاجنبية التـــي يرجع نسبها البعيد الى العربيـــة .

فونوغـــــراف :

وقـــد وردت بصيغتي (phonograph) و(gramophon) ، وكلتاهما تتألف من مادتـــي phon (صوت) و (graph) (كتابة) اللتين تقدّم تأثيلهما ـــ بمعنى تسجيل الصوت . أمـــا هذا المصطلح فقد انقرض مذ شاع بدله (الحاكي) ، ولم نعـــد نقرأ لاحد تعبير (الفونوغراف) أو (الغرامافون)، كمـــا انقرض (التلغـــراف : telegraph) الذي حلّت محلّـــه (البرقية) . ولم يعـــد بالامكان احياؤه حتى لـــو اردنا ؛ أي انـــه أصبح (معرَّبا) بالمعنى الحديث للتعريب ، وشانـــه عكس شأن (الجغرافيا) مثلا ـــ المعرّبة بالمعنى القديـــم .

علـــى أن الانكليزية ايضا أهملت المصطلح بصيغتيه، وصارت تدعو الحاكي الحديث باسم (بيك اب : pick-up) الذي شاع في الدارجات العربية ولغـــات أخرى .

متـــــر :

مَتَرْت الحبل : مددتـــه . ومعلوم انهم كانوا يقيسون مساحـــات الاراضي بالحبـــل ، ومن هنا نشأ (المتـــر : meter) وفعـــل (measure) أي يقيس طولا أو ثقـــلا أو حجما أو أي شيء ـــ في الفرنسية والانكليزية عن طريق اللاتينيـــة .

و (المتـــر) أيضا أصبحت عربية ، بل عالمية ، ولم يعـــد بالامكان الاستبدال بها ، لـــو أردنا .

* * *

لا حاجة بـــي ــ بعد الذي تَقَدَّم ــ الى اعادة القول إنـــي من أنصار التعريب ، ضد اقتباس الالفاظ الاعجمية المحض . لكن تساؤلي هو كما قلت : ما هو موقفي من هـــذه الاسماء الاجنبية التي يكشف لنـــا التأثيل عن محتـــدٍ لها في العربية عريق ؟ هل نرفضهـــا ؟

أم نقبلهـــا ، لا أقول مباهاة بها بين الأمـــم ، لكن اعزازا لها ، وتكرمة لنسبها العربـــي ، وتدليلا علميًّا على أمومة العربية لكثير مـــن اللغـــــات ؟

فهـــذا الامر الذي لا أزال أرانـــي مترددا فيـــه .

عبد الحق فاضل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من مزالق الترجمة بين العربية والفارسية

للدكتور يوسف حسين بكّار

(جامعة اليرموك / الأردن)

— ١ —

الترجمة بين العربية والفارسية قديمة جدا ، اذ كانت البهلوية (الفارسية الوسطى) ، ثم الفارسية الاسلامية (الدريّة الحديثة) من أكبر منابع الترجمة ومصادرها الى العربية . وقد اثبت ابن النديم — فيما اثبت من فهارس — « فهرسا » ، بأسماء المترجمين من الفارسية الى العربية ، من مثل ، ابن المقفع ، والحسن بن سهل ، وآل نوبخت (١) . ونشط الدكتور محمد محمدي ، في الستينات ، أيام كان مستشارا ثقافيا لايران ببيروت ورئيسا لقسم اللغة الفارسية وآدابها بجامعتها اللبنانية ، في جمع « ما نُقِل من الآثار الادبية الفارسية الى اللغة العربية في القرون الاسلامية الاولى ، وخاصة في أوائل العصر العباسي ، مما امتزج بالادب العربي حتى أصبح جزءا منه » (٢) ، وأصدر الجزء الاول من « الترجمة والنقل عن الفارسية — في القرون الاسلامية الاولى » الذي أفرده لكتب « التاج » و « الآيين » (٣) بعد أن جمع

---

(١) الفهرست ، ص ٣٠٥ . تحقيق محمد رضا تجدد ، طهران ١٩٧١ .

(٢) محمد محمدي : الترجمة والنقل عن الفارسية ١ : ٢ ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٦٤ .

(٣) هكذا تتناقلها المصادر العربية ، وقد كانت تعرف باسم « آيين نامه » في الادب الفارسي الساساني . و « آيين » لفظة فارسية بهلوية معناها : القاعدة ، أو الطريقة ، أو القانون ؛ قال المسعودي في « التنبيه والاشراف » : « تفسير آيين نامه : كتاب الرسوم » . واستعملها العرب في كتاباتهم بشكلها الفارسي .

(محمد محمدي : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ وما بعدها) .

ما تناثر منها في المصـــادر العربية الاسلامية بشتى انواعهـــا .

واخـــذت حركة النقل والترجمة تقوى في الاعصر الاسلامية التالية ، ولم تعـــد محصورة في ترجمة الآثار الفارسية وحدها الى العربيـــــة ، انما امتدت جهود المترجمين الى ترجمـــة بعض الآثار العربية الـــى الفارسية ، مـــن مثل : « تفسير الطبري » و « تقويـــم الصحـــة » ، و« الشاهنامة » و « تاريخ بخـــارى » .

وامـــا في الاعصر الحديثة ، فاتسعت حركة الترجمة بين اللغتين اتساعا كبيرا ؛ اذ ترجـــم العرب عددا من أمهات كتب تراث فارس ، من مثل : « بوستان » سعدي الشيرازي و « كلستانة » ، و « ديـــوان حافـــظ الشيرازي » و « رباعياته » ، و « مثنـــوي » مولانا جلال الدين الرومي ، و « شاهنامة » الفردوسي ، و « جامع الحكمتين » و « سفرنامة » لناصر خسرو ، و « رباعيات الخيام » (لهـــا اكثر من عشرين ترجمة عربيـــة بالفصحى والعامية) ، و « قابوس نامـــة » (كتاب النصيحة) ، و « سياست نامـــة » (كتاب السياسة) ، و « عطار نامـــة » ، و « سندباد نامـــة » ، و « بختيار نامة » ، و « تاريخ البيهقـــي » ، و « جامـــع التواريـــخ » .

وترجمـــوا عددا لا يستهان بـــه من مؤلفات الايرانيين المعاصرين وآثارهم . وممن تُرجِم لهـــم مثلا : الدكتور زادة شفق ، علـــي دشتي ، صادق هوايت ، حسين قدس نخعي ، رشيد ياسمي ، ابـــو القاسم حالت ، ايرج ميرزا ، بروين اعتصامي ، والدكتور غلامحسين يوسفي (٤) .

---

(٤) لمعرفة مزيد من ترجمات العرب المختلفة عن الفارسية ، راجع :

١ ــ يوسف بكار : جهود عربية معاصرة في خدمة الادب الفارسي ، مجموعة سخنرانيهاي دومـــين كنكره تحقيقات ايراني ، جلـــد دوم ، مشهد ١٣٥٢ شمسي (١٩٧٣ م) ، ص ٤٢٧ ــ ٤٦٨ ، وترجمته الفارسية : ادبيات فارسي در كشورهاي عربي ، للدكتور جعفر شعار .

سخن ، دوره ٢٣ ، شمارهاي ٦ و ٧ و ٨ ، سال ١٣٥٣ شمسي .

أما الايرانيون فترجموا عددا من مصادر تراثنا العربي ، وعددا آخر من آثارنا المعاصرة ؛ وهو ـ على اية حال ـ اكثر مما ترجمنا لهم من اعمال معاصرة . ومن كتب تراثنا التي تُرجمت الى الفارسية في العصر الحاضر : تاريخ الطبري ، مروج الذهب ، تاريخ اليعقوبي ، الاخبار الطوال ، سني ملوك الارض والانبياء ، تقويم البلدان ، مقدمة ابن خلدون ، رحلة ابن بطوطة ، ورحلة ابن فضلان .

ومن المعاصرين العرب الذين تُرجِم لهم شيء او اشياء من آثارهم واعمالهم الى الفارسية (٥) : قاسم أمين ، عبد الوهاب عزام ، جرجي زيدان ، طه حسين ، أحمد أمين ، زكي محمد حسن ، بنت الشاطىء ، محمد أبو زهرة ، محمد عبد الغني حسن ، جورج جرداق ، سيد قطب ، محمد مندور ، نزار قباني ، عبد الوهاب البياتي ، محمد الفيتوري ، غسان كنفاني ، فدوى طوقان ، محمود درويش ، سميح القاسم ، وتوفيق زياد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

=

٢ ـ يوسف بكار : الفارسية وآدابها في البلاد العربية ، نشريه دانشكده الهيات ومعارف اسلامي دانشكاه مشهد ، شمارهٔ ١٢ ، پائيز ١٣٥٣ شمسي (١٩٧٤ م) ، وترجمته الفارسية : زبان وادبيات فارسى در كشورهاى عربى ، للانسة مليحة شريفي .

سخن ، دوره ٢٦ ، شمارهاى ٩ و ١٠ ، سال ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .

٣ ـ الدكتور طلعت أبو فرحة : اضواء على الدراسات الفارسية في مصر ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران (ص ١٩٩ ـ ٢٢٦) ، القاهرة ١٩٧٥ .

٤ ـ نصر الله مبشر الطرازي : الكتاب الايراني في مصر ، في الكتاب السابق اعلاه (ص ١٤٥ ـ ١٨٤) .

(٥) راجع ايضا : مرتضى آيت الله الشيرازي ، جولة حول الروابط المعنوية بين ايران ومصر والكتاب المصري في ايران ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران (ص ١٨٥ ـ ١٩٧) .

- ٢ -

ليس عبثـــا ان يُعنَى العلماء والباحثون ، من هوراس * الى زماننا هذا ، بالترجمة ، وان ينشطوا في التقنين لهـــا ، وتقعيد قواعدها ، وتبيين اهميتها ودواعيها ، ووضـــع الشروط لمـــن يتصدون لها على انها « فـــن » كغيرها من الفنون . غير انـــه بات معروفا ايضا ، ان الترجمة لم تعـــد تنحصر ، فقط ، في دائرة « الفـــن » الدقيق الذي لا يستطيعه الا اولـــو المقدرة والبراعة عن طريق الممارسة ، انما جاوزتها ، كسائر العلوم اللغويـــة ، الى دائرة « العلوم الوصفية » لوضـــوح الجانب « الوصفي » فيها .ومن هنـــا انبثقت الدعوة وجـــاء التخطيط الى « علـــم للترجمة » ، من غير انكار لمـــا فيها من عناصر فنيـــة ، على يـــد يوجين . أ. نيدا Eugene A. Nida في كتابه « نحـــو « علـــم للترجمة » * . وبهذا اضحت الترجمة ، كالنقد تماما ، تجمـــع بـــين « الفنيـــة » و « العلميـــة » .

ان حركـــة الترجمة الحديثة النشطة من العربيـــة الى الفارسية وبالعكس ليست بدعـــا بين مثيلاتها من اللغات الاخرى واليهـــا ؛ فهي تخضع لكل مقومات الترجمة وشروطهـــا ، كما ان زُمَـــر المترجمين المنتمين لها عرضة لما يتعرض لـــه غيرهم من المترجمين من صعوبـــات ومشاق ومزالق . وقد تكون مزالـــق الترجمة ومشكلاتها بين العربيـــة والفارسية اكثر من غيرها ، لمـــا بين اللغتين من تداخل وتشابك وتشابه وقرض ، وان لـــم تجمعهما اسرة لغويـــة واحدة،فيما هو معروف .

ولقـــد قُيّض لي ، من خلال اقامتي في مدينة مشهـــد الايرانيـــة (١٩٧٠ ــ ١٩٧٨) لتدريس العربية وآدابهـــا في جامعتها ، ان اتعلـــم الفارسية ، ثـــم ازاول تدريس الترجمة،واجرب حظي فيها عمليـــا من الفارسية الى العربيـــة،بترجمة « سياست نامـــة »،لنظام الملـــك

(*) Horace.

(*) Towards A Science of Translating.

وقد ترجمه ماجد النجار الى العربيـــة ، ونشرته وزارة الاعلام العراقية . بغداد ١٩٧٦ .

الطوسي ، وبعض الابحاث والمقالات الاخرى * ومن العربية الى الفارسية (مع صديقي الاستاذ الدكتور غلامحسين يوسفي) بترجمة « قِصّتي مع الشعر » ** لنزار قباني، و « مختارات من الشعر العربي الحديث" *** كما قيض لي ان اطلع على كثير من ترجمات الايرانيين عن العربية ، وترجمات العرب عن الفارسية . كل هذا ، يَسّر لي أن اكتشف ، من كثب ، بعض المشكلات والمزالق التي قد تعترض المترجمين من العرب والايرانيين ، والتي لم يسلم كثيرون منهم من تيارها .

- ٣ -

لعل من اهم ما يركّز عليه في الترجمة عامة ، المعرفة التامة او الجيدة ، على الاقل ، باللغة المنقول منها والمنقول اليها سواء بسواء . فقديما اوجب « جاحظنا » على الترجمان « أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي ان يكون اعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية » (٦) . ويزيد وديع فلسطين الامر وضوحا بقوله « ولا بد لفهم المتن المراد نقله من اجادة اللغة التي كتب بها ، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها وشواذّها وشواردها . ولا بد قبل النقل من اجادة اللغة التي يُنْقَل اليها النصّ » (٧) .

---

* — من مثل : « العالم المنشود في بستان سعدي الشيرازي » و « سمات الادب الفارسي المعاصر » للدكتور غلامحسين يوسفي ، و « الخيام الشاعر » لعلي دشتي .

** — منشورات طوس ، طهران ١٩٧٧ .

*** — الكتاب معد للطبع .

(٦) الحيوان ١ : ٣٨ ، المطبعة الحميدية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

(٧) فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٢٧ نقلا عن : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، يناير ١٩٦٢ .

وقد اكّد « اتين دوليه Etienne Dolet » (١٥٠٩ ــ ١٥٤٦) ، الذي يُعَدّ واضع اول نظرية للترجمة ، هذا الشرط اللازب في بحثٍ له عن مبادىء الترجمة ، وجعله واحدا من مبادىء خمسة اساسية للترجمة ، فقال:« لا بد ان يكون المترجِم على معرفة رفيعة تامة باللغة التي يترجم منها ، وان يمتلك بنفس الشكل معرفة رفيعة باللغة التي يترجم اليها » (٨) .

هذا الشرط من ابرز المزالق التي تواجه المترجمين من عرب وفرس معا ، فضلا عن عدم تمكّن اغلبهم من اللغة التي ينقل منها خاصة ؛ فان جمهرة من الالفاظ العربية التي دخلت الفارسية واستوطنتها واتخذت فيها معاني مغايرة لمعانيها الاولى ، او اشتهرت بمعانيها الرائجة المشهورة ، قد اضحت لبعض المترجمين الايرانيين حقائق مسلّمة ، صَرَفَتْهم حتى عن استشارة « معجمات » اللغة، مع انها من واجبات المترجم في احسن الاحوال . يقول يوجين نيدا : « يتمثل اول واوضح مستلزم يحتاجه اي مترجم بامتلاكه لمعرفة كافية بلغة المصدر ؛ فلا يكفي ان يكون المترجم قادرا على فهم (المغزى العام) للمعنى، او ان يكون ماهرا في استشارة القواميس (فمن المفروض انه سيفعل ذلك حتى في احسن الاحوال) ... ان ما هو اهم من ذلك معرفة المترجم بموارد لغة المصدر ، وسيطرته الكاملة على لغة المتلقي ... ، التضلّع الشامل بلغة المتلقي ليس له بديل . ان اغلب الاخطاء المتعددة والخطيرة التي يقع فيها المترجمون، تنشأ في المقام الاول من افتقارهم الى المعرفة الشاملة بلغة المتلقّي » (٩) .

وكذا الامر بالنسبة للمترجم العربي الذي يجابُه بسيل من الفاظ العربية التي اتخذت في الفارسية معاني غير معانيها في لغتها

---

(٨) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٤٥ ، ثم انظر ايضا : ٢٨٥ ــ ٤٦٥ .

(٩) نحو علم للترجمة ، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤ .

الأم . وليس مبالغة ان يقـال إن النصب والمعاناة المتأتيين عنها أكثر مما يتأتى من جانـب مفردات الفارسية نفسهـا .

ان مـا اشار اليه هؤلاء الثلاثة يُصْدُق على ما نجده عنـد بعض المترجمين الفرس والعـرب من أخطاء وأوهام . وهـذه بعض النماذج :

١ ــ كـان المرحوم محمد رضا تجدد آخـر من حقّق « الفهرست » لابن النديـم (طهران ١٩٧١) ، وهو الذي ترجمـه الى الفارسية ايضا ؛ وطُبعت الترجمة مرتين الى الآن ، وهي لا تخلـو من هنات مثلما لا يخلو الاصل العربـي من أخطاء كثيرة » (١٠) . فلقد اعتاد ابن النديم ان يصف الكتـاب الذي كان يراه بنفسه بأنه « **كبـير** » او « **لطيـف** » اي « صغير » وفقـا لحجمه . يقول في الكلام على ابـن سعـدان « ... ولـه من الكتب : كتاب الخيل ؛ رأيتـه . **لطيـف** » (ص ٨٧) ، ويقول في أخبار محمـد بن داود الجراح : « ولـه من الكتب ... كتاب (الشعر والشعراء) . **لطيـف** » (ص ١٤٢) ، ويقول في أخبار جعفـر ابـن حمدان الموصلي : « فأما كتبـه الادبية ، فهي : ... كتـاب محاسن أشعار المحدثين، **لطيـف** » (ص ١٦٦) ، ويقول في الحديث عن يحيى بن أبـي منصور الموصلي : « ولـه من الكتب : ... كتاب الطبيخ . **لطيـف** » (ص ١٦٦) .

لكـن ، ما الذي فعله المرحوم تجدّد حين ترجـم الكتاب الى الفارسية ؟ ! لقد ترجـم لفظة « **لطيـف** » في كل الموارد السابقة، بمعناها المعروف في الفارسية : « خوب » او « نازك » * ، والاكثر شيوعا فـي العربية : جميل ، أنيق ، جيـد . فكانت ترجمة المثال الاول : « ازكتابهاي

(١٠) راجع في نقد الكتاب : يوسف بكـار ، نظرات في فهرست ابن النديـم ، مجلة كلية الالهيات والمعارف الاسلامية ــ جامعة مشهد ، العدد الخامس ، شتاء ١٣٥١ شمسي (١٩٧٣ م) .

(*) توجد هذه اللفظة في عدد من اللهجات العربية المحليـة بالمعنى نفسه . ومـن الطريف ان المحقق فسرها بالعربية بقوله « ونزك كلمة فارسية بمعنى الناعـم » (ص ٢٨٤، الحاشية) .

اوست : كتاب الخيل كـــه **بسيار خوب است** » (١١) ، وترجمة الثانـــي « وايـــن كتابها ازاوست : ... كتاب (الشعـــر والشعـــراء) . **نازك اســـت** » (١٢) ، وترجمة الثالث « وكتابهاي ادبـــي او بدينقرار است : ... كتاب محاسن اشعـــار المحدثين . **نازكست** » (١٣) ، وترجمة الاخير « وايـــن كتابها ازاوست : ... ، كتاب الطبيخ . **نازك است** » (١٤) .

فلـــو استشار المحقق ــ المترجم المعجمات العربية واستنجد بهـــا ، على الاقل ــ لوجـــد ان لفظة « صغير » من معاني كلمة « لطيف » (١٥) ، وهو ما كان يعنيه ابـــن النديم مقابل لفظة « كبـــير » ، كقوله في الكلام على ابن عبد الحميد الكاتب : « ولـــه من الكتب : كتاب اخبـــار خلفاء بني العباس . **كبـــير** » (ص ١٢٠) ، وترجم اللفظة في مواطنهـــا السابقة وغيرها بلفظة « كوجـــاك » الفارسية ، ليس غير .

ولربمـــا ان لفظة « ملطّفة » التـــي تلقانا بكثرة في المصـــادر الفارسية التاريخية، من مثـــل « سياست نامـــة » و « تاريخ البيهقي » ، ومعناها الرسالة الصغيرة التي تكتـــب في الحالات الفوريـــة ، أُخِذَت من الاصل العربي « لَطُـــف » نفسه ، لان المعجمات العربية لا تذكرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ في ترجمـــة الاستاذ الدكتور جعفر شعار لبحثي « جهـــود عربية معاصرة في خدمـــة الادب الفارسي » ، ترجم لفظة « **نفـــر** » فـــي هذه العبارة: « قـــام **(نفـــر) من اساتذة معهد اللغات الشرقية بجامعـــة القاهرة بترجمة كتاب (تراث فارس)، الذي كتـــب فصوله اساتذة مـــن المستشرقين** » بشخص واحـــد ، وهو معناها في الفارسيـــة وفي بعض

---

(١١) الفهرست ، ص ١٣٣ (الترجمة الفارسية) ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٤٦ شمسي.

(١٢) المصدر السابق ٢١١ .

(١٣) المصدر السابق ٢٤٦ .

(١٤) المصدر نفســـه ٢٤٧ .

(١٥) أنظر مثلا : ابن منظور ، لسان العرب . مادة (لطـــف) ، والدكتور حسين نصار : المعجم العربي ١ : ٤١ دار مصر للطباعة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٨ .

لهجاتنا المحليـــة . تال « **يكي ازاستادان** (معهـــد اللغات الشرقية) در دانشگاه قاهره بـــه ترجمه كتاب (تراث فارس) برداخته است » ، بيـــد أن المعنى اللغوي الصحيح للّفظة هو:جماعـــة الرجال من ثلاثة الى عشرة (١٦) . فالترجمة الصحيحة اذن « **جندتن ازاستادان** ... » .

والحـــق أن مترجمي القـــرآن الكريم الى الفارسية ترجموا اللفظة عينها في قولـــه تعالى « قـــل أوحي الي انـــه استمع نفر من الجن ، فقالوا : انـــا سمعنا قرآنا عجبا » (١٧) ترجمة صحيحة . وهذه ترجمـــة الآية الكريمة « بگـــو : وحى آمده كـــه گروهي ازبريان استماع (قرائت مـــن) كردند وگفتند : مـــا قرآن شگفت آور شنيديم » (١٨) .

٣ ــ يستعمـــل العرب ، في العصر الحاضر ، الاصطلاحات : « أغراض الشعر » و « موضوعات الشعـــر » و « فنون الشعر » بمعنى واحد ، وهو ما لا يعرفه أكثر الايرانيين ، ان لم يكونوا كلهـــم . من هنا وَهـــمَ الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني في ترجمة لفظة « أغراض » بمعناها المعجمي « أهـــداف » في ترجمته مقدمة مختارات الدكتـــور محمـــد مصطفى بـــدوي « مختارات من الشعر العربـــي الحديث » .

جـــاء في مقدمة الدكتور بدوي « ومـــا زالت موضوعات هؤلاء الشعراء هي **الاغراض** التقليديـــة من مديح للحكام ، وتقريظ للاخوان ، وتأريـــخ للمناسبـــات ... » (١٩) .

---

(١٦) لسان العرب ، مادة (نفر) .

(١٧) سورة الجن ، آية (١) .

(١٨) القرآن الكريم ، ترجمة أبي القاسم پاينده ، الطبعة الثالثة ، طهران ١٣٥٤ شمسي ، وترجمة المكتبة الاسلامية ، طهران ١٣٣٦ شمسي (١٣٧٧ هـ) .

(١٩) مختارات مـــن الشعر العربـــي الحديث ــ المقدمة ، ص ج . دار النهـــار ، بيروت ١٩٦٩ .

وترجـــم الدكتور كدكني العبارة كالتالي « موضوعات شعرى اين گروه نيز ، همان **هدفهـــاي** كلاسيك بود ، از قبيل مديح حاكمان ، وتقريظ براى دوستان ، وتاريـــخ مناسبات » (٢٠) .

٤ ــ لســـت ادري لماذا ترجـــم صديقنا الدكتور ابرهيم الدسوقي شتا لفظة « **لحـــاف** » في قول صادق هدايت « **لحاف** را جلو چشم نگـــه ميدارم » (٢١) بلفظة « **غطـــاء** » : « ووضعت الغطاء على عيني » (٢٢) ، مـــع أن اللفظة من الالفاظ العربيـــة التي دخلت الفارسية ، وهـــي أخصّ من « الغطاء » ؟ فاللحاف غطاء ، ولكـــن ليس كل غطاء لحافـــا .

٥ ــ وردت في فصل « خيام شاعر » (الخيام الشاعر) مـــن كتاب « دمى باخيام » ، وهـــو الفصل الذي ترجَمْتُه الى العربيـــة ، الجملة التاليـــة « كشيدن رباعيات أصيل خيام از ايـــن (**بازار مكاره**) كارآسانى نيست » (٢٣) . وقـــد ترجمتها بهذا النحو « ان استلال رباعيات الخيـــام الاصيلة من (**سوق المكارة**) هذه ، ليس بالامر الهـــين » .

اقـــول ، لقد أغرتني لفظة « **مكـــارة** » العربية في هذا الاصطـــلاح الفارسي المركـــب « **بازار مكاره** » ، فترجمته كما اثبتُّه أعلاه ، وهـــي ترجمة مفهومة ولا غبـــار عليها لدى القارىء العربـــي . غير أن معناه الدقيق ، الذي اطلعت عليه فيما بعـــد في المجمعات الفارسية المعتبرة، يوحي ، فيما يبدو لـــي ، بترجمته بلفظة « معرض » ؟ لان معنـــى (بازار مكاره) : « السوق التي تقام عدة أيـــام مرة في السنة ، وتجلب اليها البضائع من أقطـــار مختلفة للعرض والبيـــع أيضـــا » (٢٤) .

---

(٢٠) دكر كونيهاي شعر معاصر عرب ، كتاب الفبا ، جلد سوم ، طهران ١٣٥٢ شمسي ، ص ١٨ ــ ٣٨ .

(٢١) زندهٔ بگور ، ص ١١ ، الطبعة السابعة ، طهـران ١٣٤٤ .

(٢٢) قصص من الادب الفارسي المعاصر ، ص ٩٦ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهـرة ١٩٧٥ .

(٢٣) دمى باخيام ، ص ٧ . أمير كبير ، طهران ١٣٤٤ .

(٢٤) أنظر مثلا : محمد معين ، فرهنگ فارسي ــ بازار ، ودهخدا : لغتنامه دهخدا ــ مادة (بازار) أيضـــا .

- ٤ -

ومما يندرج في موضوع اللغة ، ما يعرف بالتراكيب اللغوية التي يُعَدّ التغلب عليها في اي لغتين من اهم وظائف المترجم (٢٥) الذي يُشْتَرَط فيه « ان يكون ملمًّا الماما كاملا بمعاني تراكيب الجمل . ففي هذا المجال الخاص ، غالبا ما يُظْهِر المترجمون ضعفهم الكبير . ومع انهم يمكن ان يفهموا بشكل جيد تماما معاني الكلمات والعبارات منفردة ، فغالبا ما يفتقرون بشكل شنيع الى التقييم الاساسي للمعاني والابنية اللغوية » (٢٦) .

هذا الامر ، من اهم مشكلات الترجمة بين العربية والفارسية خاصة ، لكثرة ما بينهما من فروق في الخصائص الاصيلة؛من حيث التراكيب والمجازات ، والتذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية ؛ وكلها تدخل في دقائق اللغة وقواعدها التي يتحتم على المترجم ان يتيقّظ لها ؛ ولكن ما اكثر ما ينزلق فيها المترجمون !

ومن امثلة هذا المزلق ، ما وقع فيه الدكتور محمد شفيعي كدكني ايضا في ترجمة النص التالي من مقدمة الدكتور مصطفى بدوي : « **لم يكد ينصرم القرن التاسع عشر الا** وقد ظهر ضرب جديد من الشعر، يتميز بشيء من التعارض والتوتر بين الشكل والمضمون » (٢٧) ، اذ اختلط عليه معنى « **لم يكد ينصرم** » ، فكانت ترجمته « **هنوز قرن نوزدهم به بايان نرسيده بود** كه نوع تازه اى از شعر به ظهور بيوست .. » (٢٨) . والصحيح « **مدتي از قرن توزدهم نگذشت بود كه نوعي** جديد در شعر عربي پديد آمد ... » .

---

(٢٥) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٣١٢ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢٧) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص و .

(٢٨) دگر گونيهاي شعر معاصر عرب ، كتاب الفبا ، ص ٢٧ .

ومن أخطر المزالق التي قد يساق اليها المترجم غفلته عن « لغة عصر » ما يترجم . وبديهي ان ما يُتَوَخّى من لغة واسلوب واصطلاحات في ترجمة مثل : « تاريخ البيهقي » و « الشاهنامة » و « سفرنامة ناصر خسرو » و « سياست نامه » و « رحلة ابن بطوطة » غير ما يُتَوَخّى في ترجمة « قصتي مع الشعر » و « الايام » و « قلمرو ادب سعدى » (آفاق ادب سعدى) و « دمى باخيام » (وقفة مع الخيام) لعلي دشتي .

مراعاة روح العصر في لغته واساليبه واصطلاحاته ومفرداته واجبة اذن ؛ لذا ابقيتُ الالفاظ والمصطلحات العربية التي أفاد منها صاحب « سياست نامه » كما هي لتناسب الفترة التي أُلِّف فيها الكتاب ، ولم أحاول أن استعيض عنها بألفاظ واصطلاحات عصرية ، وإن هُجِر كثير من تلك الالفاظ وترك منذ زمن بعيد . ومن الامثلة عليها : المحتسب ، المستوفي ، الشحنة ، العسس ، وخريطة * . وقد راعى مترجما « تاريخ البيهقي » هذا الصنيع ، فقال أحدهما « وقد تعمدنا أن نترك الالفاظ العربية التي وردت في الكتاب كما هي : لكي تعبّر عن مدلولاتها في العصر الذي كُتبت فيه » (٢٩) . بيد أنهما جانبا هذا الشرط في ترجمة اصطلاح « گشادنامه » (نامه سرگشاده) بالاصطلاح المعاصر « كتاب مفتوح » (٣٠) . وقد ترجمتُه بـ « رسالة مفتوحة » في « سياست نامه » .

واذكر أننا حين ترجمنا (الدكتور يوسفي وأنا) المقطع التالي من قصيدة (عيد ميلادها) لنزار قباني (٣١) :

(*) الخريطة : كيس من قماش . وما زالت تستعمل في انحاء من الاردن وفلسطين .

(٢٩) يحيى الخشاب : مقدمة ترجمة تاريخ البيهقي ، ص ٣٩ . الانجلو المصرية (دون تاريخ) .

(٣٠) يحيى الخشاب وصادق نشأت : تاريخ البيهقي (الترجمة العربية) ، ص ١٢٨ .

(٣١) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص ١٤٦ .

باي شيء أفِـدُ

اذا يَهِلُّ الأَحَـدُ

بخاتـــــمٍ ؟

بباقـــــةٍ ؟

على النحـــو التالي اولاً :

با چه هديه اى بروم ؟

وقتي روز يكشنبه فرارسد

با انگشترى ؟

بادسته گُلـــي ؟

رأى الدكتور يوسفي انـــه من الافضل أن نترجم « بخاتم » الى « **با انگشتر** » بدلا من « **با انگشترى** » لان الاول هو المستعمل في الوقت الحاضر . وهكذا كـــان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ٦ —

لـــم يكن اعتباطا ان تقسم الترجمة ، مـــن حيث الطريقة والكيفية ، الى أنواع من أهمهـــا الترجمة (اللفظية) ، والترجمة بالمعنى (المعنوية) . ان الترجمة الحرفية لا تتيسر في كـــل الاحيان ، خاصة في ترجمـــــة المصطلحات والامثال والمجازات ؛ وهنـــا تكمن الحيرة ويكون المزلـــق : الحيرة في ترجمة هذه الاشياء كما هي من اللغـــة الاجنبية ، مهما يكـــن وقعها في الذوق العربـــي ، أو وضع ما يقابلها في العربيـــة مما يؤدي معناها الاصلي دون تقيّـــد بحرفية ما يترجم (٣٢) . ومن الشق الاول ـــ اي الترجمة الحرفية ـــ تنبعث المزالـــق التي يدعو اكثرها الى الضحك ،

---

(٣٢) انظر أيضا : محمد عبد الغني حسن ، فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٢٠٦ و ٥٩ . الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهـــرة ١٩٦٦ .

وتقود في أحيان كثيرة الى البتر والتشويه والحذف الـذي لا مندوحة من تفسيره الا بعجز المترجم وجهلـه .

اقـول هذا ، لان للفارسية مجازات واصطلاحات غريبة علينـا كل الغرابة ، وربما لا نجـد مثلها في اللغات الاخرى . ولقـد سُئلتُ مـرة ان اترجم المثل الفارسي « **كُل پشت ورو ندارد** » ، فاحترت فـي امري ؛ اترجمه ترجمة حرفية لا مـاء فيها ولا رونق ، فأقول « **ليس للورد ظهر ولا بطـن** » !! ، ام ابحث عن معادلة لـه في عربيتنا ؟ وكان مـن الطبيعي ان ابحث عـن المعادل ، غير انني لم أجده في تراثنا الضخـم من الامثال الفصيحة . ومن يدري ، فربما انني انـا الذي لم أستطع الاهتداء اليه . حينئذ انعطفت الى امثالنـا الشعبية ، فاهتديت الـى المعـادل الدقيق ، وهو المثل « **كُلّك وَجْه** » الذي يستعمل في الحـالات عينها التي يستعمل فيها المثـل الفارسي . وينطبق هذا الكلام ايضـا على المثـل الفارسي « **كبوتر باكبوتر بازبا باز** » اذا ما ترجمناه ترجمـة حرفية سقيمة « **الحمامة مع الحمامة ، والبازي مـع البازي** »وتركنـا المثـل الرائع « **ان الطيور على اشكالها تقـع** »الذي لا يعدو المثـل الفارسي قيـد انملة . هذا ما فعلناه (الدكتور يوسفي وأنـا) بالمثل العربي نفسه الذي ضَمَّنه عبد الوهاب البياتي المقطـع الآتي من قصيدته « سـوق القريـة » (٣٣) :

وبنادق سود ، ومحراث ، ونـار

تخبـو ، وحدّاد يراود جفنه الدامي النعاس :

« **ابـدا على اشكالها تقع الطيور**

والبحر لا يقوى على غسل الخطايـا والدموع

اذ ترجمناه بمعادِله الفارسي السابق « **كبوتر باكبوتر ، باز با باز** » .

ومـن المترجمين العرب الذين انساقوا في حماة التيار الحرفي في

---

(٣٣) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص ١٩٦ .

ترجمة الامثال ، المرحوم الدكتور ابرهيم الشواربي ، الذي اثبت في أحد كتبه (٣٤) طائفة من الامثال الفارسية ، وترجم اكثرها ترجمة حرفية، مع ان لها في العربية نظائر واشباها تكاد تكون ترجمة لها . فقد ترجم المثل « **صبر مفتاح كارها است** » بـ « **الصبر مفتاح الامور** » وعزف عن المثل العربي « **الصبر مفتاح الفرج** » ؛ كما ترجم المثل « **صدا از يكدست بر نيايد** » بقوله : « **اليد لا تصفق وحدها** » وترك مقابله الدقيق، « **يد واحدة لا تصفق** » .

أما مترجم « رحلة ابن بطوطة » الفارسي ، فقد راعى نوع الترجمة الذي ندعو اليه ، حتى في الامثال العربية غير المتداولة كثيرا ، وسلك سبيل الترجمة المعنوية والبحث عن المعادل في ترجمة المثل « **صدقهم سنّ بكره** » (٣٥) في نص ابن بطوطة : « ثم ان النَّوبة وصلت يوما الى الشيخ شهاب الدين ، فعقد التوبة ليلة النوبة ، وعزم اصلاح حاله مع ربه ، وقال في نفسه : ان قلت لاصحابي اني قد تُبْتُ قبل اجتماعهم عندي، ظنوا ذلك عجزا عن مؤونتهم . فأحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكول ومشروب، وجعل الخمر في الزقاق . وحضر اصحابه ، فلما أرادوا الشرب فتحوا زقا ، فذاقه احدهم فوجده حلوا . ثم فتحوا ثانيا فوجدوه كذلك ، ثم ثالثا فوجدوه كذلك . فكلموا الشيخ في ذلك ، فخرج لهم عن حقيقة أمره ، **وصدقهم سن بكره ...** » « رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٨٧ » .

فترجمه ، وما أحسن ما ترجمه ، بقوله « شهاب الدين **راز خود بر آنان فاش ساخت ...** » (٣٦) . أي خرج لهم شهاب الدين عن سرّه .

---

(٣٤) القواعد الاساسية لدراسة الفارسية ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٦ ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٤ .

(٣٥) راجع قصة هذا المثل مفصلة في : لسان العرب ، مادة (صدق) .

(٣٦) سفرنامه ابن بطوطة ، ص ٣٩٥ . ترجمة محمد علي موحد ، طهران ١٣٣٧ شمسي (١٩٥٨) .

- ٧ -

ومن المشكلات التي تعترض المترجم عن الفارسية ، مسألة رد المترجمات الفارسية عن العربية الى أصولها الاولى . ففي المصادر الفارسية المختلفة مترجمات كثيرة من القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، واقوال الصحابة والخلفاء المشهورة ، والشعر والكلم المعروف . واحسب ان الدقة والامانة معا توجبان على من يترجم اثرا فارسيا فيه اشياء مما ذكر ، أن يسعى الى البحث عن نصوصها العربية الاولى، وإن يكن في استطاعته ترجمتها بلغته الخاصة ، وهو ما قد يضطر اليه اذا ما اعيته الحيلة ، واضناه التقصي والاستقراء والتنقيب دون جدوى .

واعترف صادقا انني بذلت جهدا كبيرا في استنطاق كتب الحديث من صحاح وغيرها ، والبحث في معجماتها ، وخاصة « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث الشريف » للاهتداء الى نص ترجمة الحديث : **« داد كنندگان را اندر بهشت سراها باشد از روشنايي ، با اهل خويش ، با آن كسها كه زير دست ايشان باشند »** (٣٧) الذي استشهد به نظام الملك مَرْوِيًّا عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ؛ فذهبت جهودي ادراج الرياح . وانصعت بآخرة الى ترجمته بلغتي الخاصة : **« للمقسطين و ذوي قرباهم ومن هم تحت ايديهم قصور من نور في الجنة »** . وليست هذه المشكلة خاصة بالترجمة من الفارسية الى العربية فقط ، انما تلقانا في كل لغة اجنبية استشهد بها صاحب الاثر بنصوص عربية وترجمها الى لغته دون أن يثبتها . ولقد عانى منها نفر من المترجمين العرب ، فتغلب عليها بعضهم ، واخفق آخرون احيانا . يقول الدكتور ابراهيم امين الشواربي، مترجم كتاب (A Literary History of Persia) للمستشرق الانجليزي ادوارد براون (A. G. Browne)

« اعتمد براون في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية ، واستشهد ، بالطبيعة ، بالتأليفات العربية والفارسية والتركية ، ولكنه

---

(٣٧) سياست نامه ، ص ٨٧ . تحقيق الدكتور جعفر شعار ، طهران ١٣٤٨ شمسي .

لـم يستطع ، في الغالب الاعم ، ان يورد لنـا شواهده في نصوصهـا الاصلية في هذه اللغـات ، واكتفى بايراد ترجمتها الـى الانجليزية . ولم يكن من المستساغ عقـلا او المقبول فنـا ان اعود فاترجم هـذه المترجمات الى العربيـة ، لان الترجمة عن ترجمة ــ لا شـك ــ تُضلّل المترجـم ، وتبعده عن الاصل . ومن اجـل ذلك الزمت نفسي باثبـات الشواهد العربية بنصّهـا الذي وردت بـه في الكتب العربية ، اللهـم الا اذا كان الكتاب مخطوطا ، وليست لـه نسخة في دُوْر كتبنـا » (٣٨) .

وكـان المرحوم عادل زعيتر شيخ المترجمين العـرب يواجُـه بمثل هذا . يقول في مقدمة ترجمتـه لكتاب « ابن رشد » لارنست رينان الفرنسي : « وهنا ننبّـه القاريء الى أن العلامة رينان اقتطف كثـيرا من العبارات العربيـة الموجودة ، فاعدنا معظمه الى اصله العربـي . وأمـا الذي لم نتوصل الى نصـه العربي بسبب فقدان الاصل غالبا ، فقـد ترجمناه من الفرنسية ... » (٣٩) .

وابتُلـي محمد عبد الغني حسن بكثير من هـذا في ترجمة كتاب « المـراة والدولة في عصـر الاسلام » للباحثة العربية المتامركة « نابية أبوت » (نابية عبود) الذي نشره عـام ١٩٤٣ (٤٠) . وهو يرى ان هـذا الامر ناحية واحدة من نواحـي صعوبات الترجمة من غير العربية الى العربيـة ، ولكنها ليست صعوبة في الترجمة ذاتها ، بـل هي صعوبة فيما حول النص المترجـم ومحاولة ارجاعه الى أصلـه (٤١) .

ومن مزالـق ما حول النص التي تعترض المترجـم عن الفارسية أيضا ، كثرة التحريفـات والتصحيفات والاخطاء في الاصول العربيـة

---

(٣٨) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الـى السعدي ــ المقدمة ، ص ص . مطبعة السعادة ، القاهـرة ١٩٥٤ .

(٣٩) ابن رشد والرشديـة ، ص ٧ . القاهـرة ١٩٥٧ .

(٤٠) فن الترجمـة في الادب العربـي ، ص ٨ .

(٤١) المرجع السابـق ، ص ٩ .

في المؤلفات الفارسية ، في الآيات والاحاديث ، والاشعار والاقوال المأثورة ، والاعلام والاماكن والكتب ، لاسباب قد يعود اكثرها الى تلاعب النُسّاخ وجهلهم — او جهل اكثرهم — ، والى توانـي المحققين وتقصيرهم، وعدم معرفتهم الجيدة بالعربية وتراثها .

وكتاب « سياست نامه » اكبر شاهد ودليل على ما اقول ، لان فيه تحريفات وتصحيفات وأوهاما كثيرة ، غام معظمها عن اعين المحققين والمصححين ، والمترجمين غير العرب ايضا ، مع انه طُبع اكثر من خمس طبعات مختلفة في ايران وخارجها ، كان آخرها طبعة الدكتور جعفر شعار التي تَرجَمْتُها الى لغة الضاد ؟ فقد حُرِّفَت فيه لفظة « **الحق** » في قوله تعالى :« يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكم بين الناس بالحق » (٤٢) الى « **العدل** » (٤٣) ، وصُحِّفَت « **وتصدق** » في الآية الكريمة « وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين » (٤٤) الى « **فتصدق** » (٤٥) ، واضحى اسم زعيم الديالمة « **اسفار بن شيرويه ورداوندى** » ، فيما اثبته المسعودي (٤٦) وابن الاثير مثلا (٤٧) ، اضحى « **سيّار شيروى ورداوندى** » (٤٨) ، وحُرِّف اسم كتاب الاسماعيلية « **البلاغات السبعة** » الذي نص عليه ابن النديم (٤٩) الى « **بلاغة**

---

(٤٢) سورة ص ، آية ٢٥ .

(٤٣) سياست نامه ، ص ٣٧٦ .

(٤٤) سورة يوسف ، آية ٨٨ .

(٤٥) سياست نامه ، ص ٩٠ .

(٤٦) مروج الذهب ٤ : ٣٧٤ وما بعدها . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٨ .

(٤٧) الكامل في التاريخ ٨ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٩ — ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٧ .طبعة صادر ، بيروت ٦ ١٩٦ .

(٤٨) سياست نامه ، ص ٣٢٨ .

(٤٩) الفهرست ، ص ٢٤٠ .

السابـــع » (٥٠) . وغير هذا كثير في اشيـــاء شتى لا حاجة لذكرها (٥١) .

انيجـــوز للمترجم ، والحال هذه ، أن يسكت ـــ اذا ما عرف ـــ عن مثل هذه التصحيفات والتحريفات والاوهام انى وجدت ، فيزيـــد الطين بلـــة ويشارك المحققين فيما انزلقوا اليه ولـــم يكتشفوه ؟ ! وهل كان عبثا أن يحتدم الجدال بين المهتمين بالترجمة حـــول « تخصص » المترجـــم فيما يترجم ، أو « معرفته » بـــه ؟ أحسب أنْ لا ، لان قـــدرة المترجم وسعة اطلاعه ومعرفته تبـــرز واضحة هنـــا ؛ وهو ما يدل على أن الترجمة ليست نقـــلا وحسب ، فيما يتصور الكثيرون ، بل هي ، فيما يذهب صاحب « المتنطـــف » الدكتور يعقوب صروف ،« صعبـــة وأصعب من التاليـــف » .

* * *

وبعـــد ،

افـــلا تستحق مقولـــة الايطاليين « الترجمة خيانة » أو « المترجـــم خائـــن » (٥٢) مزيدا من التفكير والتقديـــر ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أوليس يوجين نيـــدا محقا في قولـــه (٥٣) :« فان مهمة المترجـــم مهمـــة صعبة في الاساس ، ومهمـــة لا يشكر عليها في أغلب الاحيـــان . فاذا ما ارتكب غلطة انتُقِـــد بشدة ، ولكنه لا يُمتَدَح سوى امتداح تافـــه عندما ينجح في عمليـــة ... » ؟ ! .

د. يوسف بكّار

---

(٥٠) سياست نامه ، ص ٣٥٢ .

(٥١) راجع التفاصيل في : يوسف بكار ، نظرات في سياست نامه ، نشريه دانشكد الهيات ومعارف اسلامي مشهد ، العـــدد (٢٤) ، خريف ١٣٥٨ شمسي (١٩٧٨) .

(٥٢) Tarduttore Traditore نقـــلا عـــن :

الدكتور محمد عوض محمد : فن الترجمة ، ص ٢٩ . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٩ .

(٥٣) نحو علم للترجمـــة ، ص ٣٠٢ .

دراسات في النظم والعقائد الأباضية

للدكتور عوض خليفات
(الجامعة الاردنية)

١ — تمهيـــد *

الولايـــة كلمة مشتقة من الفعل "وَلِـيَ"، ولها معان مختلفة (١) ، منها المحبـــة ، والمناصرة ، والمؤازرة ، والقرب . والبـــراءة تعنـــي ضد هذه المعانـــي ، أي الجفوة والبغض ، والعداوة ؛ وهذه المعانـــي هي التي تعنينـــا في هذه الدراسة الاولية لنظام الولايـــة والبراءة عند أتباع المذهب الاباضي . وقد استعمل العـــرب الكلمتين لتدلاّ علـــى المعاني الآنفة الذكر منـــذ الفترة الجاهلية ، واكتسبتا مع مرور الزمـــن دلالات اجتماعية وسياسية ودينيـــة . وسنحاول في هذه اللمحة ان نوضح هذيـــن المصطلحين حتى أصبحـــا — بمدلولهما الفقهي — من أهـــم الدعامات التي ارتكز عليها المذهـــب الاباضي في مسيرته منـــذ القرن الاول الهجري حتى يومنا هـــذا .

كانـــت القبيلة هي الوحدة الاساسية في المجتمـــع العربي البدوي ، وأفرادهـــا متكافلون ، متآزرون ، يتولى بعضهم بعضـــا ، وعلى كل فرد منهم نصرة أخيـــه ظالما كان أو مظلوما ؛ فاذا وقـــع لاحدهم سوء سارع الجميع لمد يـــد العون والمساعدة له بحكم هذه الولاية العصبية . ويصف أحـــد الشعراء هذا الحال فيقـــول :

(*) أشكر الاستاذ محمد المغربي الذي أعارني بعض المخطوطات، والذي اشار علي بكتابة التمهيد لهـــذا لبحث . كما أتوجه بالشكر الجزيـــل للاستاذ الدكتور عهد العزيز الدوري لما أسداه لي مـــن آراء وملاحظات قيمة .

لا يسألون اخاهم حين يَنْدُبُهم في النائبات على ما قال برهانا (٢)

ويقول شاعر آخر :

اذا استُنْجِدوا لم يسألوا من دعاهُمُ لأيـة حـرب أم بأي مكـانِ (٣)

كانت هذه المساعدة القبلية مشروطة بوجوب التمسك بعادات القبيلة وتقاليدها واعرافها ومعتقداتها ، أما اذا ظهر من الفرد خلاف ذلك ، فان قبيلته تنبذه ، وتتبرأ منه، فيصبح طريدا او مخلوعا ، وقد يصبح صعلوكا . ويحدث التبرؤ من الشخص وخلعه لاسباب متنوعة ؛ كأن يخرج على إجماع القبيلة ، او يَقْتُل احد افرادها، ولا يقبل ذوي المقدور الدية ؛ او ان يقتل شخصا ينتمي الى قبيلة اخرى بينها وبين قبيلته حِلف او عهد او جوار ؛ او يصبح سيّء الخُلُق، مذموم السمعة والسيرة ، او يضحي مبذّرا مدمنا على شرب الخمر ، وغير ذلك مما يقدح بسمعة القبيلة ومكانتها . ويبدو أن معاملة القبائل العربية لافرادها المنبوذين كانت الاساس الذي تَطوَّر عنه هذا المبدأ الذي عرف بـ « البراءة » (٤) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما بُعِث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استُخْدِمت قبيلته ، قريش، هذا المبدأ ضدّه ، اذ وجدت في دعوته خروجا عن اعرافها وتقاليدها ومعتقداتها، فدعت الى نبذه والبراءة منه . وتعرّض الرسول، عليه السلام ـ تبعا لذلك ـ لكثير من الاذى والاضطهاد ، ولم تلبث قريش أن قاطعت الرسول وبني هاشم الذين حموه طبقا لمبدأ الولاية بالعصبية . وعقد القرشيون عهدا فيما بينهم علّقوا نصوصه في جوف الكعبة، لتأكيد قداسته ووجوب التقيّد به . وقد تعاهد القرشيون على مقاطعة الرسول وبني هاشم، وعدم التعامل معهم ، فلا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم ولا يبايعونهم ولا يناكحونهم ولا يكلّمونهم ؛ وبقوا على هذه الحالة قرابة ثلاث سنوات (٥) .

وعندما هاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة ، جعل مبدأ الولاية والبراءة في خدمة الدعوة الاسلامية ، فكوّن الجماعة الاسلامية

التي عرفت باسم الأمـــة وجعل افرادها اوليـــاء بعضهم من دون الناس ؛ وبذلك احلّ رابطة الديـــن والعقيدة محل رابطة الـــدم والنسب . واصبح المسلم اخـــا المسلم ووليّه . واوجب الاسلام على كل فـــرد ان يُحبّ اخاه في اللـــه ويناصره ويساعده ، كما أوجب على كل فـــرد من الأمـــة البراءة من أعداء اللـــه ورسوله . وبهذه الوسيلة اصبـــح جميع افراد الأمـــة وحدة متجانسة متكافلة متضامنة ، وبذلك استطاعـــوا ان يصمدوا امـــام التحديات ، وهي كثيرة ، وينشروا دعوتهم، ويحرزوا النصر المبين . امـــا اذا احدث احـــد افراد الأمـــة الاسلامية حدثا يضرّ بالاسلام واصحابه ، او قصّر في آداء واجباته الدينيـــة الاساسية، فان الرسول، عليـــه السلام، لم يتردد في الدعوة الى البراءة منـــه وبغضـــه ومقاطعتـــه (٦) .

مثـــال ذلك ما حدث للثلاثة الذين تخلفوا عن الجهـــاد في غزوة تبوك ، وهـــم، كعب بن مالك، وهلال بن امية ، ومرارة بن الربيع ؛ فقـــد امر الرسول المسلمين بـــأن يقاطعوهم ولا يتكلموا معهم حتـــى ضاقت عليهم الارض بما رحبت ؛ ثم انزل اللـــه كلمته فيهم بالتوبة عنهم، فعـــاد المسلمون الى ولايتهـــم وموادعتهم (٧) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقـــد اتخذت الفرق الاسلامية فيما بعد ــ على اختلافها وتنوّعها ــ من هذا المبـــدأ وسيلة للتبرؤ من اعدائها . وكانت كلّ فرقة تزعـــم بأنها وحدها التي تمثل الاســـلام الصحيح كما جاء بـــه محمـــد، صلوات اللـــه وسلامه عليه ، وبالتالي فان لهـــا الحق في أن تتبرأ من مخالفيها باعتبارهم ضالّين حادوا عن الطريق القويـــم . وعلى هذا الاساس قـــام الثوار ضدّ عثمان بن عفان، رضي اللـــه عنه، بالتبرؤ منه ثم قتله، لانه ــ حسب زعمهم ــ حاد عن الصواب، وخالف سنّـــة الرسول الكريم وسنّة الخليفتين الراشدين من بعده . وتبـــرأ المحكمة من علـــي بن ابي طالب ــ كرّم اللـــه وجهه ــ بعد قبوله التحكيم لانه ــ طبقـــا لوجهة نظرهم ــ حكّـــم الرجال في امـــر من امور اللـــه، وبذلك خلع نفسه من منصب الخلافة الذي بايعه المسلمون عليـــه .

والحقيقة ان الامثلة في هذا الشان كثيرة ولا حصر لها،وما اوردناه من امثلة يكفي للتدليل على وجود هذا المبدأ عند العرب منذ فترة سحيقة ؛ ولم يكن الاباضية مبتدعين في هذا المضمار ، ولكنهم اعطوا لهذا المفهوم اهمية خاصة،وبعدا سياسيا ودينيا دقيقا لا نجد له شبيها عند اتباع الفرق الاسلامية الاخرى .

لقد التفت ائمة الاباضية ومشايخها منذ البداية لأهمية هذا المبدأ،وضرورة استخدامه في سبيل تطوير حركتهم ونشر دعوتهم ؛ ولا نبالغ اذ قلنا : ان هذا المبدأ كان من اهم العوامل التي ادّت الى الحفاظ على وحدة الجماعة الاباضية وتماسكها عبر العصور .

بدأت الحركة الاباضية سرية ، واتخذت من البصرة مقرًّا لها ؛ وكان ذلك خلال النصف الثاني من القرن الاول الهجري والنصف الاول من القرن الثاني الهجري، حيث كان الامويون يتربعون على عرش الخلافة الاسلامية ، وكان ولاتهم في العراق ــ مثل زياد بن ابيه،وابنه عبيد الله،والحجاج بن يوسف الثقفي ــ يشتدّون في ملاحقة اتباع الفرق الاسلامية المناوئة للحكم الاموي ، ومنها الخوارج ؛ فرأى الاباضية أن يسيروا بدعوتهم بحذر شديد متجنبين المعارضة المسلحة ضد الحكم القائم . وفي الوقت نفسه اوجدوا الوسائل الكفيلة لنشر دعوتهم في الامصار الاسلامية،فاستعملوا التقية الدينية،واوجدوا تنظيما سريا دقيقا ــ كانت الولاية والبراءة احد عناصره ــ ساعد في نجاح الحركة وتحقيق اهدافها (٨) .

لقد نظر الاباضيون الى الحكم الاموي على انه غير شرعي، واعتبروا الخلفاء الامويين جبابرة مستبدّين ، ولذا لا بد من ايجاد حكم اسلامي صحيح على غرار ما كان موجودا زمن الرسول الكريم والخليفتين ، ابي بكر وعمر . وحتى يتمكن الاباضية من الوصول الى هذا الهدف ، رأوا انه لا بد من اعادة تحديد مفهوم الأمة الاسلامية على اسس جديدة تتفق والمعتقدات الاباضية ، وعلى كل

من يريد الانضمام لهذه الجماعة ـ الامة ان يعلن الولاية لكل اتباع الحركة الاباضية جملة وافرادا ، وان يتبرأ من اعدائهم ومخالفيهم ، مشركين كانوا أم موحدين . وتورد المصادر الاباضية امثلة كثيرة في هذا الشأن ، منها ما يذكره ابو سفيان حول اعتناق ابي النظر ، بسطام بن عمر بن المسيب بن زهير الضبي للمذهب الاباضي . فقد كان ابو النظر صفريا من أصحاب شبيب ، وفرّ من الحجاج،ونزل البصرة ، فدعاه الاباضية لمذهبهم وقالوا له : « ندعوك الى ولاية من قد علمته يقول الحق ويعمل به (اي الشخص الاباضي) والى براءة من قد علمته يقول بخلاف الحق ويعمل به ، والوقوف فيمن لا تعلم حتى تعلم » . ففعل ابو النظر ذلك، وأصبح من مشايخ الاباضية المرموقين (٩) . وقد اصبحت هذه الدعوة قاعدة هامة نادى بها ومارسها الاباضية في كل زمان ومكان ، بحيث لا يُقْبَل في الجماعة الاباضية احد الا بعد ان يعلن انه وليٌّ وليّهم وعدوّ عدوّهم (١٠) . واصبح مبدأ الولاية والبراءة فرضا دينيا واجبا ، على كل اباضي ان يتقيد باحكامه وشروطه طبقا للقواعد التي وضعها وطبّقها مشايخ الاباضية الاوائل . وقد قام علماء الاباضية ومفكروهم بتدوين هذه القواعد والاحكام ، والّفوا الكتب التي تبحث في هذا الموضوع ، بحيث اصبح للاباضية نظرية خاصة في هذا الشأن لا نجد لها مثيلا عند اتباع الفرق الاسلامية الاخرى * . وسنستعرض في الصفحات التالية قواعد الولاية والبراءة ـ كما أوردتها المصادر الاباضية ـ مستعينين بأمثلة عملية واضحة حيثما تقتضي الضرورة .

(*) من هذه الكتب : الجيطالي ، **قواعد الاسلام** ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، السالمي ، **مشارق انوار العقول** . بالاضافة الى كتب أخرى تحوي فصولا خاصة عن الولاية والبراءة يلحظها القارىء في هوامش هذا البحث .

٢ ــ الولايـــة

الولايـــة عند الاباضية تعني المحبة والمودة والمؤاخاة والمصافاة والمناصرة والثناء ووجوب الترحـــم والاستغفار للمسلمين (أي الاباضية) . وتَجْمَع هذه المعاني كلّهـــا عبارة الحب في اللـــه وفي العقيدة الاباضية (١١). والولاية واجبة على كـــل اباضي لاخيـــه في المذهب اذا كان مطبقا لاوامر اللـــه ، قائما بواجباته الدينية على اكمل وجـــه ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكـــر ، ممتنعا عن كل ما حـــرّم اللـــه (١٢) .

وللولايـــة قواعد واحكام يمكن اجمالها بمـــا يلـــي :

١ ــ ولايـــة الجملة : وهي فريضة على كل مكلّف عندمـــا يصل الى سن البلوغ (الخامسة عشرة للذكور والثانية عشرة للاناث) . وعلـــى المكلّـــف أن يوالي جميع المسلمين الاباضية من غير قصد الى احـــد باسمه . والعمل بهذا المبـــدأ توحيد ، والترك لـــه ، أو الجحود ، أو الجهل بانـــه فرض، يُدخِل صاحبه في دائـــرة الشرك (١٣) .

٢ ــ ولايـــة المعصومين ، وتشمل ولاية الانبيـــاء والرسل والملائكة وغيرهم من اوليـــاء اللـــه المذكورين في القـــرآن الكريم، سواء بالاسم او بالوصف . وهي على نوعـــين : ولاية الجملة ، وولاية الافراد . أمـــا ولاية الجملة فتشمل جميع الانبيـــاء والرسل ، وكذلك الجماعات التي ورد ذكرها أو وصفُها في القـــرآن الكريم ؛ مثل اهـــل الكهف ، واصحاب الاخدود واشباههم . وولاية الافـــراد على نوعين : مسمى ، مثـــل آدم وابرُهيم ومريم بنت عمران وغيرهم ، وغـــير مسمّى مثل مؤمن آل فرعون ، وولاية هـــؤلاء جميعا توحيد ، والبراءة منهم شرك (١٤) .

٣ ــ ولايـــة الاشخاص ويقصد بها ولاية الافـــراد من اصحاب المذهـــب الاباضي ؛ وهي عبارة عن حـــق متبادل بين اتباع العقيـــدة الاباضية . ويجب أن تتوافـــر في الشخص الذي يتولاه الاباضيـــة الشـــروط التاليـــة :

١ ــ أن يكون اباضيا في القول والعمل .

٢ ــ أن تكون سمعته جيدة وتصرفاته مرضية .

٣ ــ أن يكون المكلّف مقتنعا بأن الشخص المتولى يستحق الولاية .

ويمكن التحقق من توافر هذه الشروط بالوسائل التالية :

١ ــ الخبرة بالشخص المتولى على انه موافق للاباضية في القول والعمل .

٢ ــ الشهرة التي لا تُدفَع ، اي ان يكون مشهورا بالخير ، فمن عرفه لا يعرف عنه الا الخير والفضيلة .

٣ ــ ان يُشهد على احقيته في الولاية شخصان اباضيان عدلان .

ويكتفي بعض العلماء بشهادة شخص واحد عدل (١٥) . ويبدو ان الاباضية كانوا احيانا يقبلون شهادة المراة . وتذكر المصادر الاباضية امثلة كثيرة تشير الى صحة هذا الرأي ، منها ما يورده الشماخي من ان أم عمروس ، احد علماء الاباضية في جبل نفوسة ، اوصت اليه في المهد واستخلفته ، فلما كبر وقضى وصية والدته وجد فيها الحج ، اي الطلب منه ان يحج عنها ويدعو لها . فسأل عمروس اقرانه من الاباضية عن احقية والدته في الولاية ، فلم يجد من يتولاها به (اي يشهد بأنها كانت اباضية المذهب ومن اهل الولاية) الا امراة،فتولاها بها ، وحج عنها ودعا لها واستغفر » (١٦) .

واذا تحققت ولاية الشخص،فعلى من يتولاه ان يضمر له الحب في الجنان ، ويعلن الترحم والاستغفار له باللسان ، « فمتى ما ظهر من احد الوفاء بدين الله قولا وعملا ، فعلى من شاهد ذلك منه ولايته ، واعتقاد الحب له ، والاستغفار له ، وتحريم بغضه وشتيمته وغشه وغيبته وسوء الظن به .. » (١٧) .

وتشمل ولاية الاشخاص الانواع التالية :

١ ــ ولايــة ائمــة الاباضية ، وتعتبر فريضة على كل اباضــي يعيش في القطر الذي يوجــد فيه الامام ، كما انهــا فريضة على اي اباضي آخر يسمع بوجود الامام . وتنسحب الولايــة ، في هذه الحالة ، على جميع الاباضية الذيــن يعيشون في ظلــه وينضوون تحت سلطانه . ويسمى هؤلاء : اهــل العدل والاحسان ، كما تسمى بلادهم : دار العدل والحق . ويسمي الاباضية هذه الولاية بــ « ولاية البيضة » اي العاصمة او مركــز الحكم . وفي ذلك يقول الجيطالي : « ولايــة البيضة هي ولاية الامام العادل ، امــام المسلمين (الاباضية) ومن اتبعه على طاعة اللــه ، الا إن ظهر من احــد ما يبرأ بــه منه ، وذلك ان كل دار يكون اهلها الغالبون عليها هــم العاملون بما جاء بــه التنزيل ، المتبعون لمــا شرعه الرسول عليه السلام ، الناهون لمــا نهى عنه الشرع ، الداعون الى السنّة والعمل بهــا ، الرادّون للبدعة على مــن جــاء بها ، غير متجانفين للأقارب ، ولا متعصبين على الاجانب ؛ يتولاهم الانسان ويسميهم أهــل العدل والاحسان ، وينسب الدار اليهــم فيسميها دار العدل والحــق » (١٨) .

ويقول الامام افلــح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : « اذا كان امام المسلمين (الاباضية) عدلا فكل مــن جرت عليه طاعته ، ورضي بحكمه ، ولم يظهر منــه خلاف المسلمين ، فهو عندهم في حكمهم من الولاية ، يتولونه بعينــه ، ويتولون جميع من في البيضة جملــة وقصــــدا » (١٩) .

ويرى الاباضية انه لا يجوز التجاهل او الجهل بوجــود الامــام ؛ فمعرفة الامام واجبة على كــل من يعيش في البيضة . ولا يجوز ايضــا لأي فــرد اباضي ان يتبرأ من احــد الائمة بشهادة الشهود ، علــى خلاف الاشخاص الذيــن يُتَوَلَّون ويُتَبَرَّأ منهم طبقا للشروط التــي شرحناها آنفــا ، ومنها شهادة العدول . ويشرح الجيطالي هــذه القاعدة ويقول : « امــا ائمة الدين والهدى ، وقادات المسلمين من اهــل المروؤة والتقى ، فانهم يتولون عند اصحابنا بغير حجة لانهم بمنزلة الديانة . .

وليست بمنزلة ولايـــة الاشخاص وبراءتها . الا ترى انـــك تنتقل من ولاية الاشخاص وبراءتها بشهادة الامنـــاء ؟ وليست كذلك ولايـــة الائمـــة،لانك لا تنتقل عليها بالشهـــود وان كثـــروا » (٢٠) .

ب ــ ولايـــة الخارج من الشرك الى الاسلام . يتولى الاباضية الشخص الذي يعتنـــق الاسلام ، ويشهد أن لا الـــه الا اللـــه وان محمـــدا رسول اللـــه ، ويعلن وحدانية اللـــه تعالى وقدرته ، ويبتعد عن المعاصي والكبائر . ويـــرى بعض علماء الاباضية ان المستجيـــب للدعوة الاسلامية لا يتولى حتى يبـــرأ من الجبابرة،اي الحكام والسلاطين غير الاباضية ، واذا لـــم يفعل ذلك فانهم يتوقفون عن الحكم عليـــه (٢١) .

ج ــ ولايـــة الخارج من مذهب اهـــل الخلاف الى مذهب اهـــل الصواب : اي ولايـــة المسلم الذي كان يتبع مذهبا اسلاميا معينا ثـــم اعتنق المذهب الاباضي . وهذه الولايـــة على وجهين : ولاية المتدين ، وولاية غير المتدين . ويقصد بالمتدين الشخص العالم المجتهد المتبحـــر في شؤون الديـــن ، الذي يستطيع أن يعطي رايـــا فقهيا، او يُصدر فتوى في شأن من شؤون الديـــن . وفي هذه الحالة فعلى الشخص أن يعلن توبته عن آرائـــه الخاطئة ، اي التي لا تتفق مع المذهـــب الاباضي ، ويعلن ايضا أن مبادىء الاباضية وعقائدهم هي وحدها التي تمثـــل الاسلام الحق . واذا فعل ذلك فعلى الاباضية حينئـــذ أن يتولوه ويعتبروه واحـــدا منهـــم (٢٢) .

واذا كـــان المخالف متدينا ، ولكنه صاحب بدعة،اي انـــه ينادي بآراء مخالفة للعقائد الاباضية ويدعـــو الناس لاعتناق ارائـــه،واستجاب لـــه عدد من الناس ؛ ثم رأى خلاف ذلـــك وأراد أن يتوب ويعتنق المذهـــب الاباضي ، في هذه الحالة يجب عليه ــ قبل أن يتولاه الاباضية ــ أن يذهب الى أصحابه ومـــن استجاب لدعوته ، ويخبرهم أن ما دعاهم اليه ضلال ، وانـــه تاب الى اللـــه وعاد الى رشده ، واعتنق المذهب الصحيح (الاباضي) . بعـــد ذلك تُقبَل توبتـــه ، ويتولاه الاباضية كواحـــد منهـــم (٢٣) .

أمـــا اذا كان المخالف متدينا وكان صاحب بدعـــة ، ودعا اليها الناس، فأضَلَّ بهـــا خلقا كثيرا ، بحيث يصعب عليه الاتصال بهم ليخبرهم عن توبتـــه ، ويعلمهم أن ما دعاهم اليه كـــان ضلالا ، فعليه في مثـــل هذه الحالة ، أن يتـــوب ، ويعمل جاهدا للدعوة للمذهـــب الاباضي ، عند ذلك تُقبَل توبتـــه ويتولاه الاباضية (٢٤) .

أمـــا المخالف غير المتديّن، او ما تسميه المصادر الاباضية: المخالف المقلّـــد ، فان الاباضية يتولونه بمجرد توبتـــه، واعلان انضمامه اليهـــم واعتناقه لمبادئهم ؛ وعليه في هـــذه الحالة ان ينطق العبـــارة التالية مخاطبا بهـــا الاباضية : « انـــا منكم ، وليُّ وليِّكم ، وعدوُّ عدوِّكم » (٢٥) .

٤ ــ ولايـــة الاطفال . يتولى الاباضية الاطفال المولودين لاشخاص من أتباع حركتهم، على أن يتوفر في الطفل أحـــد الشروط التاليـــة :

١ ــ المعرفـــة لدى الجماعة أن الطفل وُلِـــد على فراش ابيه . ومعنى ذلك التيقن من أن الطفل ولـــد لأب اباضي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ اقـــرار الأب الاباضي أن الطفل ابنـــه اذا حضر . ويرى بعض العلماء أن شهـــادة الأب غير كافية ، بـــل يجب أن تتوثق بشهادة رجـــل اباضي آخر عدل ؛ وبعضهم اشترط شهادة رجلين اباضيين عدلين .

٣ ــ شهادة الامنـــاء الموثوقين (الاشخاص العدول) بأن شخصا اباضيا معينا لـــه أولاد ؛ عند ذلك تتحقق ولايتهـــم، حضورا كانـــوا أم غيابـــا .

أمـــا الاطفال المخالفون فان الاباضية يتولونهم حتى يبلغوا الحلم، ثـــم يجري عليهم حكـــم الوقوف . فاذا ظهر منهم الوفـــاء للمذهب الاباضي تولوهم، وان ظهر منهـــم خلاف ذلك تبراوا منهـــم. وحكمهم في ذلك حكـــم آبائهم من الموحدين المخالفـــين .

أمـــا أطفال المشركين فان الاباضية يتوقفون عن الحكـــم عليهـــم حتى يبلغوا الحلـــم ، فاذا أسلموا بعد ذلك واتبعوا المذهـــب الاباضي فانهـــم يتولـــون .

أمـــا أطفال العبيد الذين يملكهم شخص متولى،والموالي الاطفال اذا أعتقهـــم المتولى،ففيهم قولان : أحدهما يقول بوجوب توليهـــم ، والآخر يقضي بالوقوف حتى سن البلوغ ؛ فاذا بلغوا واتبعوا الطريـــق القويم والمذهب السليم (الاباضي) فعند ذلك يتولـــون .

أمـــا الطفل الذي يولد لامرأة مشركة اعتنقت الاسلام وتولاهـــا الاباضية،فولايتـــه واجبة . أما اذا ولـــد الطفل لابوين مسلمين،احدهما اباضي والآخر غير اباضي،فـــان الاباضية يتوقفون عن الحكـــم عليـــه حتى سن البلوغ . فـــاذا اعتنق المذهب الاباضي تولوه،وان لـــم يفعل تبرأوا منه . ويـــرى بعض العلماء أن ولاية الطفل الذي وُلِـــد لأب اباضي واجبة،باعتبار أن الولايـــة تورث من الاب دون الأم .

ومـــن أصيب بعاهة الجنون في سن الطفولة فحكمه عندما يكبر حكـــم الطفل ، اذا كان أبوه ممن لهم حـــق الولاية فانه يتولى،وان كان مشركـــا أو منافقا وقف عنـــه .

واذا ارتـــد الشخص المتولى من الاسلام الى الشرك فان أولاده الاطفال يبقون في منزلتهم من الولايـــة (٢٦) .

٣ ـ البـــــراءة

البـــراءة عند الاباضية تعني عكس الولايـــة تماما ، أي العداوة والمنابذة والبغض ووجوب الشتم واللعنة للكافر ، وعـــدم الترحم عليه أو الاستغفار لـــه . والبراءة فريضة على كل مكلف في حال البلـــوغ كالولاية « حذو النعل بالنعل » (٢٧) .

وكما أن للولاية قواعدها وأحكامهـــا فان للبراءة ايضا قواعـــد وأحكاما يمكن اجمالها كالآتـــي :

١ ــ بــراءة الجملة : وتعني وجوب البــراءة من المشركين بشكل عــام ؛ فعلى كل اباضي ــ تبعا لذلك ــ أن يبرأ من اعداء اللــه من الاولين والآخرين، من الجن والناس اجمعين الى يــوم الدين ، معروفين أو غير معروفين ، احياء كانوا أم أمواتــا . فالبراءة من الكافرين توحيد ، والترك لشيء من ذلك شرك ، والجهل بأن الله أَمَــرَ بها شِرك ، والانكار لوجوبها وفرضها شرك أيضــا (٢٨) .

٢ ــ بــراءة الحقيقة أو براءة اهــل الوعيــد ، وتعني وجوب البراءة من أولئك الذيــن توعّدهم اللــه في كتابه العزيز ، وهــم المذمومون في القرآن، والموصوفون بالاساءة والعصيان (٢٩) وهــم قسمان : جملة وأفراد . ومن أمثلة الجملة قــوم نوح ولوط وعاد وثمود، واصحــاب الرس وغيرهم ممن ذكرهم القــرآن بالسوء . أما الافراد فهم نوعــان : مسمى مثل هامان وقارون وفرعون ، وأبي لهــب . وغير مسمى مثل الذي حاج ابرهيم ، وحمّالة الحطب ، وامرأة لوط وغيرهــم .

وبكلمــة فان البراءة من جميع من نص اللــه عليهم بأسمائهم وأوصافهم والقابهــم من الرجال والنساء المنعوتين بالاساءة توحيــد ، وولايتهــم شــرك (٣٠) .

٣ ــ بــراءة الاشخاص . يعتقــد الاباضية بوجوب البراءة من كل شخص مشهور بارتكــاب الآثام والكبائر ؛ وهؤلاء نوعان : الاول يشمل أولئك الذيــن يرتكبون الكبائر ؛ والكبيرة عندهم هي الخطــأ الذي يوجب الحــدّ في الدنيا والعذاب في الآخرة، مثل الزنــا ، وشرب الخمر ، والتولّي يــوم الزحف، واشباه ذلك . والثاني يشمل أولئــك الذيــن يرتكبون الصغائر ويصرون على الاستمرار في الخطــأ رغم تحذير اقرانهــم لهــم (٣١) .

وتجب البراءة من الشخص اذا تحقق فيه أحــد الشروط التالية :

١ ــ أن يعترف الشخص انــه اقترف احدى الكبائر ، أو انــه استمر في ارتكاب الصغائر مدعيــا أن هذه الامور لا تتعارض مــع مبــادىء العقيــدة .

٢ ــ أن يشاهد الشخص وهو متلبس باقتراف احدى الكبائر ، مثل الزنا وشرب الخمر واشباه ذلك .

٣ ــ أن يشهد رجلان اباضيان عدلان ممن تقوم بهم الحجة في الولاية والبراءة على أن شخصا ما يستحق اللعنة والبراءة (٣٢) . ويبدو من مطالعة المصادر الاباضية أن هذه القاعدة قد وُضِعت في وقت مبكر جدا من عمر الدعوة الاباضية ؛ اذ تروي المصادر أن جابر ابن زيد (ت ٩٣هـ) سمع رجلين من أصحابه يتحدثان حتى ذكرا رجلا فلعناه . فقال جابر : « لعن الله من لعنتما ، قالا : كيف تلعن رجلا لم يثبت عندك لعنه ؟ فقال : واي ثبات اثبت من اجتماعكما على لعنه ! » (٣٣) .

٤ ــ الشهرة التي لا تُدفَع ، أي أن يكون الشخص معروفا بالسوء مشهورا به ؛ اذ ان المشهور بالشر يُبرَأ منه بغير شهادة (٣٤) .

والبراءة من الاشخاص تكون على وجوه يمكن ذكرها كما يلي :

ا ــ البراءة من السلطان الجائر ، أي البراءة من الحكام المخالفين . ولا تشمل البراءة جميع من ينضوي تحت لواء السلطان ، لان بعضهم قد يكون من أصحاب المذهب الاباضي،ولكنهم اخفوا معتقدهم على سبيل التقية الدينية حتى لا يبطش بهم السلطان وأعوانه . والحقيقة ان الاباضية في طور الكتمان كانوا دوما يعيشون تحت حكم « الجبابرة »،ومن هنا كانت البراءة وقفا على السلطان ومن ثبتت طاعته له بقناعة واخلاص . وتسمى دار السلطان دار الجور والظلم (٣٥) .

ب ــ البراءة من المرتدّ من الاسلام الى الشرك . وفي هذه الحالة يستتاب المشرك ثلاثة أيام ، فان لم يعد الى صوابه ورشده فيجب أن يجاهد ويقتل ، ولكن لا تُسبَى له ذرية،ولا يغنم له مال (٣٦) .

ج ــ البراءة من الخارج من مذهب اهل الحق الى مذهب

اهـل الخلاف ؛ اي البراءة من كل شخص يرجع عن المذهـب الاباضي الى اي من المذاهـب الاسلامية الاخرى . امـا اذا تمادى هذا الشخص ولم يكتف بترك المذهـب الاباضي ، بل اخـذ يطعن في اهله ويعيب عليهم ، فعند ذلك يوجب الاباضية قتلـه . يقول الجيطالي : « فمن خرج مـن مذهب اهـل الحق الى مذهب اهـل الخلاف ، فتولى ائمتهم ، وتبـرأ من ائمـة المسلمين (الاباضية) كان واجبـا على المسلمين (الاباضية) بغضه وعداوته ، وخلع ولايتـه ، حتى يتوب ويرجع الى المسلمـين (الاباضية) فيتولّى وليّهم ويعادي عدوّهم . وان خرج من مذهـب المسلمين وخالفهم وطعن في مذهبهـم ، وعابه منهم ، فقد حلّ قتله باي سبب وصلوا الى اهلاكه وقتلـه » (٣٧) . وقصة خردلة التي ترويهـا المصادر الاباضية من اوضح الامثلة على ذلك ، فقد جـاء شاب اباضي الى الامام جابر بن زيـد ، وسأله عن افضل انواع الجهاد ، فقـال الامام:قتـل خردلة . وكان الشاب لا يعرفه؟فأراه اياه رجل من الاباضية ، فضربه بخنجر مسموم فمـات؟وقبض على الشاب الاباضي واتي بـه الى الوالي فقتلـه . وكان خردلة من الاباضية ، ولكنـه خرج عليهم واخـذ يطعن في دينهم ويدلّ على عوراتهم ، فاستحلّ جابر بن زيـد دمـه ، وتـمّ قتله على النحو الذي ذكرنـاه (٣٨) .

د ـ البراءة من الاباضي المبتدع ، اي الذي يقول براي ديني او فكري مخالف لمـا يعتقده علماء الاباضية وفقهاؤهم ، ويدعـو الناس اليه ، مثال ذلك ما يرويـه المؤرخ ـ الامام ابـو سفيان من ان شخصا اباضيا من مشايخ الكوفة كان يقول بالقدر؟ويدعى حمزة الكوفـي؟وقد جاء الى الامام ابي عبيدة في منزله ، فقال الامـام : « من جـاء بك الي ؟ فقـال : وإلَى مَن اذهب يا ابا عبيدة ؟ اني اريـد ان اذكرك بعض هذا الامر . قـال فعليك بمنزل حاجب (الطائي) قال : وما اصنع بـه ولسـت حاضرا ؟ قـال : فاني آتيك هناك ، قـال : فخرجا حتى اتيـا منزل حاجب . قـال : فدخلا : البيت ، فتكلما كلاما كثيرا . فكان آخر مـا سُمع منابـي عبيدة ان قال:يـاحمزة على هذا القول فارقت غيلان ،

قال : فخرج ابـو عبيدة ، ثم كلمه حاجب . قـال : فكان هيبته مـن حاجب اعظم من هيبتـه من ابي عبيدة؛ قال : فقال حمزة : انما اخـذت هذا الكلام (اي القول بالقدر) من عنـد المسلمين (الاباضية) قال : فقال لـه حاجب ، لم تدرك احـدا الا وقد ادركته ولقيته الا جابر فعن من اخذت مـذا القول ؟ قال : منك اخذته . قال : فقال لـه حاجب فاني ارجع عنه ،فارجع عنه كما رجعت . قـال : فقال ، ارفق بـي يـا ابـا مودود،واقبل مني ما اقول لك . قـال : هات . قال : اقول ما اصابك من حسنة فمن اللـه،وما اصابك من سيئة فمن نفسـك ؛ فالحسنات من اللـه والسيئات من العباد . واقـول : لا يكلف اللـه نفسا الا وسعها . قـال : فقال له حاجب : امـا من غيرك فمقبول منه هذه الجملة،وامـا منك فانا اعرف مذهبك فيه اولا . قـال : فخرج حمزة من عنـده . قال : فسئل عنه حاجب فقال : ارفقوا بحمزة ولا تقولوا فيه الا خيرا ؛ قـال : فمكث بذلك ما شاء اللـه.ثم بلغهم انـه مشى الى النساء فكلمهن في ذلك ، والى الضعفاء . قـال : فلما بلغ ذلك ابـا عبيدة وحاجبا ، امـر ابو عبيدة حاجبا ان يجمع لـه الناس؛فمشى اليهم واعلمهم ووعدهـم ، فاجتمعوا ولا يعلمون ما يريد ابـو عبيـدة وحاجب . قيـال : فتكلم المتكلمون وحاجب ساكت لا يتكلم ! قال : فلمـا تكلم حاجب فحمد اللـه واثنى عليه ، ثم قال : ان حمزة وعطية والحارث (الشخصان الاخيران وافقـا حمزة في مقالته) احدثوا علينا احداثا،فمن آواهم او جالسهم فهو عندنا الخائن المتهـم . قال : فتفرق النـاس وطردوهم من المجالس ولم يقربهم احـد (٣٩) .

وقبـل ان ننهي حديثنا عن البراءة واحكامها يجدر بنـا ان نشير الى ان علماء الاباضية يوجبون استتابة الشخص قبـل التبرؤ منه ، فان تـاب بقي على ولايته،وان لم يفعل تبراوا منـه ؛ ويرى بعض المفكرين الاباضية ان البراءة لا تتـم الا بعد طلب التوبة ثلاث مرات،فاذا اصر الشخص على معصيته وجبت البراءة منـه (٤٠) .

٤ ــ الوقـــوف

الوقـوف يعني الامساك من امضاء حُكـم ــ بحق ولاية شخص او مجموعة او البراءة منهـم ــ لعدم توافر الادلـة والمعلومات اليقينية التي توجب الولايـة او البراءة . ويرى الاباضية تبعا لذلـك ــ أن الناس ثلاثة فرقاء : فريق عُلِـم منه الخير ، وهو الموافقة في الديـن والعمل ، وهذا هو الولـيّ المستحق للولاية . وفريق عُلِـم منه الشر ، وهو المخالفة في الديـن بالقول والعمل ، وهذا هو المخلوع المستحـق للبراءة والعداوة ؛ وفريق ثالث لم يُعْلَم منه شر او خـير، وهو الموقوف عنه حتى يثبت عليه مـا يوجب الولاية أو البراءة (٤١) .

والموقوف عنه صنفـان :

١ ــ كل شخص بالِـغٍ لا يُعْرَف منه كفر ولا ايمان . فالغرض فيه الوقوف عن الحكـم عليه حتى يُعرَف حاله من خـير او شر، فيستحق حينئذ الولاية أو البراءة ؛ ومن أمضى فيـه حكما ، سواء بالولاية او البراءة ، بغير علـم ، فهولاشك مشرك هالـك (٤٢) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ أطفـال المشركين والمنافقين . وهؤلاء يجب الوقوف عن الحكم عليهم حتى يبلغوا الحلـم ؛ فاذا شوهد منهم الايمان والصلاح فانهـم يُتَوَلَّون ، وان شوهد منهم الكفر والضلال فَيُتَبَرّأ منهـم (٤٣) .

ويشـير العلماء الاباضية الى أشكال مختلفـة من حالات الوقوف مـن أهمهـا :

١ ــ وقوف الديـن ، او ما يسميه البعض وقوف السلامة . ويعني ذلك الوقوف عن الحكم علـى شخص غير معروف عنـه خير أو شر ، كفر او ايمان،وهـذا اشمل انواع الوقوف (٤٤) .

٢ ــ وقوف السؤال . وهـو أن يقوم شخص اباضي بعمل سيىء ، ويعرف عنه بعض اقرانه ذلك،فعند ذلك يجب التوقف عن الحكم عليـه

حتى يسالوا اهـل العلم والمعرفة من مشايخ الاباضية عـن طبيعة ذلك العمل وكيفية الحكم فيـه . مثال : ان يرى الشخص متوليا لـه على معصية مثل الزنـا ولا يدري ما قول المسلمين (الاباضية) فيـه . فياتي اليهم ويقول :ما تقولون في رجـل ممن تتولونه رايتموه يزني ؟ (ولا يحق لـه ان يقول رايت فلانا بالاسم ، لانه اذا فعل ذلك برىء منه لكونه رمى متولّىً لهـم بكبيرة) فاذا اخبروه انـه يُبرأ منه برىء منه ، امـا قبل السؤال وسماع الجواب من العلماء والمشايخ فانه يتوقـف عن الحكم عليـه (٤٥) .

٣ ــ وقوف الاشكال . ويعني الوقوف عن الحكم على المتوليَيْن ، اذا قُتِـل احدهما الآخر ولم يُعرف المحقّ من المبطل ؛ مثال ذلك ما جرى للحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي اللذين تزعّمـا الحركة الاباضية في شمال افريقية بعد مقتـل رئيسهم عبد الله بـن مسعود التجيبي نحو عـام ١٢٧ هـ . وقد وُجِـدا مقتولين وسيف كل منهما مغمـد في جثة صاحبه . ولمـا لم يتمكن الاباضية من معرفة الباغي منهما على الآخـر ، فقد رجح لدى العلماء الوقوف على الحكم عليهمـا . واصبحت هذه الحالة مثالا يحتذى بـه في الحكم على قضايا مشابهة (٤٦) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ ــ اهمية الولاية والبراءة في تطور الحركة الاباضية

يـرى الباحث أن لنظام الولاية والبراءة الاثر الاكبر في تطـور الحركة الاباضية واستمرار بقائها الى وقتنـا الحاضر ، ويمكن اجمال اهمية هذا النظـام في التاريخ الاباضي في النقاط التاليـة :

١ ــ لقـد ساعد نظام الولاية والبراءة اتباع الحركة الاباضيـة على اقامة مجتمـع متماسك قائم على المحبة والاخوّة والمساعـدة . ولمـا كانت الولاية عند الاباضية فرضا واجبا فاننا نرى الاباضي ــ تبعا لذلك ــ يقدّم اخاه في العقيدة على اخيه في النسب . وتشير المصـادر الاباضية الى امثلة متعددة تؤكد هذا المبـدأ ، منها ما يرويه الامام

المؤرخ الاباضي ، ابـو سفيان الذي يذكر ان شخصا اباضيا يدعـى المعتمر بن عمارة جـاء الى ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي، ثاني ائمـة الكتمان في البصرة خلال القرنين الاول والثاني الهجريين ـ وقال لـه : انك لأُحبُّ الي من ابي . فقال ابـو عبيدة : « هكذا ينبغي لـك يـا معتمر ان تكون ، لانك بذلت لي ما لم تبذل لـه ، اي الولاية » (٤٧) . وهناك امثلة اخرى كثيرة في هـذا الصدد، منها ما يرويه ابـو سفيان ان ابـا الحر ـ احد مشايخ الاباضية في الحجاز في القرن الثاني الهجري ـ كان في المسجد جالسا في حلقة لـه، فقدم اخوه الحسن من العـراق . فأقبل يريده حتى جـاء الى الحلقة فسلم على اخيـه ، ولكن ابا الحر لم يقم من مجلسه، واكتفى بأن اخذ بيـد اخيه وهو جالس، على الرغـم من انـه لم يره منذ فترة طويلة ! وبينما هـم كذلك، اطلَّ رجل اباضـي من اهل عمان ، فلما نظر اليه ابـو الحر، هبَّ قائما وخرج من الحلقـة، فتلقاه وعانقه وقبَّل صفحتي عنقه، ورحّب بـه ترحيبا كبيرا . فتأثر اخوه لمـا رآه ، وعاتب ابـا الحر على الاستقبال الفاتر الذي ابداه نحـوه، مقارنة بما فعل مع ذاك الاباضي العماني . فقال ابـو الحر « مودة هذا (اي الاباضي العماني) على غير مودتك ! لان مودة هذا على الديـن والولاية، امـا مودتك فعلى النسب » (٤٨) .

ولـم تقتصر المودة والمحبة بين اتباع الحركة الاباضية على مثل هذه المظاهر التي اشرنـا اليها، بل تعدتها الى النواحي العملية الاخرى ؛ فقد كان الاباضية الاغنياء يتسابقون في مـدّ يـد العون للمتولى الفقير منهم . وهناك امثلة كثيرة في هـذا الشان تزخر بها المصادر الاباضية؛ منها ما يقوله ابـو سفيان :« سمعت بعض مشايخ من ادركت يقولون : انـا لنذكر اذا دخل شعبان، إن كان الفقراء من المسلمين (الاباضيـة) لتأتيهم الاحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهـر رمضان، ولا يعلمون من بعث بهـا . يأتي الرجل بالجمال حتى يقف بـه على باب الدار فيقول : ادخـل ، فيكتب في خرقة كلـوا واطعموا » (٤٩) . ويروى ان شخصا من الاباضية يدعى ديال بن زيد « كـان يستأجر الاكسية فـي

البرد الشديد .. بالف درهم او اقل او اكثر ، وليس عنده منهـا شيء ، وانما يتكل على اللـه ، وعلى المسلمين (الاباضية) ثم يفرقها بـين الفقـراء،ويجمع ثمنها بعد ذلك من اغنيـاء المسلمين (الاباضيـة) وكرمائهم » (٥٠) . وكـان الداعية الاباضي ، ابو الحر ، موسرا جـدا، وتاتيه غلّته سنويا « فيقسمها نصفين ، فيفرق نصفها في فقراء المسلمين (الاباضية) وفي معاونتهم » (٥١) . ولـم تقتصر الموالاة بين اتباع المذهب الاباضي على الاحياء منهم،بل تعدتها الى الاموات . فاذا كـان الميـت متولى لهم ومات وعليه دَين، فان اصحابه يتسابقون في دفـع الدَين عنه . يقـول ابـو سفيان : « مـات حاجب وعليه ديـن مئتـان وخمسون الفـا او اكثر (دراهم) قال : فدخل قرة بن عمر وجماعة من المسلمين ليغسلوه ... فقال لهم قرة : يـا قوم ، ما تقولون في ديـن هذا الرجل ؟ فابتدر ثلاثة رجال،وقرة رابعهم،وضمنوا دينـه . ودخل الفضل بن جندب،وكـان من خيار المسلمين (الاباضية) وكـان موسرا فاخبروه ، فقال لهـم الفضل : دينه عليّ دونكم حتى اعجز عنـه ، ولا يبقى لي مـال » (٥٢) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكـذا فان نظام الولاية وما يوجبه من مساعدة ومؤازرة ومؤاخاة قد جعل من الجماعة الاباضية اسرة واحدة متماسكة متضامنة،تسيطـر على افرادها روح المحبة والمـودة والتفاني في خدمة العقيدة والمؤمنين بها .

٢ ــ لقـد ادى نظام الولاية والبراءة الى ان يتّخـذ الاباضيـة موقفا متعنّتاً جـدا من الصحابة الاوائـل ، فانكروا ان بعضهم مبشّر بالجنة ، وكفّروا آخرين كفر نعمة وليس كفر شرك ، وتبراوا منهـم ؛ كما فعلوا مع عثمـان وعلي وطلحة والزبير (رضي اللـه عنهـم) وغيرهـم (٥٣) .

٣ ــ ساعـد نظام الولاية والبراءة الاباضية في شمال افريقيـة على المحافظة على عقيدتهم رغـم التحديات الكثيرة التي تعرضوا لهـا منذ سقوط الدولة الرستمية الاباضية على ايدي الفاطميين نحو عام ٢٩٧هـ.

وبدلا من التخاذل والياس والخضوع لمخالفيهم فقد انسحب الاباضية الى مناطق نائية،واستغلّوا مبدأ الولاية والبراءة الى ابعد الحدود، واقاموا مجتمعات اباضية متماسكة،تسودها المحبة وتسيطر عليها روح الجماعة .

وانشأوا هيئة العزابة التي تشبه في مهماتها وسلطاتها مهام مشايخ البصرة في طور الكتمان،ابّان القرنين الاول والثاني الهجريين (٥٤) . وكانت العزابة تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الاباضي طيلة عدة قرون . وكان شيوخ العزابة يطبقون الاحكام على جميع الافراد « دون أن يشذ منهم شاذ ، أو يتكبر عليهم متكبر » . وكان سلاحهم في تنفيذ أحكامهم مبدأ الولاية والبراءة . ولولا هذا المبدأ لظهر التمرد عليهم والاستنكار لهم (٥٥) .

د. عوض خليفات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش :

(١) حول مزيد من التفاصيل عن مماتي الولاية ، انظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، بولاق ، ١٣٠٧ هـ ، ج ٢٠ ، ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٢) أبو تمام ، **الحماسة** ، ج ١ ، ص ٩ (نقلا عن يوسف خليف ، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** ، ص ٩٢ ، ملاحظة رقم (١) .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٤) يوسف خليف ، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٩ ــ ١٠٣ .

(٥) ابن هشام ، **السيرة** ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(٦) ترد في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر المسلمين بموالاة بعضهم بعضا والبراءة من أعدائهم وان كانوا أقرب الناس اليهم . مثال ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . سورة التوبة آية ٧١ ، وقوله تعالى : « لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون » سورة التوبة ، آية ٢٣ .

(٧) في شأن هؤلاء الثلاثة قال الله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه . ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله تواب رحيم » سورة التوبة ، آية ١١٦ ــ ١١٧ .

(٨) حول التنظيم السري الاباضي في القرنين الاول والثاني الهجريين انظر كتابنا : نشأة الحركة الاباضية ، ص ٨٦ وما بعدها .

(٩) شماخي : **سير** ، ص ١١١ ــ ١١٢ .

(١٠) جيطالي ، **قواعد الاسلام** ، المطبعة البارونية ، ١٢٩٧ هـ ، ص ٤٧ .

(١١) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٤٨ ، ٦٤ ، ٨٢ ــ ٨٤ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٦٩ ، جيطالي ، **قواعد الاسلام** ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

(١٢) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٣ .

ص ٦٤ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٣ .

(١٣) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٦٥ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٦٤ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٣ .

(١٤) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٤ .

(١٥) شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٧٢ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٤٤ ، ٥٣ .

(١٦) شماخي ، سير ، ص ٢٢٨ ، أنظر مثالا آخر ص ٢٣٢ .

(١٧) جيطالي : قواعد ، ص ٤٨ ــ ٤٩ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤ ــ ٤٥ .

(١٩) الامام الفلح ، جوابات ، ق ٢ ، ص ٥ (نقلا عن نسخة مصورة يملكها الاستاذ محمد المغربي) .

(٢٠) جيطالي ، قواعد ، ص ٥٤ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ، شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٧٢ ــ ٧٣ .

(٢٢) جيطالي ، قواعد ، ص ٤٧ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٢٦) عن ولاية الاطفال انظر ، جيطالي ، قواعد ، ص ٥٠ ــ ٥٣ ، شماخي ، شرح ، ص ٧٥ .

(٢٧) جيطالي ، قواعد ، ص ٥٦ ، شماخي ، شرح ، ص ٤٨ ، علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ٨٦ .

(٢٨) جيطالي ، قواعد ، ص ٥٦ ــ ٥٧ ، عمرو بن جميع ، عقيدة التوحيد ، ص ٧٤ ــ ٧٥ .

(٢٩) عمرو بن جميع ، عقيدة التوحيد ، ص ٧٥ .

(٣٠) شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٧٥ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٥٨ ، عمرو بن جميع ،عقيدة التوحيد ، ص ٧٦ .

(٣١) السالمي ، مشارق انوار العقول ، القاهرة ، ١٣١٤ هـ ، ص ٢٧٠ وما بعدها ، ص ٣٧٨ ــ ٣٨٠ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٦٢ ــ ٦٣ .

(٣٣) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، شماخي ، سير ، ص ٧٣ .

(٣٤) جيطالي ، قواعد ، ص ٦٣ (عن ابي المؤثر) .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

(٣٨) شماخي ، سير ، ص ٧٥ ــ ٧٦ ، الحارثي ، العقود الفضية ، ص ١٠١ ــ ١٠٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٩) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٢٨١ (من ابي سفيان) ، جيطالي ، قواعد ، ص ٦٣ ــ ٦٤ .

(٤١) جيطالي ، قواعد ، ص ٦٩ .

(٤٢) المصدر نفسه .

(٤٣) السالمي ، مشارق ، ص ٣٨٢ وما بعدها .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٧١ .

(٤٦) أبو زكريا ، السيرة ، مخطوط ، ورقة ٩ ، البرادي ، الجواهر ، ص ١٧٠ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٥ .

(٤٧) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٤٩) شماخي ، سير ، ص ١١٤ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(٥١) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

(٥٢) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٥٣) القلهاتي ، الكشف والبيان ، مخطوط ، ورقة ٨٥ ــ ١٠٦ ، الازكوي ، كشف الغمة ، مخطوط ، ورقة ١١٢ وما بعدها ، البرادي ، الجواهر ، ص ٥٣ وما بعدها ، شماخي ، سير ، ص ٣٠ وما بعدها ، انظر كتابنا ، نشأة الحركة الاباضية ، ص ٥٧ ــ ٦٣ ، ١٧٢ ــ ١٨٠ .

(٥٤) يقوم المؤلف باعداد بحث عن نظام العزابة سوف ينشر في مجلة المؤرخ العربي التي تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب في بغداد .

(٥٥) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباحثون الايطاليون ودراسة التاريخ العربي

للمستعرب الايطالي الأستاذ أومبرتو ريتسيتانو

ترجمه عن الايطالية : عيسى الناعوري
(الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني)

تمهيـــد

هـــذه المراجعة الموجزة لمشاركـــات الباحثـــين الايطاليين في حقـــل (التاريخ العربي) خاصـــة ، لا تشمل الاشارة الى المؤلفـــات ذات الطابع السياسي والديني ، لان ذلك اكثرُ اتصالا بموضوع الاســـلام بحدوده الواسعة ـــ والدراسات الاسلامية تدخل في نطاق ما يدعى باسم « الاستعراب الاسلامـــي » ، الواسع الاستعمال ـــ غير ان وجود فصل في هـــذا البحث حول (الدراسات الاسلامية) ، كان القصـــد منه ان يُحول دون اي تحديـــد لا ارادي قد يقع عند الحديث عن حضارة ـــ كالحضارة العربية الاسلامية ـــ كثيرًا ما يتعذّر معهـــا فصل المسيرة التاريخية عن تطوّر العقيـــدة ونموّهـــا .

وبالنسبـــة الى الاساس الذي سرنا عليـــه في تقديم المعلومات هنا ، نذكر انـــه ، من أجل ترتيبٍ افضلَ لهذا البحث ، كان لا بـــدّ من التضحية بالتسلسل التاريخي للمشاركات الفردية المختلفة ، حفاظا على تسلسل الفترات التي ألِفْنـــا تحديدها زمنيًّا ؛ واعني ان تلك الفتـــرات التي تبدأ بالعهد الجاهلي ، ثم تمـــرّ بالنبي محمـــد ، وخلفائه الراشدين الاربعة ، والخلافة الامويـــة ، ثم العباسية ، الـــى سقوط الخلافة في

بغداد عـــام ١٢٥٨ ، قد تلاها الانحطاط ، او الركود ، الذي غلب على العـــرب حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين بدأت في بعض الاقطار العربية ، الافريقية والآسيوية، تباشير عهـــد النهضة . وعند عصر النهضة يتوقف حديثنـــا .

• • •

حَوْلِيّـــات الاســـلام :

في الوقـــت الذي تتناوله مراجعتنا الموجزة هذه ، من حيث الترتيب الزمني ، تَبْرُز بين المستعربين الايطاليين والاوروبيين شخصية عملاقـــة ، هي شخصية ليوني كائيتاني . ففي الاعوام التي تَلَـــت الحرب العالمية الاولى مباشرة ، نجده ينصرف من جديد الى عملـــه في (حَوْلِيّات الاسلام) التي كان قد انقطع عنها بتطوُّعه في الجيش . ونحـــن نحيل من يُوَدّون معرفة شيء عن أسرة كائيتاني الشهيرة ، وابنهـــا العبقري الفـــذّ ، الى كتاب فرانشيسكو غبريلي (آخر آل كائيتاني) ، كما نقتـــرح على من يدفعهم الفضول الى معرفة البيئـــة التي وُلِدَت وتطوَّرت فيها تلـــك (الحوليات) أن يقرأوا — ان لم يقرأوا بعـــد — الصفحات الرائعة ذات الطعم الغَسَقِيّ ، التي كَرَّسَها جورجيو ليفي ديلاّ فيدا في كتابـــه (سقف الحوانيت المظلمة) ، ففي هذا الكتاب اهتـــمّ ذلك العالم باللغات السامية والمؤرخ الشهير للاسلام ، بالاصالة والدِقّة اللتين عُرِفَت بهمـــا ابحاثه ، بأن يُبْرِز المزايا العديدة والهَنات الضئيلة لعمل كائيتاني الجبار ، وللنتائج العميقة والحواشي النيّرة التي أَلَّفَتْ معا تحليلا ناقدا من ادقّ الاعمال التحليلية وأصوبها . وقد أوصله الى ذلك اطّلاعُه التاريخيّ والدينيّ العجيب ، وكذلك ما لا يجوز إغفاله من انه كان ، هو وبعضُ المستعربين الآخرين ، بين الذين تعاونوا في العمل مع كائيتاني تعاونا فعالا . ولهذا نرى أنّ من الادّعاء الذي لا يُغْتَفَر ان نحاول اضافة شيء افضل او اكثر مما جـــاء في الكتابين المشار اليهما ؛ونعترف باستحالة فحص كل محتويات (الحوليات) ، لان هـــذا لا يستطيعُه الاّ مَن قـــرأ قراءةً كاملة كـــلّ الصفحات الـــ ٧٠٠٠ من تلك الحوليات . ولذلك نكتفي بأن نذكـــر في هذا المقام ضمن ايـــة حدود زمنية وتاريخية يَجري القسمُ الاكبـــرُ

من عمل ذلك المؤرخ ، دون أن نتغاضى عن إبراز بعض مزاياه الكثيرة ، رغم ما نخشاه ، بل نحن واثقون منه ، من تكرار ما أحسَنَ كتابَتَهُ ليفي ديلاّ فيدا وغبريبلي .

ونحن نتّفق تماما مع ليفي ديلا فيدا في اعتبارنا انه « اذا كانت أُولى نوايا كائيتاني التفكير في جعل عمله يقتصر على جمع المواد وعرضها ، فهو خلال ذلك قد شعر بدافع لا يُقاوَم الى التمحيص والبِنَاء ، فأضاف بذلك الى عملِ جامعِ الوقائع ، عملَ المؤرخ » . والواقع انه منذ الجزء الاول الخاص بتاريخ العرب في الجاهلية ، وقسمٍ لا بأس به من سيرة الرسول ، بدا جليًّا أن كائيتاني كان يعتزم أن يجعل عمله اكثر اتساعًا واحاطةً مما كان العنوان يسمح بافتراضه . وهذا التمحيص للمصادر الذي التزم به المؤرخ منذ البداية ، ازداد دقة في الأجزاء التالية التي زوّدها بكثير من التنبيهات الصغيرة والمفيدة ، وذات الطابع البنائي . ولقد شَجَّعه ما لقيه من تأييد كبار الباحثين ، ولم يُثبِّط همته ما لقيه أحيانا من النقد الذي لا بدّ منه . ومضى كائيتاني يعمل بهمة نشطة وحماسة متواصلة في نشر الجزاين الثالث والرابع ، وهو يزداد يقينا من أن الخطّة الجريئة التي اختطّها ليجمع في عشرة أجزاء أحداث ما يزيد عن ٩٠٠ سنة من التاريخ (أي حتى احتلال العثمانيين لسوريا ومصر ، سنة ٩٢٩ هـ . ١٥١٧ م .) كان لا بدّ من تعديلها تعديلا اساسيا . وقد عَبَّر عن تلك الضرورة بصراحة في مقدمة الجزء الخامس حيث يقول : (ان وفرة الموادّ تستمرّ في قلب التوقّعات المتكررة حول عدد اجزاء الحوليات . . . وسيجد البعض حجة لانتقاد الابعاد التي ما تني تأخذها ... لان استمرار العمل على قاعدة شديدة الاتساع ، يزيد من صعوبة إنجازه . . .) .

ويتبع كائيتاني تصريحه هذا بتوقُّعٍ ، لا شك في انه اكثر واقعيةً من ذلك الذي سبق أن تكوَّن لديه حين شرع في تنفيذ تلك المهمة الموسوعية ، وهو انه من الممكن أن يصل بعشرين مجلَّدا أُخرى الى نهاية العهد الاموي . « لقد عُمِلتُ حسابا ــ كما يقول بعدئذ ــ بانني

لـــو استطعت الثقة من ان اعيش عشريـــن عاما اخرى مـــن العمل الجاهد ، وبالمساعدة النشيطة التي يُقدِّمها لـــي بعض المعاونين القديرين ، فلربما استطعت ان أُقـــدِّم للطبع نحو عشرين كتابا مثل تلك الكتب التي صدرت حتى الآن . . . مستمرًّا على غرار تلك الكتب السابقة دون تغيير في الطريقة او النوع . ان النتيجة واضحة : فحياة انسان بكاملهـــا ، اذا كُرِّسَت لهذا العمل ، قـــد تبلغ بالحوليات الى بدايـــة الخلافة العباسية فقط ، دون أن تمسَّ كلّ عصور التاريخ الاخـــرى ... لهذه الاعتبارات وسواها ، مما أُريحُ القارئَ مِن سرده ، توصلتُ الـــى ان أُقرِّر الشروع في طبع كتاب آخر ، تكميلي ، او على الاصح ، مُكَمِّل ، يكون الصـــورةَ او الشكل التحليلي تقريبا للعمل الاكبر ... » . ومـــن هناك نشأت (الوقائع الاسلامية) التي استُخْدِمَتْ فيهـــا ، في موجزات اخبارية ذات صلة بتاريخ الشعوب الاسلاميـــة ، الجزازاتُ التي لا عَـــدَّ لها مما جمعه خلال إعداده لعمله الكبير . غـــير أن كائيتاني لم يستطع ، حتى مع هذه المهمـــة الجديدة التي وقفَتْ عند عـــام ١٤٤ هـ / ٧٦٢ م ، ان يُحقِّق ما كان قد حَزَم امره عليه من الوصول الى حدود عـــام ٩٢٩ هـ / ١٥١٧ م ، كما كانت نيّتـــه الحازمة ، بل ظَلَّ ذلك مرةً اخرى طُموحـــًا وهْميًّا . ولم تكن اقـــلَّ وَهْمًا كذلك ــ كما تَجلَّى بعدئذ في ما يتعلـــق بالحوليات ــ توقعاتُ المؤرخ حول (الوقائع) ، فانـــه لم يُكمل بَعْدَ ذلك من عمله العظيم اكثر من خمسة اجـــزاء اخرى ، بلغ معها العمـــل الى الجزء العاشر ، الـــذي وصل الى سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ م (نهاية خلافة علـــي) . وهذا يعني اقـــلّ من ثلث ما كان قد خَطَّط لـــه بجراة حماسية .

ان هـــذه الحوليات ، التي أعاد كائيتاني نشر بعض موادّهـــا في جُزْأَي كتابه (دراسات في التاريـــخ الشرقي) ، سرعان ما لقِيَتْ تقدير الاوساط العلمية الاستعرابية وغيرها ، في ايطاليا وفي الخـــارج ، وليس فقط للعمل الجبار في جمع اكثر من مئـــة وخمسين مرجعا تاريخيا ،وتاريخيا ادبيـــا ، وفَرْزها (واغلبُها ما يزال غير مطبوع) بـــل لاعتبارها ايضا مرجعـــا لا مثيل لـــه في الحقيقة ، لمعرفة العهـــد الاسلامي الاول ،

وللاعتبارات النقدية والتمحيصية العديدة ، والحدس العبقري ، والفرضيات المغرية المنبثّة في ثنايا ترجمات النصوص او تلخيصاتها . ولئن كانت مواقفُ الباحث المتساهلة جدًّا مع الايجابية التاريخية ، ونَقْدُه العنيد لقيمة الابحاث التاريخية التقليدية في شؤون الاسلام ، لم تَلْقَ اصداءً حسنة لدى المختصّين ، فان هؤلاء انفسهم ، حتى في عدم اتفاقهم معه ، قد أبدوا اعجابهم الشديد بمواهبه ومقدرته العلمية ، واثنوا دائما على المثابرة والدأب اللذين ابداهما في قيامه بتلك المهمة التاريخية ، مُشيدِين بنشاطه في التنقيب التاريخي ، وعكوفه على البحث الدائب ؛ ناهيك بالثناء على الروح التي تَحَلّى بها في اعادة صياغة المادة الخام التي كان يعثر عليها .

لختام هذا الحديث نضيف الى ما تقدم ان (حوليّات الاسلام) ، حتى في نموها المحدود في هذه الوقائع بأجزائها العشرة ، قد رَدَّت الاعتبار والفضل الى الدراسات العربية والاسلامية في ايطاليا ، بعد ان فَقَدَت قيمتَها الصحيحة في حقل الحوليات التاريخية منذ (الحوليات الاسلامية) العشوائية التي كان قد جمعها (ج . رامبولدي ــ ميلانو ١٨٢٢ ــ ٢٥) والتي لا يستطيع حتى النقدُ المتساهل ان يُضفي عليها ولو قيمةً ضئيلة من الاصالة .

وفي سنة ١٩٢٦ ، سنة ظهور الجزء الاخير من الحوليات ، كان قد صَحَّ عزم كائيتاني على مغادرة ايطاليا ، لاسباب مختلفة . وقد نَفَّذ عزمه ذاك ، ولكنْ بعد ان قرّر ان يَعْهَد بمؤلفاته وموادّه الدراسية الاخرى الى (مؤسسة كائيتاني) التي أُنشئت في الاكاديمية الايطالية (أكاديمية الفهود) وكان الغرض من ذلك رغبته في ان يهيىء للباحثين الآخرين الشهادات الناطقة بتكريس عشرين سنة من عمره لدراسة التاريخ العربي . وربما كان يأمل ــ املاً لم يتمّ ، مع الاسف ــ أن يقوم غيره باكمال عمله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـــع التسلسل التاريخي :

ونمضـــي نحو الهدف الذي رمينا اليه واعربنا عنـــه في ما تقدم ، من أن نستمر في دراستنـــا السريعة ، مُتَوَخّين قبل كل شيء تَتبُّـــع الاحداث التاريخية ، فنرى من المناسب أن نبـــدأ بإبراز الاعمال التي نجـــد فيها جميع قرون التاريخ العربي الثلاثة عشر ، او الاربعة عشر ، او قسما كبيرا منهـــا موجزة في رؤية اجمالية . ومن هذه نستدلّ علـــى المنشورات الثقافية الجديرة بالاعتبار ، والتي تقوم الجدّية العلميـــة ، وثقافة المؤلفين الواسعة ، ضمانةً كافية لصلاحها واهليتهـــا .

اولُ محاولـــة لجمْع تاريخ مثل هذا العدد الكبير من القرون ضمن حدود ضيّقة ، قامت بها السيدة لاورا فيتشيا فاليري . ففـــي الفصل الذي عقدته على (العـــرب) والمنشور في كتاب (حضارات الشرق) ، وضعت خطوطا لرسمٍ سريعٍ وكامل لتاريخ ذلك الشعـــب ، واستطاعت أن تُجرِّد التاريخ مما لا حاجة اليـــه في مثل هذه الابحاث التاريخية . وكان اهـــمَّ من ذلك كثيرا اهتمامُ مستعربتنا هذه في كتابهـــا (الاسلام ، من محمـــد الى القرن السادس عشر) بأن لا تستعرض تاريخ العـــرب فحسب ، بل توجز خصائص الاسلام التاريخية ، والدينية ، والثقافية ، وكذلك الادبية والفنية . انهـــا لدراسة واسعة للعالَم الاسلامـــي ، دون استثناء لعناصره الفارسية ، والبربرية ، والتركية . وهذه الدراســـة تجـــد ختامها المنطقيّ في بدايـــة القرن السادس عشر ، فتلتقي زمنيًّـــا بِعَثْمَنَة العالم العربي المتوسّطي . وهذا ما لم تستطـــع ان تصل اليه (حوليات الاســـلام) ، كما اوجزنا في ما تَقَـــدّم .

امـــا فرانشيسكو غبرييلي ، الذي ستتوالى في هذه الدراســـة الاجمالية وفي غيرهـــا الاشاراتُ الى جهوده الجبارة في حقـــل الدراسات الاستعرابية ، والاسلاميـــة ، والفارسية ، فقد صادفَ بكلّ جـــدارةٍ نجاحا كبيرا بكتابه (العـــرب) ، الذي يستحقّ التقدير الكبير لحســـن توزيعه للمـــواد ، ووضوح عَرْضه حتى للأحداث العربية التي لا يتـــاح الوضوح في عرضها الا لقلّـــةٍ من المتفوقين ، وكذلك لبعض اللمحـــات

الشخصية التي لا يصل اليها بسهولة غير العالِم المتخصص . ومزايا هذا الرسم الجانبيّ الكامل للتاريخ ، المرسوم في ضوء رؤية دؤوبة ممحّصة نقادة ، من اقدم العصور الى ايامنا هذه ، يؤكّدها أن هذا الكتاب سرعان ما تُرْجِمَ الى الانكليزية والفرنسية والالمانية . ولا يختلف عن هذا الكتاب ، من حيث التقسيم التاريخي ، كتابٌ آخر هو (العرب ، من العصر الجاهلي الى اليوم) ، لأُومبرتو ريتستانو . فبعد استعراض وافٍ لا بدّ منه للأحداث التاريخية العربية من الوثنية الى العصر الحديث ، نجد احدثَ الظروف والشؤون العربية معروضة عرضا وافيا ، ومنها ما لا يزال الى اليوم يفرض نفسه على اهتمام العالم الغربيّ ــ غير الواعي دائما ، مع الأسف ــ . واخيرا سنذكر في هذا العرض السريع للملامح الشاملة لأحداث الشعب العربي التاريخية ، ان لفظة (عرب) والفقرات الخاصة بعِلْم الأعْراق ، وبتاريخ اسم (الجزيرة العربية) في (دائرة معارف تريكّاني) قد حرَّرَها جورجيو ليفي ديلاّ فيدا ، وهي تحمل الخصائص المتميزة للمعلومات السريعة الحسنة التبويب ، والتي لا تعرف التعميمات السهلة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجزيرة العربية :

من السهل ان يُدرك المرءُ ان الجزيرة العربية ، قبل ان يُجَدِّد الاسلامُ مجتمعاتِها القائمة على البناء البدويّ ، والخاملة الى حد ما ، والتي تُعْوِزنا معرفتها لندرة المعلومات والوثائق ، وتصعب معرفة بعض مظاهرها الفريدة ، قد كُتِبَت فيها الابحاث والرسائل العلمية ذات الطابع التاريخي في اساسها . وهذا ما عُقِدَ عليه الفصل الاول من (تاريخ الدين الاسلامي) لميكيلانجيلو غويدي . واكثرُ من ذلك الفصلان الأوّلانِ من كتابه الذي نُشِر بعد وفاته بعنوان (تاريخ العرب وثقافتهم حتى وفاة محمد) الذي جاء تمهيدا لا بدّ منه لحديثٍ اشمل حول ثقافة العرب . ولكن هذا الحديث لم يُكْمَل بسبب وفاة المؤلف المبكرة . ومع ذلك لم يَخْلُ الكتاب المذكور من عَرْضٍ كافٍ للبيئة الاجتماعية التي تكوّنت فيها هذه الثقافة في اقدم الازمنة . وكان غويدي

يعي هذه الحاجة ، فرسم للجزيرة في وثنيتها لوحة امينة بقدر الإمكان ، استنادا الى المادة التاريخية الواسعة التي استطاع ان يَجْمَعَها خلال سنين عديدة ، ويُقيِّمها بحسّ تاريخي عجيب ، وبروح مجرّدة من كل شكل من اشكال النقد الاعتباطي الذي لا مبرّر له ، مع ان الكثير منها خرافي .

وهناك اعمال اخرى لباحثين قديرين اقتصرت تمامًا على الجزيرة العربية في جاهليتها . وان الواجب ليدفعنا الى ان نذكر في مقدمة هؤلاء الباحثين اغناطيوس غويدي ، الذي جَمَع تحت عنوان (الجزيرة العربية قبل الاسلام) اربع محاضرات القاها بالفرنسية عام ١٩٠٩ في جامعة القاهرة ، حيث دُعي لالقاء دروس في الأدب الجغرافي والتاريخي واللغوي عند العرب . واذا لم يكن هنا المجالُ لتذكير المختصّين بمزايا هذا المستشرق العظيم ، وفضلِهِ في مختلف حقول الساميّات المتعددة ، فاننا نرى من فضول القول ان نؤكّد ما لهذه المحاضرات الاربع من قيمة رفيعة ، يستطيع ان يَلْمَسَها حتى الجاحدون ، حول مهد الحضارة العربية في شمال شبه الجزيرة وجنوبها . وهي تؤكد ما لاغناطيوس غويدي من مقدرة فريدة على تحويل المادة الجافّة المتعلقة بظروف الثقافة العامة ، الى عمل علمي .

غير ان الباحث الذي انقطع في الماضي القريب ، وبشكل يكاد يكون مضرب المثل ، الى صرامة البحث العلمي في دراسة الجزيرة العربية قبل الاسلام ، كان كارلو الفونسو نَلّلينو ، الذي جُمِعَت آثارُه العلميّة في هذا الحقل الخاص ، بعد نَشْرِها في مجلات عديدة ــ ولم يُنْشَرْ بعضها من قبل ــ في المجلد الثالث من مجموعة اعماله العلمية ؛ وقد نُشِرَت هذه المجموعة بعد وفاته في ستة مجلدات بعنوان (مجموعة كتابات منشورة وغير منشورة) . والباحثون في علوم العربية والاسلاميات ، المختصون بدراسة مهد الاسلام من المستشرقين وغيرهم ، يعيد الى اذهانهم اسمُ نَلّلينو كثيرا من الكتابات الفنية حول العقيدة الاسلامية ، ومن الاشارات القاطعة حول وجود الادب في الازمنة القديمة . ومن

ذلك بحثه بالفرنسية تحت عنوان (هـل كانت لمصر صلات مباشرة بجنوب شبه الجزيرة العربية قبـل عصر بطليموس ؟) وأكثر من ذلـك أبحاثه الاخرى الخاصة (بالعربيـة السعيدة) التي انفصلت عن شبه الجزيرة بتركيبها الاجتماعي والدستوري ، ومنها (اليمـن في العصر الجاهلي) ، ويكمله أيضا (اليمن في العهـد الاسلامي) ؛ وهما بحثان متميّزان وكبيرا القيمة ، كَتَبَهُما حول كلمة (اليمن) لدائرة معارف تريكّاني . وفي مقالات أخرى عديدة مدوّنة في الجـزء المشار اليه من (مجموعة كتابات) ــ ولم نذكرها هنا ، لانهـا سَبَقَت الاعوام الخمسين التـي تتناولها هذه الدراسة ــ نجـد اشاراتٍ متلاحقة الى (الجاهليـة) . ونحن نجـد للجاهلية تاريخا كاملا في (الجزيرة العربية قبل الاسـلام) .

ولكن هـذا الكتاب ، بحكم الاهداف التعليمية التـي وُضِع من اجلها ، يختلف عن سابقاته بعرضه السهل ، الذي تَخَلَّص عَمْـدًا من التقنية الزائدة ، ولكنـه دون ريب بعيد جـدا عن الضعف أو عـدم الاتقان ؛ فلقد كان هذا المعلّـم الشهير ابعدَ ما يكون عن الضعـف وعـدم الاتقـان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي وثنيـة الجزيرة العربية نجـد كتاب (الجزيرة العربية قبـل الاسلام : التراث العربي) ، وقد وضعه ليفي ديلا ثيدا باللغـة الانكليزية . وبعد أن يرسم المؤلف لوحة رائعة لمهـد الاسلام ، يمضي في الحديـث على ذلك التراث العربـي الذي عرفه الباحث كما لم يعرفه غير القليلين ، لِمَـا شَغَلَ بـه نفسه طويلا من التقييم الواعي ، والدراسة الناضجـة ، والفحص الناقد للمصادر . هـذه الاعمال جاءت نتيجةً للبحث العلمـي الجادّ الصارم في تاريخ بَلَـدٍ كانت أرضُه الجنوبية ــ اليمن الاسطورية ــ قد أوحت ببعض الاعمال والابحـاث في العصر الحديث . ونقتصر هنـا على ذكر (اليمن في التاريـخ والاسطورة) لكارلو انسالدي ، وهو كتـاب يُعيـدُ تركيب بعض الصور والوقائع التاريخية التي يُعْوِزُها العـرض الصحيح أحيانا . وكما هـو معروف ، يمكن أن نعتبر الشعر العربـي في العهد الوثني ، بكثير من الثقـة ، تعبيرا أدبيا عن العرب في ذلك العهد ،

يُمثّل في الوقت نفسه واحدا من أكثر المصادر مباشرة وأصالة لمعرفة المجتمع البدوي القديم . ولذلك كثيرا ما اشار مستعربنا الاوثق والاكثر معرفة بالشعر العربي القديم ، فرانشيسكو غبرييلي ، الى الوثنية العربية ، لضرورة وضع اطار لأُقدّم فحول البُرْناس العربي ضمن ذلك النطاق التاريخي ، والتاريخي الثقافي .وكان اطول من ذلك وادعى الى عمق التفكير انشغاله المتمهّل بالتراث التاريخي والاسطوري في ذلك العهد . واكثرُ ما يكون غَرَضُ ذلك البحاثة تحديدا ، كان في وضع البداوة العربية في صلة مباشرة مع اللحظة الشعرية ، كما فعل في ابحاثه التالية — : (المجتمع البدوي والشعر الجاهلي — القبلية والدولة في الشعر العربي القديم — الادب البدوي الجاهلي) وكلّها موضوعاتٌ عادَ الى بحثها من جديد في دراسته للعهد الاسلامي في كتابه الفرنسي (القبليّة العربية والدولة الاسلامية في العصر الاموي) ، وفيه أجاد غبرييلي اختيار مقاطع شعرية ، وترجَمَها الى الايطالية بمهارته المعروفة واناقة صياغته . وكان ذلك مما سكتت عنه المصادر التاريخية ، او اشارت اليه اشاراتٍ غيرَ واضحة دائما .

• • • •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العهد الاسلامي :

ويجيء الآن الوقت الذي نُعْبُر فيه من شبه الجزيرة العربية الوثنية الى ابنها الاعظم ، نبيّ الاسلام ، الذي كانت سيرتُه موضوعا لأروعِ الابحاثِ التي قام بها كائيتاني ، ثم أصبحت بعد ذلك ، في عام ١٩١٧ ، مادة لمناقشاتٍ وأبحاث علمية واسعة ، راحت تتزايد وتنمو مع الايام ، على اثر اطروحةٍ علمية للدكتوراة حَوْلَ اقدم الاحاديث المتعلقة بحياة محمد . وبعد بضع سنوات قامت السيدة فرجينيا ثاكّا دى بوسيس — التي اثارت ذلك النقاش غير عامدة ، ولم يُلْبث اسمُها أن برز بين كبار المستعربين — بنشر كتابها (سفارات محمد الى الملوك ، في رواية ابن اسحٰق والواقدي) ؛ وفيه درست ، على أساس الاخبار التي أوردها المؤرخان المذكوران ، علاقات الاسلام في بداياته بالنجاشي ، وكسرى الثاني ، وهرقل ، والمقوقس .

وبين أوائل الباحثين الذين عُنوا بوجوب فصل الخرافة عن التاريخ ، في تلك الغابة الكثيفة من الاخبار التي وصلت الينا من الروايات التاريخية العربية ، نجد كارلو نَلّلينو . فَبَعْدَ ان كَتَب بحثا رائعا حول سيرة النبي ، كَتَبَ كذلك بحثا حول اسم (محمد) لدائرة معارف تريكّاني ، قَسَّمه حسب التقسيمات الكلاسيكية : الحداثة ، العهد المكّي ، العهد المدني ؛ وبعض الاعتبارات القصيرة العامة التي كان البحاثة قد اطال الكتابة فيها في بحث له بعنوان (في الذكرى المئوية الثالثة عشرة لوفاة محمد) . ومن المفروض ان ميكيلانجيلو غويدي ، في الفترة نفسها ، كان معنيًّا بترتيب مجموعته ، وفي دراسة المراجع التي استمدّ منها فصل (النبيّ محمد) وتنسيقها . وكان ذلك الفصل هو الثالث والاخير من كتابه المذكور آنفا (تاريخ العرب وثقافتهم) . في هذه الصفحات يبدو هنا وهناك اقتناع غويدي المسبق بأن ثمة تاثيرا اساسيا للروح العربية في الحضارة الاسلامية . وكان الكاتب يودّ ان يثبتها فيما بعد بأدلة يفترض انها ثابتة واصيلة ، لو قُدِّر له ان يبلغ بكتابه الى منتهاه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما الابحاث التي ضمّنها غبرييلي كتابه (مظاهر من الحضارة العربية والاسلامية) ، فقد كان الغرض الاساسي منها التعميم ، والقليل منها كان بقصد التاريخ — كما يوضح ذلك عنوان الكتاب — كانت ثلاثة من هذه الابحاث تدور حول نبي الاسلام ، فَتُقَدِّمُه اولاً الى القراء منصرفا الى حوافز تجربته الدينية ، ثم مُواطنًا اولَ في مجتمع المدينة . حتى في هذه الخطوط القصيرة يبدو البحاثةُ رسّاما ومفكرا بارعا في رسم الملامح واللمسات التاريخية السريعة ، والجديرة بأن تقول شيئا جديدا حتى للمتخصص ، ولكنها بشكل خاص تُثَقِّف الجاهل دون أن تفرض عليه عناء الثقافة المتخصصة جدا . وبعد اعادة صياغة الابحاث المشار اليها حول شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وحول محمد ، في مقال بالالمانية عنوانه :

Mohammad und der Islam als weltgeschichtliche erscheinungen

ظهر ضمن سلسلة (تاريخ العالم) ، كَتَبَ غبريلي كتابا بعنوان (محمد والفتوح العربية الكبيرة) هو ، في الواقع ، كتابٌ قليل عليه ان يُنْعَتَ بأن قراءته ممتعة . وهذا العمل الجديد يرمي ، كغيره ، الى تعريف عامة المثقفين بمظاهر خاصة من حضارةٍ قد لا يعرفونها الا على وجه التقريب . ونجد فيه ثلاثة فصول متكاملة حول نبي الاسلام ، تُقَدِّمُه اولاً في ضوء تقديس اتباعه له ، ثم يلي ذلك حالا تقديمُه في ضوء حكم المسيحية السلبي في دفاعها عن عقيدتها خلال القرون الوسطى ، ثم في ضوء التقييم المستنير الجديد ، واخيرا في الرؤية الرومنتيّة (كصاحب شريعة ، وملهِمٍ عظيم) و (كموقظ لقوى شعبه الهاجعة) . وكان المستعربون والباحثون في الاسلام قد قاموا ، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، بالعمل على قواعدَ أوثقَ واثبت في اعطاء حكم تاريخي اكثر توثيقا ومصادر حول باعث العروبة ورسالته النبوية . وهذه الصحائف التي كَتَبَهَا غبريلي والتي جاءت بَعْدَها ، وَرَدَتْ فيها ، ببراعة المعلم القدير ، أحداثُ حياةِ محمد في مكّة والمدينة ، وبالتالي اوضحت بجلاء خُطى الاسلام الماضية قُدُمًا الى اقصى مدى لانتشاره في الشرق والغرب . واذا كانت هذه الفصول تلتقي في الاصل التاريخي العامّ مع أعمالٍ علمية مشابهة لها لعلماء آخرين ، فانها تختلف عنها اختلافا تاما من حيث المقارنات الجديدة ، ومن حيث التقييمات الدقيقة التي غالبا ما تتميز بالاصالة المطلقة .

ويقتضينا واجب الامانة العلمية ان نختم هذا الحديث بأن نُذَكِّر ان في الكتابات المتعلّقة بسيرة محمد ، والتي تتضمّنها كُتُب التاريخ العربي العامّ المشار اليها ، وكذلك في المؤلفات الرامية الى التعريف بالاسلام — ونذكر منها ابحاث مارتينو ماريو مورينو ، ولاورا فيتشا فاليرى — اقتَصَرَ المؤلفون على البناء المألوف ، ولم يبتعدوا عنه الا ليُدخِلوا فيه افكارا واستنتاجات ذات طابع شخصي .

• • •

بعد الانتصارات العسكرية المدويّة الأولى للاسلام ، والتي نَجِدُ منها في كتاب فرانشيسكو غبرييلي المذكور صُوَرًا ملحميّة من المعارك الآسيوية والافريقية ، اندلعت في المجتمع العربي والاسلامي، الهشّ حينئذ ، نارُ الحرب الاهلية بمبايعة عليّ بالخلافة . فلقد اعترض عليها معاوية اعتراضا شديدا عنيدا ، الى حدّ المناداة بالحرب . وكان أول من درس الموادّ التاريخية التي يتضمّنها كتاب (انساب الاشراف) للبلاذري ، بِقَصْد المضيّ نحو اعادة بناء فكرة صحيحة عن تلك المعارك التي كان سببها الوصول الى السلطة ، هو جورجيو ليفي ديلا ڤيدا ، عام ١٩١٥ . وكان قد أتيح له أن يصل الى معرفة ذلك النصّ وتقدير أهميته ، في أثناء معاونته في (حوليات الاسلام) . ونتج عن ذلك أن أصبحت هذه لديه رسالة يؤديها في فترة ما . وبعد قرابة عشرين سنة أخذ ذلك العالِمُ بالساميّات يهتمّ بالعودة الى دراسة ذلك الكتاب بمعاونة المرحومة أولغا بينتو ــ تلميذته ــ في القسم الذي خَصَّصه البلاذري للخليفة معاوية . ولكنه في الغالب كان يعتبرها مجموعة غير منظّمة أكثر منها أخبارا تاريخية ، او مادة تتعلّق بالانساب ، شعرية أو جامعة . وبعد هذا الذي قدّمه جورجيو ليڤي ديلا ڤيدا ، وليوني كائيتاني ، وفرانشيسكو غبرييلي، وميكيلانجيلو غويدي ، ظَهَرَ كتاب آخر في دراسة الاحداث التي رافقت هذا المنعطف التاريخي الحاسم في بداية عهده . الكتاب للسيدة لاورا ڤيتشا ڤاليري ، وقد عادت فيه الى فحص هذه القضية الصعبة على أساس مواد جديدة تاريخية ، وأخرى تتعلق بالانشقاقات الدينية ، مستقاة من مصادر (اباضية) استطاعت بواسطتها القضاء على بعض التناقضات ، وأن تسدّ بعض الفجوات المتعلقة بالاحداث . ودعمت السيدة ڤاليري ذلك بكتابها (ترجمة خطوات تتعلق بالنزاع بين معاوية وعليّ ، وانشقاق الخوارج) ، لتجعل منه فهرسا لا بدّ منه لأبحاثها الخاصة التي كتبتها بروح نقادة ، وتوثيق جاهد دؤوب . وقد استقت مادة كتابها هذا على الاغلب من (كتاب الجواهر) للبرّادي ؛ وهذا المؤلف يمكن اعتباره واحدا من أوثق مؤرخي الشيعة الاباضية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في افريقيا الشمالية . وبهذين الكتابين القيّمين اكتسبت مُستعربتنا كفاءتها العالية في هذا الحقل ، بحيث ان العديد من (الكلمات) التي ورد شرحها في الطبعة الثانية من (دائرة معارف الاسلام) والمتعلقة بالفترة المشار اليها ، تحمل توقيعها ، واهمّها اسم (عليّ ابن ابي طالب) .

أمّا كتاب البلاذري التاريخي الكبير ، الذي يمكن اعتباره اقدم المراجع التاريخية الباقية لدينا حول القرنين الأوّلين من ظهور الاسلام ؛ فقد شارك فرانشيسكو غبرييلي مشاركة فعالة في الانتشار الواسع الذي لقيه ـ وكان قد عُهِدَ الى غبرييلي بتحقيق جزء من هذا الكتاب ، ولكنّ من المؤسف انه لم يُنشر بعد ـ ومشاركته هذه هي في كتابه (خلافة هشام) الذي اعاد فيه بناء فترة المُلْك الطويل الامد للابن الرابع لعبد الملك على اساس المصدر المذكور وغيره من المواد التاريخية الموثوق بها ، وذات الصلة بالموضوع . على اساس من هذه الدراسة الاولى بدأ غبرييلي سلسلة مرموقة من المشاركات في الدراسات التاريخية للعهد الأموي ، لم يلبث ان اغناها فيما بعد ـ الى جانب الفصول التي تَضَمَّنَتْها مؤلفاته العامة المتقدّم ذكرها حول تاريخ العرب ـ بأبحاث موثّقة جدّاً حول (الوليد بن يزيد ، الخليفة والشاعر ـ وثورة بني المهلب في العراق ، والبلاذري الجديد ـ والبطل الاموي مسلمة ابن عبد الملك) . وفي هذه الكتابات ـ كما في ما سبقها حول الفترة العباسية ، ممّا سبقت الاشارة اليه ـ تُصبح الاعمال التاريخية ، والاعمال الضئيلة الاهمية ، معالم واضحة بما يضفيه عليها من تفكيره واستطراداته ذات الطابع الاجتماعي ، والبيئي ، والثقافي ، والتي تُمثّل ، هنا وفي اي مكان آخر ، الجزء الادعى الى التقدير من انتاج غبرييلي العلمي والتعريفي .

وفي اطار العصر الاموي يدخل ايضا البحث الذي عنوانه (العرب في الهند) للمؤلف نفسه ، ومن خلال مصاحبة البلاذري ، ولا سيّما في كتابه (فتوح البلدان) المشتمل على القليل من المعلومات التي وصلت الينا في كتب التراجم والتاريخ العربية حول فتح السند ، وضع

غبرييلي كتابا حول محمـــد بن القاسم الثقفي ، الذي ضُمَّ الى الامبراطورية الأموية تلك الولايـــة الجديدة النائية ــ السّند ــ « حاملا معه الـــى الهنـــد ديانة جديدة ، وثقافة جديدة » . في هذه المـــرة ايضا يضيف غبرييلي في الفهرس ترجمـة لبعض الصفحات المأخوذة عن (الشاهنامة) ــ وهي رواية فارسية ، مـــن القرنين السابع والثامن ، منظومة شعرا عن أصل عربي مفقود من تاريخ الفتح ــ . ولهـــذه الرواية الشعرية ، القليلة الاهمية التاريخية بالنسبة الـــى الاحداث المشار اليها ، نجـــد تقييما مفيدا في الجـــزء الاول من البحث . ورغم خشيتنا من التكرار ، لا بـــدّ لنا هنا أيضا من أن نثبت بالتحديد ــ مثلما قَدَّمنـــا في العصر الجاهلي ــ أن هنـــاك مشاركات اخرى لمعرفة البيئات التاريخيـــة والاجتماعية في العصر الاموي ، نجدهـــا في جميع كتابات مستعربنا هذا ؛ كَتَبَها حول الصوفيين ، والشعراء ، والناقدين في ذلـــك العصر ، من الحسن البصريّ الى ، جميل بـــن مُعْمَر ، الى ابن المقفـــع .

واما عبد العزيز بن مروان ، الذي وُلِيَ على مصر عشرين سنة (٦٨٥ ــ ٧٠٤) للأمويين في دمشـــق ، حيث كان الخليفة اخوه عبد الملك ابـــن مروان ، فقد كتب حوله أومبرتو ريتستانو بحثا ، جـــاء استكمالا لدراستين كان قد كتبهما في شبابـــه حول الشاعر (ابـــو محجن نُصَيب ابـــن رباح) ، الشاعر والمولى المخلص لذلك الوالي (عبد العزيز بـــن مروان) ، وكان يُكْثِر في شعره المـــدح والشكوى ، وقد تضمَّنت كتـــب الادب مقاطع من قصائـــده .

وعلـــى غرار لاورا ڤيتشا ڤاليري ، وبارشادها ، دَرَسَ مستعربون آخرون من المعهـــد الشرقي في نابولي ، مظاهر ووجوها خاصة مـــن الشيعة الاباضية ، وما كان لهـــا مع الشيعة الخارجية ، التي تحدَّرَت منها الاباضية ، من خلافات لا يستهان بهـــا في التاريخ العربـــي . أما العلاقات بين عبد الملك بن مروان وزعماء تلك الفئـــة المنشقّة ، فنجدها موضَّحَة في مقـــالٍ لروبرتو رُوبيناتشي عنوانه (الخليفة عبد الملك بن مروان والاباضيون) . ويشتمل المقـــال على ترجمةٍ لرسالة من عبد الله

ابـــن إباض الى الملـــك الاموي ، نقلا عن المراسلات التي جرت بـــين الرجلين ، والتي لم يُحْفَظ لنـــا التاريخ سوى بعضهـــا .

• • •

العصـــر العباســـي :

وكمـــا هو معروف ، لم يجـــد العصر العباسي بُعْدُ بين المستعربين مؤرخا ذا استعداد لأجـــل العكوف على اعادة بنـــاء القرون الخمسة من تاريخه . ولكنّ اهـــمّ اثر دُرِسَ فيه شيء من ذلك العهـــد الطويل ، لا يزال الى اليـــوم كتاب (الوزارات العباسية ، من سنة ٧٤٩ الـــى ٩٣٦) الذي وضعـــه الفرنسي د . سورديل . أمـــا من المستعربين الايطاليين ، فقد وضع س . موسكاتي ، *العالم بالساميّـــات ، سلسلة* ابحاث حول تلك الخلافة وتطوراتها . وهـــذا الباحث اهتـــم اهتماما جادّاً بنشاط علميّ يباعِدُ بينه وبـــين الاستعراب ، رغم انـــه عمل في حقوله فترة من الزمن بموهبة وغُيْرَة . وقد سَلَّط ضوءا جديدا علـــى بعض اللحظات الاساسية من الأُسرة العباسية التي يَصْعُب بناؤهـــا في الغالب ، بسبب الفجوات والاخطاء في الاخبـــار التي يُمكن العثور عليهـــا في المصادر . وأمـــا نهاية الامويين الفاجعة فقد سَجَّل موسكاتي وقائعها في كتابه (مذبحة الامويين في التاريخ وفي المقتطفات الشعرية) . وأمـــا بدايـــة العباسيين الذين وصلوا الى السلطة بمساعدةٍ ثمينـــة مـــن (عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الازدي) ، فقد خَصَّص لهـــا ثلاثة ابحاث جَمَعَها تحت العنوانين التاليين : (دراسات حول أبي مسلم) و (ثورة عبد الجبار على الخليفة المنصور) . وكـــان المنصور قد غاظه كثيرا مـــا كان لمبعوثَيْه من نفوذ ، فقرَّر وضع حـــدّ عنيف لحياتهما . ولكـــن الاحداث اللاحقة لتلك الاسرة العباسية كانت ايضـــا موضع اهتمام ذلك الباحث ، فقد أعـــاد بناءها على أساس دراسة واعيـــة للمصادر ، ونَشَرَها ، بمظاهرها السياسية والعسكرية ، في ثلاثة ابحـــاث : هي : (دراسات تاريخية حول خلافة المهـــدي ــ ودراسات تاريخية جديـــدة حول خلافة المهدي ــ وخلافة الهادي) وهي كلّها مراجع لا غنى عنهـــا

للباحث الذي سيحاول كتابة تاريخ الخلافة العباسية . فاذا ما وُجِد هذا الباحث ، فسيجد موادّ نفيسة تساعده على القاء الضوء على العلوية والخارجية خلال الفترة الاولى من العصر العباسي ، في بحث عنوانه (شطحات فكرية حول ثورتين عَلَوِيَّتين) ، للسيدة لاورا ڤيتشيا ڤاليري ، و (المراسلات بين المنصور ومحمد النفس الزكية) للكاتب ر . تراڤني ، وفي (تبادل الرسائل بين هرون الرشيد وحمزة الخارجي ، حسب كتاب « تاريخي سيستان ») للمستشرق المتخصص بالفارسية ج . سكارتشيّا . وهذه دراسات استُخدِمَت فيها مصادر لم يَسْبُق فَحصُها .

بعد بضع عشرات من السنين من بداية الخلافة العباسية الدموية ، كان يمكن اعتبار هذه الخلافة قد توطّدت اركانها . وكان من نصيب هُرون الرشيد فضلُ المضيّ على آثار الخلفاء الاربعة الأوّلين حتى تبلغ الخلافة أقصى زهوتها . وقد تضافرت الاساطير التي نُسِجَت حول شخصية الرشيد الملكية ، وحول امبراطوريته الزاهرة ، وبلاطه ذى الفخامة المذهلة ، مثلما تضافرت كذلك الانجازات غير العادية التي تمّت في عهده ، على تمجيده وتعظيمه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونحن فعلا نجد في كتاب (هرون الرشيد ، تاريخ واسطورة) ، الى جانب الاحداث الرئيسية لذلك الخليفة ، التمجيد الذي أُسْبِغ على شخصيته بعد وفاته . وأمّا وَلداه ، فقد اهتمّ الباحث نفسه بايضاح النزاع الدمويّ الذي ثار بينهما لاجل ارتقاء العرش ، وذلك في ثلاثة بحوث كان قد كتبها في شبابه ، وهي : (وثائق تتعلّق بخلافة الامين ، في الطبري ــ وخلافة هُرون الرشيد ، والحرب بين الامين والمأمون ــ والمأمون والعلويون) . هذه البحوث التاريخية الثلاثة تتكامل مع العديد من أبحاث غبريلي الاخرى ، الادبية والدينية ، التي خَصَّصها للعصر العباسي . وهذا حقل كان قد بداه في بواكير دراساته العلمية ببحث عنوانه (حياة المتنبي) . ومن المؤسف أن دراسات الباحثين الايطاليين تتوقّف عند هذه الفترة من العصر العباسي ؛ وهي،في الواقع ، ازهى فتراته واقواها . واما الفترة التالية فليس في وسعنا ان نذكر حولها

اكثر من بحث واحد حول (الفتح بن خاقان ، الرجل المفضل لدى المتوكّل) ، وفيه توضح السيدة اولغا بينتو صورة ذلك الرجل ــ الذي يلقّبه بعض المؤرخين خطأً بلقب الوزير ــ في شخصيته المزدوجة : شاعرا ، ورجل سياسة . وكان الفتح رفيق الطفولة للمتوكّل ، ثم اصبح مستشاره ، واحيانا مرشده وموجّهه . ونذكر ههنا كتابا آخر للسيدة أولغا بينتو عنوانه (المكتبات العربية في العصر العباسي) .

غير أن العصر العباسي ، كما يعلم المؤرخون والمستعربون ، يعيد الى الذهن العلاقات بين أوروبا المسيحية والعالم الاسلامي : فالصلات بين هٰرون الرشيد وشارلمان ، نجد حولها اشارات كافية الى حدّ ما لدى بعض المهتمين بدراسة العصور الوسطى ، الذين درسوا ــ لدوافع مختلفة ، وبنتائج مختلفة كذلك ــ النشاطات الدبلوماسية للملك الفرنجي . ومن بين آخر ما نعرف من تلك البحوث في ذلك الموضوع الشائق ، دراسة كتبها ج . موسكا ، وعنوانها (شارلمان وهٰرون الرشيد) ، وفيها القى ضوءا على تلك الفترة التاريخية ، معتمدا على المصادر اللاتينية التي استمدّ منها اعتبارات اصيلة حول الاسباب الدينية والسياسية التي دفعت الغرب الى الاتصال بالعالم الاسلامي . وبعد نحو قرن من الزمن من تلك العلاقات ، قامت روابط اخرى بين حكومة بغداد واحدى الدوقيّات الايطالية ، أو بالاحرى بين المكتفي وبيرتا التوسكانيّة ــ كما يُسْهُل ان نعرف من رسالتين متبادلتين بالعربية : رسالة كتبتها تلك المرأة الطموح بيرتا ، وردّ الخليفة عليها ؛ وقد نشرهما لاول مرة المؤرخ محمد حميد الله ــ واوّل من اثارت تلك الاتصالات الرسائلية اهتمامه الشديد كان ليفي ديلا ڤيدا ــ ومعه في وقت واحد تقريبا س . ج . مور كذلك ــ . لقد قام ديلا ڤيدا بترجمة الرسالتين الى الايطالية ، وقدّم لهما باخبار وافية حول المصادر العربية التي استعان بها ، وعقب عليهما بافكار شخصية ثاقبة ، حول الاسباب الدبلوماسية والسياسية التي ربما كانت الاساس لتلك الاتصالات .

• • •

المغـــرب واوروبـــا :

بـــدأ فتح المغرب ، كما هو معلوم ، منذ عهد معاوية ، ولكنه ثبت وتوطد في عهد بنـــي مروان ، وازداد ثباتا ومتانة في زمـــن العباسيين . وتلت ذلك سيادة الاســـلام التدريجية في وسط البحر المتوسط وشماله ، تمهيدا لغزو الاندلس ، ثم ، بعد قرن أو أكثر قليلا ، لغزو صقلية ايضـــا . ولم يتـــم ادخال القوات العربية ــ البربرية الفتية الى المغـــرب المسيحي القوطي في اسبانيا ، والبيزنطي في صقلية ، دون اصطدامات في الواقـــع ، كانت مع ذلك تمهيـــدا للقاءات غنيّة غير قليلة ، نجـــد وقائعها التاريخية والاجتماعية والثقافية في كتابين أصبحا الآن من الاعمال الكلاسيكيـــة ؛ وهما : (تاريخ مسلمي اسبانيا) لدوزي ــ وقد أعـــاد ليڤي بروفنسال صياغته بشكل أساسي ــ وكذلك (تاريخ المسلمين في صِقِلّيَـــة) للمستعرب الايطالي ميكيلي أمارى . هذه الاحداث وَقَـــعَ معظمُها في القرون الوسطى الاوروبية ، ولذلك أثارت اهتمام المؤرخين الغربيين ، تحفزهم اليهـــا تقييمات أثارتها أطروحة شهيرة وجديرة بالمناقشة ، كتبهـــا هـ . بيرين ، بعنوان (محمـــد وشارلمان) . وفي هذه الاحداث كلّهـــا كانت مشاركة الباحثين الايطاليين بارزة . ونكتفي بأن نشير منهـــا الى البحوث التي كتبهـــا المستعربون ، لاعتقادنا بعدم المقـــدرة على اعطاء دراسة وافية في هذا الحقـــل .

وكمـــا فعل العرب من قبل في الاراضي الشرقية في آسيا ، كذلك فعلوا في البحـــر المتوسط ؛ فقد وجدوا انفسهم وجهًا لوجه مع البيزنطيين . وفي هذا الموضوع كان (العـــرب والبيزنطيون في البحر المتوسط الاوسط) عنوان البحث القيّـــم الذي يوضح فيه فرانشيسكو غبرييلي اهـــم الوقائع . وهنالك أخبار تاريخية مهمّـــة حول غارات المسلمين علـــى صِقِلّيَة وكالابريا ، وحول الاستيلاء على كاستروجوفانّي عـــام ٨٥٩ ، وعلى العموم ، حول العلاقات العربيـــة البيزنطية في تلك الاراضي فـــي القرن التاسع . هذه الاخبار نجدهـــا في (حياة القديس ايليا الشاب) ؛ وهـــو كتاب يوناني ، تَرْجَمَه وعَلّق عليه احـــد المهتمـــين بالدراسات

البيزنطية ، واسمه ج . روسي طايبّي . وامـا الهجوم على سيراكوزا والاستيلاء عليها ، عـام ٨٧٨ ، فهنالك وثيقة نفيسة حولهما هـي رسالة الراهب تيودوسيو ، التي نشرها لنـا عالِمٌ بالدراسات اليونانية اسمه ب . لافانيينـي .

وامـا الابحاث المتعلقة باسبانيا المسلمة فليست كثيرة ، بـل هي في الواقع قليلة جـدا . وهذا ايضا حقل دراسيّ طَرَقَه فرانشيسكو غبرييلي في كتابه (رسالة ابـن عبدون النقدية حول حكومة اشبيليا) ؛ وهـو يحتوي على ترجمة ، مـع حواشٍ وملاحظات ، لنصٍّ كبيرِ الاهمية حول الحياة المدنيـة والاقتصادية والاجتماعية في اشبيلية في أوائل القرن الثاني عشر . ثـم تلي ذلك حالا كتابات اخرى لـه ، بعضُها محاضرات ذات مستوى اخباري رفيع ، من مثل (الازدهـار السياسي والاجتماعي في اسبانيا المسلمـة ـ والزراعة العربية في اسبانيا وصِقِلّيَة ـ وعرب صِقِلّيَة وعرب اسبانيا) ، وكذلـك الفصول التي سبق ذكرها بعنوان (مظاهر الحضارة العربية الاسلاميـة) التي نجـد فيها تفاصيل لاكثر المظاهر التاريخية والفنيـة والثقافية الاسلامية ايجابية في اسبانيـا وصقلية . والى تاريخٍ اكثرُ حداثةً يرجع بحث للباحث نفسه بعنـوان (العرب في اسبانيا وايطاليا) ، اهتـمَّ فيه بشكل خاص بدراسـة التنظيمات العسكرية في العهـد الذي كانت فيه البلاد الاندلسية والصقلية جزءا من العالم الاسلامي . وهنـا ايضا ، كما في المؤلفات والابحـاث السابقة ، يتحرّك المؤلـف من فحصٍ زمني للأوضاع في شبه الجزيـرة الايبيرية والجزيرة الايطالية . والاحداث التي ادّت الى ضعف الخلافـة الاموية في اسبانيا ثـم انهيارها في القرن الحادي عشر ، وادّت كذلك الى انجازات مجاهد العامري ـ وهو واحـد من ابرع رؤساء الطوائف ـ نجدها كذلك مصوَّرة في احدى الدراسات الموثّقـة احسن توثيق ، كَتَبَتْها بالعربية المستعربة السيدة كليليـا سارنيللي ـ وسنعود الى ذكـر هذه السيدة فيما بعـد ـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويظهر ان كثيرا من المستعربين والمؤرخين الايطاليين الذين تخصصوا في دراسة مواقف معينة من العصور الاسلامية الوسطى في صقلية ، وفي ايطاليا الوسطى والجنوبية ، شاقهم اسم ميكيلي اماري وبحثه المتفوق في (تاريخ مسلمي صقلية) . وهو من اهم كتب التاريخ الايطالية في القرن التاسع عشر ، وقد استحق بجدارة أن يعاد طبعه مرة ثانية ، بعناية فائقة من كارلو الفونسو نَلّلينو ، مع اضافة بعض النصوص المختارة اليه . واما فرانشيسكو غبرييلي فانه ، بعد البحث الاول الذي كان قد كَتَبَه سنة ١٩٣٨ بعنوان (التراث الروماني في ايطاليا الجنوبية والغزوات الاسلامية) ، عاد في فترات متقطعة الى (صِقِلّيَة العربية) ــ وهذا هو فعلا عنوان احد مقالاته الصحفية القصيرة ، من بين كتاباته المتقدّم ذكرها ، حول اسبانيا المسلمة ، وكلّها ممتع ، يتميّز بعمق التفكير ووضوح العرض ــ . واما في ما يتعلّق باحتلال الاغالبة لصقلية ، وما نتج عنه من انعكاسات على الصعيد الثقافي والفني ، فنجد دراسة ممتعة في كتاب (المسلمون في صقلية) الذي ألّفه باللغة العربية المرحوم مارتينو ماريو مورينو ، وجمع فيه محاضرات كان قد القاها في الجامعة اللبنانية في بيروت .

ونجد أومبرتو ريتستانو معنيًّا بالحقل نفسه منذ نحو عقد ونصف العقد ، تَحْفِزُه الى ذلك على الأخص رغبةٌ في الحفاظ ، في صِقِلّيَة خاصةً ، على نوع من الدراسة كان قد أعطاه الحياةَ والقيمةَ العلميةَ المؤرخُ الصقلّيّ ميكيلي اماري ، الذي سبق ذِكْره مرارا ، اكثرَ مما تَحْفِزُه الثقة في مقدرته على المساهمة في تحسين آثار اماري الرائعة . ذلك لان النصوص غير القليلة التي خرجت الى النور بعد ذلك ، لم تُزوِّد المستعربين بموادَّ تَسْمَحُ باجراء تعديلات اساسية على تلك التي كان قد جمعها اماري في (المكتبة العربية الصقلية) . ومن دراسة النصوص التي لم يَطّلع عليها اماري ، ومعظمُها مختارات ، والتي لم تختلف عن تلك التي نُشِرت في (الذكرى المئوية لوفاة ميكيلي اماري) ، استطاع ريتستانو أن يلفت الى نفسه الانتباه ببحث له

عنوانه (مصادر عربيـــة جديدة لتاريخ المسلمين في صقلية) . واهـــمّ ما استوقفه منها تلك المصادر الفاطمية ، وعلى الاخص (سيرة جوذر) لابي علي منصور العُزيزي ؛ وهي وثيقـــة نفيسة ، تلقي الضوء خاصة على وجوه غير معروفة من نشاطات بعض أمـــراء الكلبيين في صقلية ، وصلات جزيرتنا مع الضفة الافريقية المقابلة ، في نحـــو منتصف القرن العاشر . وقد خُتِمَ بحثُه بترجمةٍ بضع صفحات مـــن (السيرة) المذكورة . ومن بعد ذلك ظهرت لهـــا ترجمة فرنسية كاملة ،قام بها م . كانار . وبعد أن كشف ريتستانو هذه المصادر الجديدة ، تـــلا ذلك بنشر بعض تلك النصوص ، وفيها أخبـــار تاريخية لا وجود لهـــا في اي مصدر آخر . ومن هذه نذكر ههنـــا (كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار) للحميري . وهـــو مؤلف جغرافي لم ينشر الا بعضـــه حتى الآن ، والذي نشره ريتستانو منه حتى الآن هو القسم المتعلق بالبَرّ الايطالي وصقليـــة (١) . غير أن هـــذه المصادر المكتشفة ــ كما قدّمنا سابقا ــ كانت اهميتهـــا في أنها قدمت لنـــا مقاطع من الشعر ، وبعض السير وأعمال المؤلفـــين ، اكثر مما قدمت لنـــا أخبارا ذات صلة « بتاريخ » المسلمين في صقليـــة . الا أن تلك المعلومات تُكمل معرفتَنـــا بالثقافة العربية التي نَمَت وتطوّرت في الجزيرة منذ عهـــد الفتح ، واستمرارها في العهـــد النورمندي ، ثـــم في العهد السوابي Svevi . وقـــد استفاد الباحث نفسه من هذه المـــواد في كتابه (الثقافة العربية في صقلية) ، الذي صدر منـــه الجزء الاول فقط ، ومن المؤسف انـــه لم يكمل بعد بالجزاين الثانـــي والثالث، اللذين كان المؤلف يعتزم اصدارهما . ونحـــن نذكر هذا الكتاب ههنا لان في الفصلين الخامس والسادس منه دراسة سريعة حـــول الازمة الفاطمية في المغرب وصقلّية في القـــرن العاشر .

في أعمـــال فرانشيسكو غبرييلي ، ومارتينو ماريو مورينو ، وأومبرتو ريتستانو المتقدم ذكرها ــ وكلّهـــا تستلهم آثـــار ميكيلي أماري ــ يعيش المـــرء من جديد مع لحظات بارزة من أحداث امتدت ــ من الوجهـــة

---

(١) الكتـــاب كاملا حققه الدكتور احسان عباس ، وتولت نشره مكتبة لبنان ، في بيروت ، سنة ١٩٧٥ (ع . ن .) .

التاريخية الصرف ــ مــدة اقل من قرنين ونصف القرن ، غير ان آثارها ، في جوانب اخرى ، استمرّت في صقلّية الى عهــد فريدريك الثاني ، وفــي ايطاليا الجنوبية كانت نهايتهــا الحاسمة على يدي الملــك السوابي كارلو الثاني دانجو ، الذي قضى على العناصر العربيــة في لوشيرا ، واضطَرّ العناصر الاسلامية الباقيــة في صقلّية الى الهجرة . والوثيقــة العربية الوحيدة التي وصلت الينــا حول هذه الحادثة هي (تسجيل العر ب ــ لريكّاردو دي لوشيرا) وقــد نشرها ليثي ديلا ڤيدا بعد ان قــام بترجمتها وتعليق الملاحظات عليهــا .

وامــا صقلية النورمندية والسوابية في صلاتها بالعالم الاسلامــي في افريقيا وآسيا ، وكذلك انماط حياتها المتعدّدة وفكرها العربي الــذي استمر في ذلك العهــد ، فنجد صورة لهــا في سلسلة من الابحــاث التاريخيــة والثقافية التي كتبهــا فرانشيسكو غبرييلي ، وأومبرتــو ريتستانو : الاول منهما نذكر لــه (سفارات بيترس ومانفريدي) ، ويليه حالا لاومبرتو ريتستانو مقالان باللغــة العربية بعنوان (النورمنديون والعرب في صقلّية) ، وهما يدوران على علاقات النورمنديين والزيريين في افريقية ، وعلاقات غوليلم الثاني وصــلاح الدين . وقد عهدت وزارة التعليم الايطالية الى هذيــن الباحثين بالاشراف على نشر اعمال ميكيلي اماري واوراقه . وكانت هذه المهمــة تقتضيهما واجب العناية بالطبعة الثانية من (الدراسات القديمة) و (المكتبة العربية الصقلّية) نصوصــاً وترجمات . وامــا النورمنديون الذين وطّــأ لهم الامبراطور جورجيــو الانطاكي السيطرة على افريقية مــدة عشر سنوات ، وكذلك الموحّدون ، وهــم القوة السياسية والدينية الجديدة التي قضت على التحصينــات المسيحية في افريقيا ، فنَجِــدُ حولهم اخبارا موثّقة في (تاريخ طرابلس وليبيــا) لإيتّوري روسّي ؛ وسنعود الى ذكره في ما بعــد . وحول الاسرة الملكية المذكورة ، ولا سيمــا اخبارها التي وصلت الينــا من المؤرخ الدمشقي ابــن القلانسي ، كتب فرانشيسكو غبرييلي (اصول حركة الموحدين في مصدر تاريخي شرقي) . وتعود بنــا الذكريات الى

الاحداث التاريخية في صقلية في عهد الكلبيّين ، والعهد النورمندي خاصة في كتاب (باليرمو حسب الجغرافيين والرحالين العرب في القرون الوسطى) للسيدة ادالجيزا دي سيمونه ، وكان هذا البحث رسالة قَدَّمَتْها لنَيْل شهادة الدكتوراة الى كلية الآداب في جامعة باليرمو ، حيث يقترن تعليم اللغة العربية في وقت واحد بالدراسات العربية الصقلّية .

وبعد وقفتنا القصيرة هذه عند صقلّية ، نلتفت الآن الى شبه جزيرتنا ، فنتذكر أن الغزوات العربية المتعددة للبَرّ الايطالي ، قد تحدَّث حولها اومبرتو ريتستانو في بحثه (العرب في ايطاليا) . وقد خَصَّص القسم الاول منه لرسم صورة سريعة شاملة لفتح صقلّية . وكذلك فرانشيسكو غبرييلي في اكثر من بحث واحد ، ولا سيما في مثل دراستيه (العرب في كالابريا) و (مدينة باري العربية) ؛ وكذلك في بحثين آخرين اكثر جدية واوسع إحاطة من حيث الزمن والرقعة ، وهما : (سالنتو والشرق العربي) و (العرب في اوروبا : اسبانيا وفرنسا وايطاليا) ؛ وهذا الاخير فصل من كتاب للمؤلف عنوانه (محمد والفتوح العربية الكبيرة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحول وجود العرب المشار اليه آنفا في الاراضي الايطالية الوسطى والجنوبية ، واعمالهم الحربية المتواصلة ، الى حدّ ما ، وما كان يتبعها من فرضهم الجزية ، اضيفت الى جهود المستعربين جهود اخرى قيّمة ، في الغالب ، من بعض المعنيين بدراسة العصور الوسطى . وينبغي أن نحدد أن جهود هؤلاء قد عُنيت باعادة بناء صورة الاحداث المشار اليها ، وما رافقها من الاعيب اللومبارديين والبيزنطيين السياسية التي عاصرتها . وكانت هذه الأعمال اقرب الى الصحّة في ما يتعلّق بالفئة الاولى ، لان المصادر اللاتينية ، رغم ما فيها من نقص وعدم دقة من حيث صحة الوقائع ، كانت اقل توزُّعا وتشتُّتاً من المصادر العربية ؛ ففي هذه المصادر لا نجد في الغالب اثرا لاعمال العرب في البَرّ الايطالي . وبالرجوع الى المصادر اللاتينية ـ ويندر أن نجد

في المصادر العربية ما يطابقها او يكملها ــ استطاع ج . موسكا ، العالِم بتاريخ العصور الوسطى ، ان يعيد بناء تاريخ الاعوام الخمسين التي كانت فيها مدينة باري عاصمة لدولة اسلامية مستقلة ، وإن يكن قد أعطانا تقييمات غير تلك التي أَلِفْناها . وقد استطاع ان يصوِّر فيما بعد غروب تلك الدولة النهائي في بحث لاحق . ومن الواضح ان وجود العرب في صقلّية وفي ايطاليا ، وعلى الاخص في سالنتو ، قد اشار اليه مؤرخون من امثال ل . سلفاتوريللي ، و م . سكيبا ، و ج . بوكيتينو ، و س . ج . مور ، و إي . بونتيري ، و ن . تشيلينتي ، و ج . بيتروني ، وغيرهم ممّن نجد ذكرا لاعمالهم لدى موسكا ، مصحوبا برأي مدروس حول قيمتها في ما يتعلّق بمدينة باري .

ان الغزوات العربية لشواطىء البحر التيريني الايطالية تُدْخِل في تاريخ العصور الوسطى كبرى الجزر في ذلك البحر ، وهي جزيرة سردينيا التي كان المسلمون يغزونها إمّا من افريقية ، وإمّا من جُزُر الباليار . وكانت جنوا وبيزا بشكل خاص منهمكتين دائما في صدّ هذه الغزوات . ولقد قامت منذ نحو قرن من الزمان محاولةٌ لاعادة بناء وقائع هذه الغزوات ، بشكل خيالي ، في الواقع . والذي قام بذلك هو ب . مارتيني ، الذي « أعمَتْه الغيرة الوطنية ــ كما يقول اماري ــ فلم يفطن الى ما يحوم من شكوك حول اصالة الوثائق التي استند اليها في بحثه » . وبعد أكثر من مئة سنة من ظهور ذلك البحث الذي لا قيمة له ، قامت السيدة كليليا سارنيللي باعطاء صورة وافية لتلك الفترة التي كانت فيها سردينيا تحت تهديد مباشر من اسطول مجاهد العامري الجبّار . وقد فعلت ذلك في فصلٍ رائع التبويب من الدراسة المذكورة آنفا ، والتي ظلّت ، مع الاسف ، بعيدة عن متناول علماء العصور الوسطي . وقد قُدِّمت هذه الدراسة الى كلية الآداب في جامعة القاهرة لنيل شهادة الماجستير ، ثم قامت بنشرها بالعربية ، كما ذكرنا آنفا . وفي موضوع سردينيا عينه والاعمال التي قام بها المسلمون فيها ، ظهر ايضا بحث للسيدة لاورا ثيتشا ثاليري ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استاذة كليليا سارنيللي ، كأنما كـان الدافع اليه دعـم تلميذتها في مجال بحثها عينه . ويتجدد الاهتمام بسردينيا (العربيـة) في بحث بالفرنسية عنوانه (آثـار عربية في سردينيا) ، يرى فيه المؤلـف جوفانّي اومان انـه لن يمكن القاء ضوء جديد حول تلـك الغارات العربية الا بعد دراسة آثارية كاملة للجزيرة ، تكون نتيجـة حَفْريّات منظمة فـي مناطق معينة . اما المـواد القليلة التي يضمّها متحف كالياري فليسـت كافية لأي اثبـات .

• • •

الحـروب الصليبيـة :

وعهـد الحروب الصليبية الذي اصطدمت فيـه المسيحية بالاسلام في بلدان الشرق الادنى الافريقية والآسيوية ، حيث كانت جذور الاسـلام متأصلة اكثر من سواهـا ؛ لقد تعدّدت بحوث علمـاء العصور الوسطى حولها ، ولكننا نكتفي بأن نذكـر من أحدثها : (تاريخ الحروب الصليبية) للمؤلف ف . كونياسّو . واما المستعرب الاول والاخير حتـى الآن الذى التفت الى المصـادر العربية ، لكي يرى تلك الحروب بعـين الخصم حينذاك ونفسيته ، فهو ايضا فرانشيسكو غبرييلي ؛ فقـد اكتشف مجموعة من المختارات البارعة لاشهر مُدَوِّني الاحداث العـرب ، ممن نَقَلوا الينـا اخبارًا وانطباعات ، اغلبُها ذو اهميّة تاريخية كبرى ؛ وقـام بترجمتها الى اللغـة الايطالية وتحقيقها . ومن هذه المجموعة الكَشْفة وُلِدَ كتاب (مؤرخو الحروب الصليبية العرب) ، الذي يستحق عليه غبرييلي اعظم الثناء لدقّتـه اللغوية ، وفخامة عبارته النثرية . وبهذا الكتاب فَعَل المؤلـف ما كان قد فعله قبل عـدة اعوام حينما نَشَر كتابه (فرسان القديس يوحنا لدى مؤرخي الحروب الصليبية العـرب) ، اذ اتاح للزملاء من غـير المستعربين فرصة الوصول الى اكثر المصـادر اصالةً في (الكتابة التاريخية العربية للحروب الصليبية) ـ وكان هـذا عينه موضوع مقال لاحِقٍ لـه ـ وإن لم يكن السرد متتابعا في الدراسة ، فلقد كان غريبا في الاغلب على المؤرخين ومدونـي الحوادث المسلمين .

وفي رقعة الشرق الادنى عينها ، حيث كـــان يتأجّج العداءُ بين المسيحيين والمسلمـــين ، يُدْخَل بحثُ (العالَم الاسلامي في زمـــن فريدريك الثاني) ، وهو بحث كتبه ليثي ديلا ثيدا ، مركّزا فيـــه بشكل خاص على لمحـــة سريعة من سلسلة الاتصالات والعلاقات بـــين المسيحيين والمسلمين ، الذين عاشوا أفضل أوقاتهـــم فعلا مع ذلك الامبراطور السوابـــي .

• • •

عهـــد الركـــود :

والعهـــد الذي يأتي مباشرة بعد سقوط خلافة بغداد عـــام ١٢٥٨ ، يسجِّل بداية ركود بطيء، ولكنه مستمر، في العالم العربـــي . ويزداد الركود ـــ أو الانحطاط ـــ تأكدا منذ بدايـــة القرن السادس عشر ، بسيطرة العثمانيين على البحـــر المتوسط الشرقي والاوسط . منذ ذلـــك النصف من القرن الثالث عشر كان المماليك أهـــمّ صُنّاع التاريخ الاسلامي واستمرارِ العروبة مـــدَّةَ قرنين ونصف القرن . وظلّت مصر مُرْكَـــز الاسلام والعروبة ، مثلما كانت كذلك في العهـــد الفاطميّ والعهد الايوبـــيّ الذي جـــاء بعده . والجهد الايطالي الوحيد لمعرفة البروتوكول الجافّ والمعقـــد الذي كان سائدا في ادارة الحكم المملوكي ، هـــو بحثٌ بعنوان (مرسوم تعيين الى نيابـــة طرابلس ، في سوريا ، من السلطان المملوكي خُشْقَدَم ، ١٤٦١ ـــ ١٤٦٧) ، وفيـــه نَشَرَتْ المستعربةُ الشابة ريتـــا روزي دي ميليو الوثيقة العربيـــة ، مشفوعة بتعليق تاريخي توضيحـــي . وأكثرَ من ذلك كانت الابحاثُ المتعلقـــة بعلاقات سلاطين المماليـــك مع بعض المـــدن البحرية الايطالية ، ولا سيما البندقية . وكانت هـــذه العلاقات ، قبل أن تقـــوم في شرقيّ البحر المتوسط اكبر دولـــة معادية لهـــم ، هي الدولة التركية ، قد نَمَّت علاقاتِ تبادلٍ تجاري واسع مـــع من سبقهم في السيادة على ذلك البحـــر . وأما العلاقات مع البندقية ـــ وقد عَرَض لهـــا غبرييلي بنظرة شمولية في مقال لـــه بعنوان (البندقية والمماليك) ـــ فان الكشف الذي قامت بـــه ماريا نَلّلينو على (مذكرات مارين سانودو) سيكون عونـــا ثمينا لمعرفتها . وأهمية هذه المذكـــرات

هي في كونها وثائـــق تعكس العلاقات وغيرُها ممّا سبقها . وقد كشفت ذلك ماريا نَلّلينو في بحثها (مصر منذ وفـــاة قايت باي الى مجيء قانصوه الغوري ، ١٤٩٦ ــ ١٥٠٥ ــ في مذكرات مارين سانودو) . وكانـــت للدوقيّات مصالح مع تونس كذلك منذ القرن الثالث عشر ، حينما بـــدأ في افريقية حكـــم السلالة البربرية الحفصية . وفي هذه العلاقات يتحدث أ . ساتشردوتي حديثا واسعا في بحث لـــه عنوانه (البندقية ومملكة الحفصيين في تونس : معاهدات وعلاقات دبلوماسية ــ ١٢٣١ ــ ١٥٣٤) . وسنعود فيما بعد الى ذكـــر اسم هذا الباحث من جديـــد .

ان الاشـــارة الى العثمانيين باعتبارهم قـــوة جديدة في البحر المتوسط تقودنا الى ذكـــر كتاب (فخر الدين الثاني ، أمير لبنـــان ، والبلاط التوسكاني ، ١٦٠٥ ــ ١٦٣٥) ، وهـــو جزآن نفيسان قَـــدّم فيهما ب . باولو صورة موثّقة أوسع توثيق لجميـــع الاحداث التاريخية والدبلوماسية التي كان بطَلَهـــا ذلك الاميرُ الدرزي ، وكان مسرحها لبنان تارة ، وتارة أخرى بـــلاط الفراندوق كوزيمو الثاني التوسكاني ، الذي كان يبدو أن حكّام البندقية والاتراك معـــاً يكرهونه : فقد كان البندقيون مشغولين بمنازعة التوسكانيين على السيادة في الشرق ، مثلما كـــان يثير الاتراك أن يجـــد ذلك الاميرُ المغامر في صِلاته ببلاط آل ميديتشي ما يدعم نفوذه وسلطانه . وامـــا مصر العثمانية فيعيدنا اليها مقال بعنوان (تاريخ علـــي بك المصري ، ١٧٦٣ ــ ١٧٧٣ ــ في مخطوط للمؤلـــف ج . م . ديجون) يوضح فيه إيتّوري روسّي ، استنادا الى مصـــدر نفيس غير منشور ، حياةَ ذلك الرجـــل المغامر ومنجزاته الثوروية ، وظهوره على المسرح السياسي المصري مـــدى عشر سنوات ، محـــاولا فصل مصر عن سلطان العثمانيين ، ومستفيدا في مطامحه تلك مـــن الحرب التي نشبت بين روسيا وتركيـــا .

• • •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في البحـــر المتوسط :

جـــاء ظهور العثمانيين في البحر المتوسط ، وما تلاه من تأخر العرب اللغوي والثقافي ، في وقت واحـــد مع تأليف الحكومات البربرية فـــي المغرب . وقد اهتـــم بجمع الوثائق الوفيرة حول هذا الحدث مستعربون وغيرهم ، وكتبوا فيه أبحاثا واسعة . واحدى الوثائق التي لا شـــك في أهميتها ، والتي يمكن أن تُطْلِعَنا على أعمـــال القرصنة المريعة التي جَرَت في أوائل القرن السابع عشر ، هي في تقرير حول الجزائـــر وتونس ، قدَّمـــه الى دوق البندقيّة ج . ب . سلفاغو ـــ وكان هذا كاثوليكـــيّ المذهب ، تركيّ التبعية ، وكان قد أُرسِل في مهمّـــةٍ خاصة الى تينـــك المدينتـــين سنة ١٦٢٥ . وقد اهتـــمّ بنشر تلك الوثيقة أ . سانشردوتي في كتاب لـــه عنوانه (افريقية ، أو بلاد البربر) يُعْتَبر جهدا نفيســـا يساعد على معرفة تلك الفتـــرة التاريخية الحاسمة التي تقـــلّ فيهـــا الاخبار . أمـــا الاعادة الكاملة لبنـــاء تاريخ البحر المتوسط في القرون التي كان فيها ذلك البحـــر يعجّ بالرعب القاتل الذي زرعه القراصنـــة ، والمتاجرون بالعبيد ، فقد عني بهـــا س . بونو ، مؤلف كتاب (القراصنة والبربر) . في هذا الكتـــاب الذي استقبله النقاد بالثناء الواسع ، نجـــد دراسة دقيقة لتلك الاحداث التي تُعْتَبَر بين أشرس الاحداث في تاريـــخ الانسانيـــــة .

والـــى تاريخ البحر المتوسط في القرون الوسطى وفي العصـــر الحديث ، سرعان ما تنبَّـــهَ الاهتمامُ التاريخي لدى المستشرق إيتّوري روسّي ؛ وكان هذا من كبـــار المعنيّين بالدراسات التركية من المستعربين ، وقد ساعده ذلك أكثر من سواه على أن يُعْنَى باللقاء الذي تـــمّ بين عالميْن مختلفين في ذلك البحـــر ، ليقوم بدراسة بعض أحداثه استنادا الـــى وثائق مزدوجة . ومن أبرز الادلـــة على ذلك مؤلفاتُه النفيسة التاليـــة : (حكـــم فرسان مالطة في ليبيا ، ١٥٣٠ ـــ ٥١) و (صلات جمعيـــة الفرسان بطرابلس الغرب في القرون اللاحقـــة ، ١٥٥١ ـــ ٩٨) و (المراسلات بين كبـــار معلمي جمعية القديس يوحنا في مالطـــة وبايات

طرابلس ، من ١٧١٤ الى ١٧٧٨) و (والصلات بين كبار معلمي جمعية مالطة وبايات تونس ، من ١٦٤٢ الى ١٧٥٦) — الكتابان الاولان منهما اسبق من سواهما ، وهما من أوسع مؤلفات روسّي حول طرابلس الغرب وأراضيه ، التي سنشير اليها فيما بعد .

في السجلات الحكومية في المدن الايطالية التي كانت لها ، لاسباب مختلفة ولا سيما الاسباب التجارية ، صِلاتٌ مع بعض البلدان العربية في المشرق أو في المغرب ، وقد نجد وثيقة هنا وأخرى هناك ، تُلقي ضوءًا على تلك الصلات . ومن ذلك مجموعة من الرسائل نشرتها ماريّا نلّينو بأصلها العربي وترجَمتِها الايطالية ، وقَدَّمت لها بمقدمة تاريخية ، وعلّقت عليها تعليقاتٍ وملاحظاتٍ واسعةً في بحث لها عنوانه (وثائق عربية حول العلاقات بين جنوا ومراكش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر) . ويبدو أن هناك كثيرا من الوثائق المأخوذة عن السجلات بلُغاتٍ مختلفة ، غير اللغة العربية ، استفاد منها بعض الباحثين الايطاليين ، ممن لم يكونوا دائما من المستعربين ، في أعمالهم الرامية الى معرفة العلاقات بين الحكومات الايطالية قبل الوحدة ، والدول البربرية في الجزائر وتونس وطرابلس الغرب . وفي هذا الصدد ، ودون الاقتصار على تونس وحدها ، كما أشرنا سابقا ، قدم لنا س . بونو مقارنات واسعة في بحثه (مصادر ووثائق ايطالية في تاريخ تونس) . والاهتمام المتجدد الذي نَوَدّ أن نشير اليه ههنا ، والذي تثيره تلك العلاقات التي ترجع الى عهود متأخرة عن تلك التي درسناها آنفا ، بدأ بمقال للسيده لاورا ڤيتشا ڤالييري — اذا لم تَخُنّا الذاكرة — عنوانه (وثائق ڤاتيكانية تتعلّق بالجزائر — ١٨٢٥ — ١٨٣٠) تَلتْه بعد مدة قصيرة دراسة حول العلاقات بين (الكرسيّ الرسوليّ والبربر ، ١٨١٤ — ١٨١٩) . وقد أضيف اليه بعد بضع سنوات بحث بعنوان (علاقات غ اندة قنّة توسكانا مع دولة تونس ، ١٨١٨ — ١٨٢٣) ، كتبه أ . ريجّيو ، وكذلك (سردينيا ودول البربر ، من ١٧٩٤ الى ١٨١٥) للمؤلف اي . بوسّي ، ثم (علاقات اسبانيا وسردينيا مع دول البلدان البربرية — ١٧٧٨ — ١٧٨٣) له ايضا .

وعلى الرغم من انه ليس من قصدنا أن نمضي في تدوين جهود الباحثين الايطاليين الرامية الى معرفة تلك العلاقات مع دول البربر ، فانه يبدو واجبًا علينا أن نُذْكُر أن كثيرا من العلماء المتخصصين بالعصور الوسطى والمؤرخين قد قاموا بأبحاث في هذا الحقل ، مستندين في الغالب الى اكتشافات واسعة لوثائق مستَمَدَّة من السجلّات . ومن هؤلاء الباحثين نذكر : ج . كابوفين — و ج . ڤيدوڤاتو — و ر . تشيسّي — و أ . غالّيكو ؛ كما نذكر ، بالنسبة الى ايطاليا الجنوبية وصقلّية في نطاق السياسة في عالم البحر المتوسط : ج . لامانتيا — و ج . مونتي — و تشي تراسّيلّي — و ف . جونتا . ونحن حين نذكر هؤلاء ، ليس لنا من قصد غير الاشارة الى الاتجاهات ، وكذلك المواقع المتعلّقة بجزء من كتابة التاريخ الايطالية خلال الأعوام الخمسين الأخيرة بالنسبة الى تاريخ البحر المتوسط .

• • •

القرن التاسع عشر :

بالقرن التاسع عشر — وهو نقطة الوصول ، بالنسبة الى هذه المراجعة السريعة-تنتهي فترة الركود ، أو الانحطاط ، في العالم العربي ، وتبدأ بعد ذلك فترة التحرّر التدريجي من السيطرة العثمانية المسؤولة مسؤوليةً مباشِرَة عن استنزاف المقدرة على التطوّر لدى شعوب الشرق الادنى ، والمغرب ، نتيجة للمناخ الاداري التركيّ المرهق الذي استمرّ أكثر من ثلاثة قرون . وفي هذه اليقظة يساهِمُ الغرب بوجوده في مصر في نهاية القرن الثامن عشر ، بحملة نابوليون ، التي وضعت أمام العرب مثاليات تختلف كلّ الاختلاف عمّا عرفوه في الماضي القريب الجديب ، وتدفعهم الى الاخذ بأسباب الوعي القومي ، تمهيدا لقيام الحركات الثائرة ابتداء من الحرب العالمية الاولى . وكان بعض البلدان العربية ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، قد اتّجَه الى الخروج من الحكم العثماني الذي استمر أكثر من ثلاثة قرون ، ليصل الى استرداد بعض ملامحه القومية الاصيلة . ولذلك نرى من

الانسب والانفع من جميع الوجـــوه ختام القسم الاخير من هذه المراجعة ، مكتفين بذكر جهـــود الايطاليين العلمية في بعض الحقول الفرديـــة .

مـــن السهل الحدس أن الفرنسيين قد ساهموا مساهمة جليلـــة في كتابه تاريخ البلدان المغربيـــة المختلفة،منذ عهد الفتح العربـــي حتى الاحداث السياسية المعقدة التي انتهت هنالـــك بالاستعمار الفرنســـي للجزائـــر وتونس ، والاستعمار الفرنسي والاسباني للمغرب . وأمـــا جهود الباحثين الايطاليين فيما يتعلّق بتاريخ المغـــرب ، وعلى الاخص في الوضع الاداريّ في تلـــك المناطق الثلاث (الفرنسية ، والاسبانيـــة ، والدولية) فنذكر منهـــا ، للأهمية ، كتاب (تقسيم مراكش ــ احداثهـــا السياسية والدبلوماسية) للباحث س . نافـــا ــ ولو أن هذا الكتاب ينتمي بشكل خاص الـــى القرن العشرين ، وليس من اختصاص هـــذه الدراسة ــ وأمـــا في التاريخ الحديث ، أو على الاصح في فترة تاريخيّة محددة منه ، فنذكر (اسبانيا والمغرب ، ١٨٤٤ ــ ١٩١٢) للباحث أ . فيستا ؛ وكذلك كتاب (وجها المغرب) للمؤرخ م . جامبيرو ، وهـــو اكثر تحديدا . وحول الجزائر ــ والذي لدينا عنها قليل ــ نذكر (الحرب الجزائرية التونسية عـــام ١٨٠٧ ، في مذكرات دبلوماسي هولنـــدي) . وهناك كتاب آخـــر شامل هو (تاريخ الجزائر للمؤرخ ر . راينيرو ، الذي أولى اهتمامه أيضا للحركة الوطنية الجزائرية . وأمـــا التزامات فرنسا في شمالي أفريقيا فقد خصص لهـــا ف . دي لويجي كتابا . وأمـــا الاستعمار الفرنسي لافريقيا الشمالية ، والتدخّلات ذات الطابـــع الدبلوماسي ، التي سبقتها ورافقتها وتلتهـــا مؤسسات سياسية واجتماعية ودينيـــة في كل البلدان الاربعة (الجزائر ، وتونس ، ومراكش ، وليبيا) ، والتغيّرات التي جرت على اثـــر اتصالها بالغرب ، فاننا نجـــد لها كلّها تصويرا وافيا في كتابين قيّمين للمؤرخ اي . دي ليوني . وقـــد استفاد المؤلف الى حـــد كبير ــ فيما يتعلق بمراكش خاصة ــ ومن وثائـــق جديدة عُثِر عليها في السجلات الحكومية في جنـــوا ، وليفورنو ، ونابولي ، وتورينو . وهـــذا الباحث عينه كان من قبل قد وضع كتابـــا حـــول

(سياسة الوطنيين في افريقيا الشمالية الفرنسية) ، ومقالا حول (مشكلة الوطنيين ومشاكل اجتماعية في الجزائر) . واكثرُ عددا مما تقدم كانت كتاباتُ الباحثين الايطاليين حول تونس .وكان بعضهم مدفوعا بعامل « المدافعة » عن ازمنة اخرى ، فلم يكن من الممكن تقييم اعمالهم هذه تقييما مجردا . وكان بعضهم الآخر يتميّز بالاتزان المرموق ، لتَجَرُّدهم عن التعصّب « للقضيّة الايطالية » التي طُرِحَت خلال الحرب العالمية الثانية . ومن المنطقيّ أن يكون القُطْرُ المغربي الذي ازدادت فيه اهتمامات مستعربينا ومؤرّخينا ، هو ليبيا ، وعلى الاخص طرابلس الغرب . وفي تاريخ هذا البلد من الفتح العربي (٦٤٢) الى الاحتلال الايطالي (١٩١١) ترك لنا ايتّوري روسّي عملا رائعا لاعادة بناء هذا التاريخ . وقد اكمل كتابه هذا عام ١٩٢٨ تقريبا ، ولم يُنْشَر الا بعد وفاته ، منذ بضع سنوات فقط (١) . وهو اوفى كتاب وادقّه في هذا الموضوع — وهو في القسم الحديث منه يقوم بديلا عن كتاب (طرابلس الغرب من عام ١٥١٠ الى ١٨٥٠) للكاهن الفرنسيسكاني الاب كوستانتسو دابيرنيا ، ويضيف اليه تحسينات قيمة — وقد استند في كتابه هذا الى العديد من المصادر العربية والتركية ، مع دراسة نقديّة واسعة لها ، كما رجع الى وثائق وسجلّات غير منشورة . فجاء كل فصل من فصول الكتاب التسعة عشر تصويرا وافيا مُشْبَعًا ، وقائما على تفكير عميق في الاحداث التاريخية ، والتاريخية السياسية خلال ثلاثة عشر قرنا . ولم يُعْنَ بالتعميمات ، بل اعتَمَدَ دائما اعتمادا دقيقا على النصوص . والذين عرفوا ايتّوري روسّي معلّمًا لهم — كما عَرَفَه كاتبُ هذه المراجعة — يشهدون شهادة امينة بعدائه لكلّ شكل من اشكال الحلول الوُسطى بين البحث العلمي الجادّ والهواية الارتجالية .

---

(١) قام الاديب الليبي خليفة التليسي بترجمة هذا الكتاب الى العربية ، ونشره في بيروت ، سنة ١٩٧٤ (ع . ن .) .

ان الاشارة الى المصادر العربية التي استمدّ منها الباحث المذكور موادّه الاولية لتاريخ ليبيا هذا ، ولعدد آخر من الابحاث ، يحدونا الى أن نذكر — حتى قبل هذه الابحاث — ترجمته الدقيقة لكتاب (تاريخ الوقائع العربية الليبية ، لابن غلبون) وما علّقه عليه من هوامش وملاحظات . وهذا الكتاب ينفرد من بين المصادر العربية الاخرى لتاريخ ليبيا ، ليس فقط بامتداده الى سنة ١٧٣٢ ، بل باشتماله ايضا على أخبار لا توجد في سواه ، حول الحياة الفكرية المحلّيّة ، ابتداءً من الحكم العثماني . ونرى من لغو القول تأكيد أهمية الخدمة التي قدمها روسّي للباحثين من غير المستعربين في تاريخ ليبيا ؛ فقد كانت ترجمته للكتاب المذكور من أهم المراجع في تاريخ ليبيا . ومن سلسلة كتابات هذا الباحث حول ليبيا ، وهي تؤلف حقلا خاصا في انتاجه الضخم النفيس ، نشير كذلك الى كتاب له حول (فزّان وواحة غات) ، والى صورة سريعة من (تاريخ ليبيا من الفتح العربي الى سنة ١٩١١) حيث تعطينا لمحة موجزة ، حسنة الشرح ، حول ذلك التاريخ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هنالك صفّ كثيف من الباحثين الايطاليين الذين قرنوا اسماءهم بمشاركات في الموضوع عينه . ومن بين هؤلاء يجدر بنا ان نذكر كذلك ر . ميكاكّي ، الذي كَتَبَ بحثًا تاريخيًّا حول (طرابلس وليبيا قبل الاحتلال الايطالي) وكتاباً بعنوان (ليبيا تحت حكم آل قَرَمَنْلي) . وآل قرمنلي هم أسرة اهتم بها كذلك مِنْ بَعْدِه الاب كوستانتسو بيرنيا ، الذى تَقَدَّم ذكره . ولاجل وضع الكتاب المذكور ، استعان ميكاكّي — وكان موظفا كبيرا في الادارة الاستيطانيّة حينئذ — بموادّ وفيرة غير منشورة ، كانت متوافرة في السجلات الاوروبية ، وتتعلّق بليبيا تحت حكم الاسرة القرمنلية (١٧١١ — ١٨٣٥) وقد جاد بوضعها تحت تصرفه ب . توسكي ، وكان قد وضع لها كشفا غنيًّا بعنوان (المصادر غير المنشورة في تاريخ ليبيا) . وهناك اشارات أخرى الى الوثائق المحفوظة في السجلات الرسمية قدّمها بعدئذ س . بونو . وهنالك

عـــدد كبير آخر كبير من المؤلفـــات حول تاريخ ليبيـــا نترك ذكرها للمقدّمة التي وضعها روسّـــي لكتابه (تاريخ طرابلس) ولمـــا الحقه من اضافات ببليوغرافيّـــة بمختلف الفصول . واما ما لـــه صلةٌ مباشرة بالسنوسيّة ـــ وكانت هـــذه قد دَخَلتْ منذ منتصف القرن الماضي دخـــولا بارزا في الاحداث التاريخية في بُرْقَـــة وطرابلس ـــ فنتركها الى الاشارات الببليوغرافية التي تضمَّنَتْها كتاباتُ كارلـــو نَلّلينو ، والبيتّـــي حول هذه الجماعـــة الدينيـــة .

• • •

اسرة محمـــد علي :

وناتـــي الآن الى محمـــد علي ، راس الاسرة التي حكمت مصر الى عـــام ١٩٥٢ ، والرجل الذي كان،بإجماع الآراء،معيدَ مجـــد مصر بعد سقوطها في اوائـــل القرن الماضي في حالـــة من الفوضى ، كانت الحملـــة النابوليونية قد خفَّفتْ من حِدّتها آنيّـــا فقط . لقد كانت جهود الباحثين الايطاليين حوله كبيرة ، غـــير أن القليل منها ذو قيمة حقيقية جديـــرة بالتقدير . ومن بينها جميعـــا تتميز أعمال أ . سَمّارْكو ، الذي عُهِـــد اليه الملـــك فؤاد الاول بتكملة الوثائق الدبلوماسية الايطالية المتعلّقـــة بمُلْـــك محمد علي ، ودراستها ونشرها . وكـــان اي . غريفّيني قـــد بـــدأ بجمع هذه الوثائق وادارتها ، وهـــو مستشرق متخصّص بالدراسات التركية ، كان قد استُدعِيَ الـــى القاهرة ليتولّى ادارة مكتبـــة القصر الملكي . ومن هذه المجموعة النفيسة غير المنشورة وُلِـــدَ القسمُ الأهمّ والأكثرُ اصالة من انتـــاج سَمّارْكو التاريخيّ المتعلق بمصر الحديثة ، ومن أبرزها : (رحلة محمـــد علي الى السودان ، من اكتوبر ١٨٣٨ الـــى ١٥ مارس ١٨٣٩)؛وكتاب (مملكة محمـــد علي في الوثائق الدبلوماسية الايطالية غير المنشورة) بأجزائه الأحد عشر . لاجـــل هذه الكتب ، وغيرها مما تلاها ، قـــام المؤرخ بفحص قسم كبير من الوثائق العشرة الآلاف المحفوظة في السجلات الحكوميـــة في نابولي ، وفلورنسا ، وتورينو ، والبندقية ، وفيينّـــا ، مدقّقًا ومقارِنًا بينها ، ومستخلصا منها حقائـــق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتقييمات تاريخية جديدة كل الجدّة بالنسبة الى تلك التي كانت تتميّز بها الكتابات التاريخية الشرقية والغربية حينذاك ، بسبب نقص الوثائق الصالحة .

ومن المؤسف ان اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ووفاة الباحث بعدئذ ، كانا السبب في عدم انجاز العمل في عدد آخر من الاجزاء التي كانت متوقّعة لهذا الكتاب ، عدا الاجزاء المنشورة منه . ولقد كان سَمّارْكو كذلك مؤلّفًا للجزء الرابع من الكتاب الفرنسي (موجز تاريخ مصر) حول مُلْك عباس ، وسعيد ، واسماعيل ؛ وكذلك المجلد الثالث من كتاب ذى خمسة مجلدات ، تبدأ من أوائل القرن التاسع عشر ، وتصل الى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ ، وكذلك (مُلْك الخديوي اسماعيل ، من ١٨٦٣ الى ١٨٧٥) باللغة الفرنسية . وهذه كلّها اعمال انضجتها الدراسة الجاهدة للوثائق المنشورة وغير المنشورة ، المتعلقة بالقرن التاسع عشر من التاريخ المصري .

وفي هذا القرن نَجِدُ تمهيدات لِحِوارٍ مع أوروبا ، كان قد بدأ من قَبْلُ في زمن محمّد علي ، واستأنفه من بعده خلفاؤه بكثير من الاهتمام ، مما ساهم في وضع مصر على راس البلدان العربية ، في الحقل السياسيّ ، والسياسيّ الثقافيّ ، وبمحمد علي يُخْتَمُ كتابُ (تأسيس مصر الحديثة ، والمساهمة الايطالية في نهضتها السياسية والمدنية — فجر النهضة المصرية — ١٧٦٠ — ١٨٤٠) ؛ وهو رؤية شاملة ورائعة قدّمها أ . فيرتسي . وكذلك كتاب (القضيّة المصرية من سنة ١٧٩٨ الى ١٨٤١) تأليف تشي . جيليو ، المعروف بأبحاثه الاخرى في التاريخ والسياسة المتعلّقَين بالاستيطان ، أو الاستعمار . ومن هذه الفترة عينها انطلق باولو منغانتي في كتابه (مصر الحديثة)، الذي يمكن اعتباره واحدا من اكمل الابحاث واحدثها في الاحداث التي جرت في منطقة الدلتا من القرن التاسع عشر الى ثورة ١٩٥٢ .

ولا تختلف زَمَنِيًّا نقطة الانطلاق في الكتاب الآخر (مصر من احداث ١٨٨٢ الى ايامنا هذه) بِجُزْأيهِ ، للباحث ب . اليتي ؛ وقد عني في

هذين الجزاين عنايـــة جادة بتحديد وجـــه مصر خلال الاعوام الثمانـــين الاخيرة من تاريخهـــا . وانطلاقا من مقدرة المؤلـــف الفريدة ، وتحليلاته الدقيقة ، وبحثه الجـــادّ ، استطاع ـــ وهو موظف كبـــير في وزارة الخارجية الايطالية ـــ ان يكمل كتابه في عـــدة سنين ، كما يبدو مـــن مقالاته المنشورة في مجلات مختلفة ، حول ازمنـــة معيّنة من تاريخ مصر الحديثـــــة .

ويمكننـــا ان نذكر بين المصادر التاريخيـــة ذات الاهمية القليلة او الكثيرة ، اضافةً الى كتيّب للباحث او . توسكي ، اعمالا ايطاليـــة عديدة تساهم في معرفـــة تاريخ مصر بين قرنين . وقد اغفلنا الاشارة اليها لان مؤلفات منغانتي قـــد اشارت الى اهمّها في ثنايا الفصـــول .

قنـــاة السويـــس :

وقنـــــاة السويس ، التي ولدت في القرن التاســـع عشـــر باهتمـــام دُوَليّ ومصالح مشتركة ، وبمباركة الجميـــع ، ولـــم تلبث ان اصبحت مثار جدل محتدم على اثـــر تأميم عبد الناصر لهـــا في صيف سنة ١٩٥٦ ؛ لقد كثُرت حولها الابحاث والدراسات والمقـــالات ، ليس فقط من قِبَل المؤلفين الذين سَبَق ذكرهم ، بـــل من قِبَل كثيريـــن آخرين وقفوا العديد من المقـــالات على هذه المشكلة الشائكة ، لكـــي يبرزوا بشكل خاص تعقيداتها السياسية والقانونية . جميـــع الظروف التاريخية الماضية والحديثة التي كان فيها ذلك الممـــرّ المائي ذا دور حاسم من حيث النقـــل العسكري ، كانت تبـــدو مناسبات تُفْرِض على الباحثين خوض ذلك الموضوع . وكمـــا ان الحرب الايطاليّة الحبشيـــة ، عـــام ١٩٣٥ ، اوحت الى سَمّارْكو بأن يكتب مقالـــه (الحقيقة حـــول قنـــاة السويس) ، وعنوانه يرينا نيّـــةً سابقة مبرمَجة لدى المـــؤرخ لالقاء الضوء على قضايـــا ذات اهمية رئيسية ، كذلك اوحت اليـــه الحرب العالمية الثانية بوضع كتابـــه (السويس ـــ تاريخ ومشكلـــة) . ولكنه في هذه المـــرة اراد ان يوضح لنـــا بعض الوجوه بشكل اوسع ،

واستنادا الى وثائق مصرية واوروبية غير منشورة . وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية مباشرة ، خرج الى النور كتاب بعنوان (قناة السويس والعلاقات الانجلو مصرية) للباحث ب . البيتّي ؛ وكتاب (السويس) وفيه أعادَ اي . انكيري طبع كتاب كان قد نشره قبل ذلك بعامين ، واكمله بأحدث المعلومات . والببليوغرافية الغنية التي يتضمّنها هذا الكتاب تُغنينا عن اية اشارة اخرى .

السودان :

وهناك عبء آخر في التاريخ المصري الحديث ، وقد ظلّ كذلك عشرات السنين ؛ ذلك هو السودان الانجلو مصري ؛ وهو حكم مشترك عاصف كان قد تَقَرَّر منذ سنة ١٨٩٩ لذلك القطر الواسع جنوبي نهر النيل ، ولم يكن أقلَّ من قناة السويس اثارة للنزاع والفوضى بين حُكْمين متخالفين . وقد اضطر الانجليز والمصريون الى النزول عند مطالبة اهله الشرعية بالاستقلال . وأُعْلِنَ الاستقلال رسميًّا في ديسمبر ١٩٥٥ . وقد خصص سَمَّارْكو ، ومنفانتي ، والبيتّي ، في مؤلفاتهم المذكورة آنفا ، فصولا لهذه القضية ، فأوضحوا ببراعة فائقة الوجوه البارزة المختلفة ، وأصدروا في ذلك تقييمات موضوعية . وقد قام اي . انكيري ، و او . توسكي بتحليل احداث الامس واليوم في مصر : الاول فعل ذلك بكتابه (تاريخ السياسة الانكليزية في السودان ، ١٨٨٢ — ١٩٣٨) والثاني في صورة سريعة للقضية اجملها في كتيّب يؤلف مع كتابه السابق حول مصر لوحة عضوية ذات وجهين . واوسع من ذلك كتابٌ وَضَعَهُ ا . ميلّليني بونشه دي ليون ، عنوانه (تاريخ السودان الشرقي وبعض وجوهه — السودان الانجلو مصري) ؛ وهو جدير بأن نذكره بين الاعمال الحديثة جدًّا ، وبالتالي بين اوفاها واشملها ، ولكنه يخلو من اية اشارة الى الوضع الذي انتهى اليه البلد حالا بعد الحرب العالمية الثانية ، حين احتدم النزاع بين الوحدويين ، الذين كانت القاهرة تشرف على تنظيمهم وتوجيههم لدعم الوحدة مع مصر ، ومعارضيهم الاستقلاليين .

ختـــام :

بهـذه الاشارة الى اهـم الاحداث التاريخية والانعطافات السياسية في العالم العربي في نهايـة القرن التاسع عشر ، التي اوضَحَتْها ايضـا ايضاحا كافيا الفصولُ الاخيرة من الابحـاث التاريخية العامة والجزئية ، نختتم هذه المراجعة السريعة لأهـمّ الجهود الايطالية في حقـل التاريخ العربي خلال الاعوام الخمسين الاخيرة . وقـد لا يكون الحصاد وافرا في بعض الحقول ، ولكنه وافـر فعلا في حقول اخرى . وقـد جمعناه مما عُنيَ بتأليفه المستعربون ؛ وهـم ذوو فضل في انهم كثيرا ما هيأوا للباحثين الآخرين امكانية الوصول مباشَرَةً الـى المعلومات ، او بالأُحرى قَدَّموا لهـم المَثَلَ في التخصُّص المِهْنـي ، والانقطاع الى دراسة عالَـم ظَلَّت البحوثُ الخاصةُ بمسيرته التاريخية زمنـا طويلا تُعْتَبَر هامشيّةً بالنسبة الى تاريـخ الانسانية الأكبر ، ولكنه اليوم ـ اخيرًا ـ لم يَعُـدْ خارج نطاق الابحاث العلمية المتخصصـة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رايات المبرّزين وغايات المميّزين لابن سعيد الأندلسي [1]

مراجعة : الدكتور محمد رضوان الداية
(أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة دمشق)

- ١ -

بعد اضطراب أحوال الاندلس في القرن السادس الهجري ، كَثُرت الهجرة عنها الى بلاد المغرب والمشرق . وكان في العلماء الادباء الذين قصدوا الى المشرق ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد ؛ وهو اندلسي من قلعة يَحْصُب (قرب غرناطة) ، ولكنه اشتهر في المشرق بابن سعيد المغربي ، باعتبار ان ما وراء مصر جميعا مغرب .

وكان موسى والد علي يعمل مع الموحّدين ، ثم انضم الى ابن هود في مدة سطوته على قسم من الاندلس (٦٢١ — ٦٣٥) . ثم غادر موسى وابنه علي الى تونس فمصر . واشتهر ابن سعيد في مصر والشام والعراق وغيرها اديبا شاعرا مصنفا ، وترك عددا من المصنّفات ، طُبِع بعضها وما زال بعضها مخطوطا .

وقد أطرف ابن سعيد (الاندلسي) اهل المشرق بِطُرَف من أخبار بلاده ، وبتراجم ادبائها ورجالها ، واشاع بينهم الوانا من أشعارهم وموشحاتهم وازجالهم ورسائلهم ... الخ ، فكان بحقّ رسولا من رسل الثقافة الاندلسية الى المشرق الذي كان متعطشا الى الطُرَف الاندلسية والمغربية .

ومن اشهر كتبه ، وهي مطبوعة : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » ، و « الغصون اليانعة في محاسن المئة السابعة » ، وكتاب في الجغرافية ،

---

(١) تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي — القاهرة .

وكتاب « المُرْقِص والمُطْرِب » المطبوع باسم : « عنوان المرقصات والمطربات » . وفي كتبه أيضا : « رايات المبرّزين وغايات الميزين » الذي نعرض اليوم له ، ولتحقيقه .

وكتاب الرايات هو مختارات شعرية مختصرة ، اعتمد فيه المؤلف أساسا على كتابه الآخر : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » . وقد قسمه الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : ويختصّ بجزيرة الاندلس ؛ وجعله في ثلاثة اقسام داخلية :(غرب الاندلس ، ووسطها ، وشرقها) .

والقسم الثاني : يختصّ بالمغرب؛وهو في ثلاثة اقسام داخلية ايضا : (المغرب الاقصى ــ المغرب الاوسط ــ المغرب الادنى « افريقية ») .

والقسم الثالث : يختصّ بجزيرة صِقِلِّيَة .

ويقوم اختيار ابن سعيد في كتابه على منهج يتابع فيه ما نجده في كتابه : « عنوان المرقصات والمطربات » : من التفريق بين انواع النظام والكلام بحسب منهج خاص ، وذوق معين ...

فهو يحتفل احتفالا كبيرا ، بالغريب من المعاني ، والبعيد في الخيال ، والجديد المخترع من المعاني والصور . ولهذا قال في مقدمة "الرايات" (ص ٣١) : هذا مجموع أوردت فيه من غرائب شعراء المغرب ما كان معناه أرق من النسيم ، ولفظه أحسن من الوجه الوسيم ، ليرفّ على نداه ريحان القلوب ، وتتعلّق الاسماع بمعاده تَعَلُّق عين المحبّ بطلعة المحبوب ... وحقّ له ذلك إذْ قُمُصُ الفاظه مفصّلةٌ على قدود معانيه ، وزخرف اتقانه من حسن مبانيه ؛ **واشترطتُ** مع هذا الا أورد منه الا ما لم يُسْبَقوا الى معناه ، أو استحقّوه بزيادة او حسن عبارة ، أَبْرَزْتُه بعد تجويده في حلاه .. » .

وهو سفر لطيف الحجم،يشغل ما بين صفحة ٣١ ، ١٥١ من المطبوع . وتشغل مقدمة المؤلف ثلاث صفحات .

أمـــا مخطوطة الكتاب فهي نسخة وحيدة متأخرة ، لا تخلـــو من تصحيف وتحريف هنـــا وهناك ، غير أن خطها نسخي جميل مجـــوَّد .

وليست طبعة الكتاب الجديدة هـــي الطبعة الاولى ، فقد سبق أن حققه المستشرق الاسباني البحّاثة القدير غارثيّا غومس، في مدريـــد، سنة ١٩٤٢ ، ثـــم نهض بعبء نشره ثانية الدكتور النعمان القاضـــي فـــي القاهـــرة .

وقَـــدَّم الدكتور القاضي للكتاب بمقدّمة طويلة نسبيًّا (نحـــو ٣٠ صفحة) من كتاب لا يتجاوز ١٨٤ صفحة بفهارسه وملاحقـــه . وهي مقدّمة يُسْتَغْنَى عن كثير مما فيها، كما سأُبَـــيِّن .

والامـــر المطلوب في مقدمة كتاب كهذا أن يُعَرِّف المحقـــق بمؤلـــف الكتاب ومخطوطة الكتاب ، وأن يتحدث عـــن مضمون الكتاب ومنهجـــه ، ومصادر المؤلـــف ومراجعه ؛ ولـــه إنْ شاء أن يُقَوِّمه ويضعه في مكانـــه من الكتب المماثلة ، إن وُجِدَت ، ومـــا أشبه ذلك ...

ولكـــن المحقِّق زَحَّم المقدمة وطوَّلها بموضوعات من نافل القول ، واضطر ــ وقد جَـــرَّ الكلامُ بعضَه بعضا ــ الى اطلاق الاحكام العامة ، والى البتّ في قضايا أندلسية مـــا زالت مدار بحث ، لم يُقْطَع فيهـــا المتخصصون أنفسهم ، ووقع في أخطـــاء تاريخية وأدبية كثـــيرة !

وتـــدور مقدمةُ المحقِّق حول ثلاثـــة أمـــور :

١ ــ الحديث عن وحدة الفكـــر العربي على مـــرّ العصور ، وعن ارتباط الاندلس بالمشرق . وقـــد اضطرب المحقِّق في هذه العلاقـــة وتحديدهـــا .

٢ ــ الدفـــاع عن الحضارة الاندلسية ، والاعتذار عن غياب بعض الاغراض ، كالشعر الفلسفي الذي نجـــده في شعر المعري ؛ واعتذر عن غياب بعض فنون القول ، كالذي ظهر في الغرب !!

٣ ــ الحديث عن كتاب الرايات ، وصاحبه ، وعن الطبعة السابقة (بتحقيق غارثيّا غومس) .

ولم يوفِّر حماسته البالغة حين وصف المحقِّقَ السابقَ (١) لنص رايات المبرزين بالعُجمة (عجمة المحقِّق ، صفحة ٢٦ ، وبوقوعه في المزالق ، صفحة ٣٠ ، وبأنه يتصف بالغفلة، هامش صفحة ٥٣) الخ . وهناك مسوِّغات كثيرة لنشر الكتاب ثانية دون الوقوع في عمل المستشرق القدير وشخصه . فهذه هفو من هفوات الدكتور القاضي في هذا الكتاب وسنَعدّ لك منها اشياء .

ـ ٢ ـ

من أحكام المحقق الخاطئة ، في مقدمته ، ما قرَّره جازما بأنه كان من الصعب اشاعة وحدة سياسية في الاندلس (صفحة ٥) . وقوله ان ابن عبد ربه جمع مادة كتابه كلَّها من آثار المشرق . (صفحة ٨)، ومعلوم ان في العقد نُبَذاً اندلسية تمنع ذلك التعميم . ومنه حكمه على الشعر الاندلسي بأنه يصطبغ بصبغة المحافظة (صفحة ٩) على غموض العبارة ، وقصره مهمة العرب في صِقِلِّيَة على نقلهم التراث اليوناني الى ايطالية وسائر أوروبة !! (صفحة ٦)، وقوله ان ابن شُهَيد تأثر أبا العلاء المعري (صفحة ٩)؛ وغموضه في قوله عن الاندلسيين ان تجديدهم « لا يتجاوز التعمُّق في الخيالات دون المساس بالجوهر » ؟ ! (صفحة ٩) ، واشادته بشاعرية ابن قُزْمان (صفحة ٩) علما بأنه كان زجّال الاندلس ، أما شعره فكان من طبقة دون طبقة الاجادة ... وأوهامه في ذلك واسعة كثيرة .

---

(١) يظهر لي أن المحقق الدكتور القاضي لم يطّلع على كتاب (الشعر الاندلسي ــ بحث في تطوره وخصائصه) الذي ترجمه د. حسين مؤنس وطَبَعَه مرتين في القاهرة . فان غومس اعتمد أساسا في هذا الكتاب على نصوص "رايات المبرّزين".

وانفـــق قسما من المقدمة للحديث في نشأة الموشّحات ، ونصر راي الدكتـــور شوقي ضيف الذي تبنّاه من القـــول بالاصل المَشْرقيّ للموشّحات ، علما بأن كتـــاب "الرايات" لا يذكر الموشّحات ولا يمرّ بها ـــ عـــدا ذكره خرجة واحدة صفحة ٧٩ من موشحة لابن بقيّ ! ـــ .

وفي الجملـــة، هي مقدمة مشوّشة ، كان الاجدر بالمحقق ان يقتصد فيها ولا يغوص في قضايا لم يُبَتّ فيهـــا ، أو في قضايا هي بحاجة الـــى بحث موسّع لتتبين معالمهـــا ..

ـ ٣ ـ

ونظـــرا لكثرة الملاحظات التي سَجّلْتُها على حواشي نسخَتي من الكتاب ، سأقتصر على نُبَـــذ منها في ابواب متفرّقة من الحديـــث ؛ وسأكتفي بقسم من الاقسام الثلاثة في الكتاب (القســـم الاول) فغايتي هي تقديم النماذج ، ومناقشة منهج المحقّـــق ، ومراجعة بعض القضايا ...

وأول ما ابدأ بـــه أمرٌ هامّ يتعلّق بأصول تحقيق النصوص ، وهـــو الاخذ بالنص والتقيّد بـــه ، وعدم الخروج عنه . وفي النسخ الوحيـــدة لا يكون التبديل الا بقرينة واضحة أو مرجح واضح ، ويُنَبَّـــه الى ذلك في مواضعه ، كما يُنَبَّـــه الى ذلك في خطـــة العمل . وقد يكتفي بعض المحققين باثبات النص على حالـــه، مع التعليق والتصويب في الحواشي .

وقـــد وَجَدْتُ الدكتور القاضي يخالف النصّ ، ويُخْرُج عن روايته الى رواية مصادر اخرى دون سبب أو داعٍ الى ذلـــك .

١ ـــ في الصفحة ٤١ ، قـــال ابن زهر الإشبيلي :

وموسِّدِينَ على الأَكُفِّ خُدودَهم قد غالَهُم ضوءُ الصباح وغالني

وهـــذه رواية "النفح" و"الوفيات" ؛ اما رواية المخطوطة الاصلية فهي :

وموسِّدِينَ على الخُدودِ أَكُفَّهـــم قد غالهم ضوءُ الصباح وغالني

ومـــن العجب مخالفة النص في هـــذا المجـــال .

ب ــ في الصفحة ٤٣ انشد قول صفوان بـــن ادريس ، صاحب كتاب "زاد المســافـــر" :

ابِعَيْنِـــكَ الشَّتْراءِ عـــينٌ ثَرَّةٌ منها تَرَقْرَقَ دمعُـــك المسفوحُ

شَتَرَتْ فَقُلنا زورقٌ في لجَّـــةٍ مالـــت باحدى جانبيه الريـــحُ

وروايـــة المخطوطـــة :

" مالَـــت فقلنا زورق .." الـــخ . فخالف النصَّ الى سواه ، وكان حقُّـــه ان يرجع الى "زاد المسافر" صفحة ٩٣ حيـــث روى صفـــوان الابيـــات لنفســـه !

جـ ــ في الصفحة ٤٦ من شعر ابـــي الصلت امية بن عبد العزيز :

قـــال حسودي وقـــد رآهُ يُخَـــبِّ تحتي الى القتـــال

والبيـــت ، في جملة ابيات ، في صفة فرس وروايته في المخطوطة :

قـــال حسودي وقـــد رآه يُجنَـــبُ خلفي الـــى القتال

فبدَّلـــه مُفَضِّلا رواية "النفح" على رواية النص الاصلي و"الخريدة" معًا !

د ــ في الصفحة ٤٦ ، عن شعر ابـــي الصلت :

لا غرو ان سبقت **يداك** مدائحي وتدفَّقَـــتْ جدواك مـــلءَ إنائها

وروايـــة النص : لا غـــرو ان سبقت **علاك** مدائحي ...

هـ ــ في الصفحة ٤٧ : وقـــال في فرس أصفر . وفي الاصـــل المخطوط : في فرس أكحـــل !

و ــ في الصفحة ٥١ وصف الشاعر تمايُلَ القَصَب بمـــرّ الهواء على مجلس الشراب حتى لثـــم رؤوسهم ، وقـــال للساقي :

اَسْهِمْـــهُ مِنْ اكوابنا ولـــو أنَّـــه سكرانُ يَطفَحُ ، حَقَّ ما لَثَمَ الرؤوسْ

وروايـــة المخطوطـــة :

" اَلْثِمْـهُ مِن اكوابنا .." الخ . فبدّلها المحقق ، وضيَّعه ان الناسخ اوردها (اَبلَثْمِهِ) فلم يهتـدِ الى تصحيفه ، وبدّل الكلمة برواية المغرب .

ز ــ في الصفحـة ٧٧ :

واذا نظرتَ الى محاسن وجهه ابصرتُ وجهك في ثَنـاه غريقا

اوردهـا (ثنـاه) اجتهادا . وترك روايـة الاصل وهـي (ابصرت وجهك في سناه غريقا) . والابيات مشهورة جـدا لابن عبد ربـه وتتردد في تراجمـه .

• • •

وَيلْحَـق بهذه الفقرة خطـأُ المحقق في قراءة بعض الكلمـات . وكثيرا ما تجـده يلتمس رواية او يصوّب كلمة ، ولو أنـه قـرأ النص على وجهه لاستقام لـه واتّضح . في الصفحة ٣١ قال ان الكلمة فـي المخطوطة (إذن) وحوَّلها الى (آذن) . وهـي في الاصل مهملة من الهمز ! وفي الصفحة ٣٨ قـرأ (زِدْتك) و (زاد) وحوَّلها الـى : زُرْتك وزار . وهما كذلك في المخطوط ! ولكنـه خفي على المحقق قاعدة كتابـة الخـطّ النسخي . وفي الصفحة ٢٤ قـرأ العبارة (قلتُ بـه) وصوَّبها الى (قلتُ إِيـه) وهي كذلك في الاصـل . وفي الصفحة ٤٧ قـرأ العبارة (وقرَّ بـه) واثبتها : فَفَرَّ بـه ، وهي كذلك في الاصل .. الـخ .

وممّـا اخطأَ في قراءته واثبَتَه على خطئـه قوله، صفحة ٤٦: "وانشد صاحب الخريدة لأُمَيَّة بن عبد العزيز في (مجمرة طبيب) " هكذا ، وصوابها في مجمرة (طِيْب) ، وهي كذلك في المخطوطـة !

ــ ٤ ــ

وفي ضبط بعض البلدان وهـم او خطأ . في الصفحة ٣٨ (رَنْدَه) بفتح الراء ، والصواب (رُنْدَه) بالضم . وفي صفحـة ٥١ : وقد قعدنا بالغروس على نهـر اشبيلية . والصواب : قعدنا بالعُروس (بالعين

المهملة) على نهـر اشبيلية (ديوان ابن سهل الاشبيلي صفحة ٩٢) و (العَروس) من متنزَّهات اشبيليـة .

وفي صفحـة ٥٢ وردت (مدينة مُنّيش) مشدّدة النون ، ثـم اوردها بعد سطر بنون مفتوحة مخففة (مُنيش) . وفي المُغرب (مُنيش) بنون مخفّفة مكسورة . وفي جغرافية الاندلس واوروبة (قطعة من المسالك والممالك للبكري صفحة ٦٢ ، ٦٣) مدينة مُنْتيشـة Mantesa بتـاء زائدة . وكان يُحْسُن أن يوحّد رسم الكلمة ويراجعها على المظـانّ الجغرافيـة الاندلسيـة .

وفي الصفحة ٦١ قـال إنّها مدينة (يابُره) بباء ساكنة ، وصوابهـا (يابُره) ببـاء مضمومة .

وضبـط مدينة شنتِرين (صفحة ٦٤) بكسر التاء والصواب فتحها .

وفي الصفحة (٨٦) عرّف (الزاب) بأنه بلـد بالاندلس !! والصواب انـه ، كما في الروض المعطار : في أطراف الصحراء من عمل إفريقية .

وضبـط (صقلية) بفتح الصاد ، والصواب كسرها . وفـي : ١٢٧ ضبط (مُكناسة) بضم الميم والصواب كسر الميـم ...

وتحدث في المقدّمة وفي الحواشي عن جزر (البليـار) والعرب كانت تسميها الجزائر الشرقية ، وهي ميورقة ومنورقة ويابسـة .

ووَقَـعَ مثلُ هذه الاوهام في ضبط بعض الاعلام او التعريف بهـم ، مما هو ظاهر او معروف . فهـو ضبط (الخَشْني) بسكون الشين ، والصواب فتح الشين : صفحـة (٤٠) .

وضبـط غياث (صفحة ٥٣) غَيّاث على وزن شَدّاد !

وضبـط ابن دُحْية (صفحة ٥٣) بضم الدال ، والصواب (دِحْية) بكسـر الـدال .

وقـــال في نسب ابن حزم إنـــه (ابو محمد علي بن ابي عَمْرو بن حزم) والصواب (ابن ابي عُمَـــر) . (صفحة ٦٩) .

وفي الصفحة ٤٣ في الحاشية (٨) عَرَّف بابي بكر محمد ، وهـــو من بني عم ابن زُهر المعروف بالحفيد فقال : « هو ابو بكر بن زُهـــر الاصغر ، وهو ابن عم الاكبر ... » . فأخطأ في تعيين أبناء زُهر الثلاثة . والصواب أن المترجَـم في الصفحة ٤٣ واحـــد من اسرة بني زُهر ، امـــا الآخران فاحدهما ابـــن زُهر الحفيد ابـــو بكر محمد بن عبد الملـــك (ت٥٩٥) والثاني جَدّه ابـــو العلاء زُهر (ت ٥٢٥) .

ونقـــل ابن سعيد خبرا عن شيخه الأعلَم البطليوسي (ت ٦٤٢) . فعلَّق المحقق في الحاشية (٤) : « هـــو غير الاعلم البطليوسي صاحب التآليف المشهورة : .. الـــخ » . وهذا وهـــم . وهو يريد : الاعلم البطليوسي غير الاعلـــم الشنتمري (ت ٤٧٦) صاحب التآليف المشهورة .. (هـــذا في الصفحة ٤٨) .

وعَرَّف باحـــد الأُدباء الصقلّيين فقال : (ابـــو الحسن علي بن عبد الرحمن بن ابي البشر ، الكاتب الصقلي) ، والصواب انـــه الشاعر الكاتب ، ولـــه ديوان طُبِع مرّتين !!

واستغرب المحقـــق (صفحة ٢٣) أن يُنْسبَ المؤلِّف ابنَ رشيق الى المسيلة (المحمديـــة) !! وليس في هذا عجب لانه مولود بهـــا ، وإن اشتَهَر بابـــن رشيق القيرواني .

— ٥ —

وتجـــد بعض الالفاظ مضبوطة بالشكل بمـــا يخالف الصواب ، أو بما لا يتَّفق مع المعنـــى . وقد يكون شيء من هذا من اخطـــاء الطباعة .

مـــن ذلك ورود كلمة (ذخر) بالذال ، اخت الدال ، مرّتـــين (صفحة ٢٦) وهو يريـــد (زخر) بالزاي ، اخت الراء .

وضبـــط (الكَلّة) (صفحة ٧٠) بفتح الكاف وهي (الكِلّة) بالكسر ، لمعنى السِّتر الرقيـــق ...

وفي الصفحـــة (٧٢) قال احـــد شعراء "الرايات" :

أمسى الفَراشُ يطوف حول كؤوسنا اذ خالهُـــا تحت الدجي قِنديـــــلا
مـــا زال يَخفقُ حولَها بجناحـــــه حتى رَمَتْـــه على الفِراش قتيـــلا !

ضبـــط المحقق (يخفق) بضم الفاء ، والصواب كسر الفـــاء . وزاد انْ ضَبَط (الفراش) في البيت الثاني بالفتح ، والصـــواب بالكسر ، لمقتضـــى المعنـــى .

وضبَـــطَ المحقّق (صفحة ٨١) كلمـــة (كناس) بضم الكاف ، والصواب الكسر لانـــه يريد المأوى الذي يلجأ اليه الظبي .

وضبط كلمة (كبـــد) بكسر الباء (صفحة ٤٩) والصواب فتح الباء ، يريد معنى المشقّة ، والبيت مـــن قطعة في وصف فوّارة :

يـــا حسن فوارة للأفق راجمـــة بالشُّهْب تنزو نُزُوَّ الواثب اللَّعِـــبِ
ينساب عنها حباب المـــاء مندفقاً الى البحيرة مثل الأَيم من رُعُـــبِ
كأنما مارَ تحت الارض في (كَبَدٍ) : فحين ابصر وُسْعَا جَدَّ في الهَرَبِ ..

وفي (الصفحة ٤٢) "كافورتي" ضَبَطها بكسر التـــاء والصواب فتحها كما في المغرب ١ : ٢٤٨ من قـــول الشاعر :

وبيضـــاءَ تَحْسَبُهـــا دُرَّةً تذوب اذا ذُكِرَت او تكـــادْ
تُنَمْنِـــمُ بالمِســـكِ كافورَتـــيْ مُحَيّا حوى الحسنَ طُرًّا وزادْ ..

- ٦ -

ولـم يُعْـنَ المحقّق بايضاحات اشارات المؤلف التي يقتضـي التحقيق ايضاحها او يُحْسُن ؛ وهـي اشارات هامة بالقياس الى تبيـان منهج المؤلف وموقفه النقـدي .

في الصفحة ٥٩ قـال الشاعر :

انهض أبـا طالب الينـا واسقُطْ سقوط الندى علينا

وكـان حقّه ان يشير الى بيت عمر بن ابي ربيعة :

واسقط علينا كسقوط الندى ليلـة لا نـاهٍ ولا آمِـرُ

وفي صفحة ٥٩ نفسهـا :

يـا ايها المَلِـكُ الذي آباؤه شُمُّ الانوف من الطراز الأوّلِ

وكـان حقه أن يضع الشطر الثاني بـين قوسين ...

وفي الصفحة (٧١) ورد بيت ابـن زيدون :

تِـه ، أَحْتَمِلْ ، واستطِلْ ، أَصْبِرْ ، وعِـزَّ أهـنْ
و وَلِّ ، أُقبِلْ ، وقُـلْ أَسْمَعْ ، و مُـرْ أُطِـعِ

وقـال المؤلف ابن سعيد انـه احسن من بيت المتنبي . ولـم ينبّه اليه المحقـق . وقُلْ مثل هذا في اشارة المؤلـف الى متابعة ابـن شُهَيد لأبيات امرىء القيس ، ولم يشر المحقق اليهـا .

وفي الصفحة ٧٤ قـال الشاعر :

فانَّ قرين السوء يُعدي ، وشاهدي (كما شُرِقَتْ صدرُ القناة من الدم)

وكـان يَحْسُن ان يشير الى انـه شاهد نحْوي في قصيد للأعشى .

— ٧ —

أمـــا الشروح التي اضافها المحقق فكانت احيانا سريعة لا تُغْني ، وكان احيانا يَسْكت عـــن شرح ما يجب شرحه ؛ وهو كثير ، أذكُرُ منـــه مثلا تعليقه على قـــول الشاعر :

خلان قد كَفَر الكافور ذاك وقـــد عَقَّ العقيقَ احمرارا ذا وما ظلما !

وقـــال : « معنى كفر : ستر » . والصواب : انـــه اخذ من الكافور فعلا ، ومـــن العقيق فعلا ، ولهذا قال : وما ظلمـــا .

وفي الصفحة ٨٣ مـــرَّ ذكر الدولاب ولم يشرحه ، وهو الناعورة . وأورد ابيات ابن القوطية وأولهـــا :

إِشْرَب على السَّوسن الغض الذي نَغَما
وباكِـــرِ الآسَ والورد الـــذي بَخمـــا

والصواب الذي نجمـــا ، وهذا ظاهر . ولم يشرح "نَغَـــم" وإن شرح غيرها من الالفاظ في القطعـــة !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ٨ —

— ومـــا يسلك في الوهم ، والسرعة في العمل قولـــه (صفحة ٧١) في التعريف بالكاتب ابـــي يحيى ابي بكر بن هشام القرطبي فـــي الحاشية (٥) : كانت لـــه كنيتان !! — واضاف ايضـــا — : على عادة اهـــل الاندلس ! فهذا خطأ مركّب ؟ فلم يكن من عـــادة اهـــل الاندلس أن يتّخذوا كُنْيَتين الا في القليل ، وعلى الاحكام التي تعرف فـــي المشرق (للحرب والسلم .. الـــخ) . ومن جهة أخرى فالمترجم اسمه ابو بكر وكنيته أبـــو يحيى ، ولكن الامر التبس على المحقـــق !

— ومـــن ذلك قوله ان أبـــا بكر بن ميمون صاحب شرح (المجمل)؛ وكرر هذا في الاصـــل والحاشية ص ٧٧ ، وصوابه (الجمـــل) ، وهو كتابُ نحـــو مدرسيّ مشهور في الاندلس بخاصة ، وهـــو للزجاجي .

— ومن ذلك قوله في الصفحة ٧١ أن المعتضد العَبّادي غزا قرطبة واخذها . والصواب انها وقعت في يد المعتمد ابنه سنة ٤٦١ هـ .

— ومن ذلك قوله، صفحة ٧٣ في ترجمة ابن عبدوس : « وهو الذي وَجَّه الى ابن زيدون رسالته الهزلية » . وهذا خطأ صوابه : «هو الذي وَجَّهَ **اليه** ...»

— ومن ذلك قوله (صفحة ٤٠ هامش ٢) عن علي بن يوسف ابن تاشفين انه ملك المرابطين . والحق ان المرابطين لم يتلقبوا بغير « أمير المسلمين » ...

وغير هذا مما يقع تحت عنوان الاوهام ...

— ٩ —

ومن الامور الهامة في عملية التحقيق مراجعة الاصول التي نَقَل عنها المؤلف . فاذا كان لدى المحقق نسخة وحيدة، تعيَّن عليه ان يعود اليها .. فما بالك بنسخة وقع فيها شيء من السهو ، والوهم ؟

ويُعْجَب القارىء حين يتنبّه الى أن المحقق اغفل العودة الى عدد من الاصول التي اعتمد عليها ابن سعيد ، والاصول التي ذَكَرَها ، أو لم يذكرها ، واكتفى بذكر بعض تلك المصادر التي لم يرجع اليها المحقق ، على ضرورة العودة اليها في مثل هذا الكتاب : من ذلك : كتاب (البديع في وصف الربيع) لابي الوليد الحميري ، وكتاب (زاد المسافر) لابي بحر صفوان بن ادريس، وكتاب (العقد) لابن عبد ربه ، ودواوين ابن سهل ، وابن زيدون ، وابن الزقاق ، والرصافي البلنسي ، وابن عمّار ، وكتاب (المطرب) لابن سعيد ، و (المعجب) للمراكشي و (يتيمة الثعالبي) وغيرها كثير .

وهذا الاغفال أثَّر على قضية توثيق النصوص في الكتاب . وقُلْ مثل ذلك في التعريف بالادباء والشعراء ، فهو لم يَسْتَقْصِ ما

بين يديـــه من مصادر ، بل لم يرجع الى بعض كتب المؤلـــف نفسه ... وكاد أن يلتصق بكتابه (المُغْـــرب) وان لم يلتزم بضبطه وحواشيه .

ومـــن ههنا كانت تعريفات كثير من الاعلام سريعة ، مبتسرة ، او كانت نقلا من عبارات المؤلـــف نفسه او من سبقه الى التأليف في (المغرب) مما لا يزيد قضية التوثيق توكيدا وتوضيحـــا .

— ١٠ —

ولا تشعر ان المحقـــق (عايَشَ) المؤلف في مقصده ومنهجه، ولا خالطه بالعودة الى مؤلفاتـــه ، ولا هو رَصَدَ مواقفه الادبية والنقدية . ومـــن أوضح الامثلة على ذلك أن المؤلـــف اعتذر الى موسى بن يغمور (المُهْدَى اليه الكتاب) عن صغر حجمه ، فقال لـــه :

« ... والمملـــوك ـــ يعني نفسه ـــ ينهي للمولى أن هذا المجموع إنْ نَقَصَ في عينِ مَن عَمِيَت بصيرته لصغر جرمه ، فجوابه قول اشعَـــرِ مَن مَلَـــك طريقَ التخيُّل ، وتوصَّل بلطافة الذهن الى الاستنباط والتخيُّل :

والنجـــمُ تَسْتَصْغِرُ الابصـــارُ رؤيتَـــه
والذَنْبُ للعـــين لا للنجم في الصِغَـــرِ

ولـــم يُعَلّق المحقق بشيء ، ولـــم ينسب الشعر » .

وعبارة المؤلـــف ابن سعيد تنبىء عن منهجه ، وميله الى مدرسة ابـــي العلاء المعري وطريقته في التخيّل والغوص على المعاني . والبيت المذكور من سقط الزنـــد (١ : ١٦٢) . واذا نظرنا في كتاب ابـــن سعيد الآخر : (عنوان المرقصات والمطربات) (صفحة ٤٦) وجدناه يقول : ابـــو العلاء المعري هو جليل القدر في الغوص ، وكثرة التخيُّل .

ولـــو تابعتُ ما في القسمين الآخرين مما وقع لـــي ، ورأيتُ فيه مـــادة ملاحظة ، لطال الحديث وتشعـــب .

ونحـــن ، وإن وجدنا للدكتور القاضي ، محقق « رايات المبرّزين » ، عذرا في بعض ما أشرت اليـــه في هذه المقالة ، لا نستطيع ان نلتمس العذر للباقي ، وهو كثير ، ولكن يكفيه أن عمل ، ومن لا يعمـــل لا يخطىء !

• • •

أمـــا (رايات المبرّزين وغايات المميّزين) لابن سعيد فهو حقّـــا في حاجة الى تحقيق علمي متـــانٍ .

د. محمـــد رضوان الداية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« تِـين إيجرز » = « عَشرِيُّون »

جـاء في مقال للزميل الدكتور ناصر الدين الاسـد عنوانـه : « العشرينات والعشرينيّات » ، ظهر في العـدد الاول من هذه المجلـة (عـدد كانون الثاني ١٩٧٨) في الصفحة ١٤٥ منه ، قوله إننا نحـار في اختيار كلمة عربية مقابلة لكلمة « تين ايجرز » الانكليزيـة .

وأنـا مِثْله لا اعرف أن العرب استَحدَثوا قبل اليوم مصطلحا عربيا يقابل هذا الاصطلاح الانكليزي ويؤدي معنـاه .

ولقـد رَدَّ الزميل الاستاذ روكس بـن زائد العزيزي في العدد الثاني من المجلة (عـدد تموز ١٩٧٨) في الصفحة ١٨٢ ، على مقـال الدكتور الاسد ، بأن « الارادنة يقولون ، وهـم يذكرون الفتاة والفتى في ما بـين الحادية عشرة والتاسعة عشرة : بالطِّعْش ! » .

العامّـة يقولون هذا حقا ؛ فالقضية محلولة بالنسبة الى اللهجة العامية ، لان هذا اللفظ موجود فيهـا ، فيقال : (ثلاث طَعْش ـ اربع طَعْش ـ الـخ) وليس في الاردن فقط ، بـل في كـل بـلاد الشـام ؛ كما ان المصريين لا يختلفون في هـذا كثيرا عن الاردنيين ، اذ يقولون : (ثلاث طَعْشَر ـ اربع طَعْشَر .. الـخ) . واما العربية الفصيحة فليس فيهـا شيء من ذلك ، ولا يُعقَل بأيّ حال ان تستفيـد من المصطَلَح العامي الثقيل علـى اللفظ والسمع . ولعل الاخ العزيزي انما قَصَدَ في ردّه المداعبة ، ولم يكن جادًّا في ما قالـه .

وقـد خطر لى ان لفظة « عَشرِيُّونَ » يُمكن ان تؤدي المعنى بدقّةٍ ولطف معا ، قياسا على مـا ذكره الدكتور الاسـد نفسه في مقالـه المشار اليه ، عند تفسيره لقول الشاعـر :

بِنْتُ عَشْرٍ لم تعانِق رَجُلاً صُوِّرَ البدرُ على صورتها

فقد عَلَّقَ على ذلك قائلا : « ان الشاعر لم يقصد الى تحديد سن العاشرة ... وانما اراد هذه السنّ التي تزدهر بين العاشرة والتاسعة عشرة » (ص ١٤٤/١٤٥) . وهذا حقّ ؛ فليس حتما أن تعني « العشرة » رقمها وحده ، بل يمكن أن تشمل بقية الاعداد المركّبة . ولهذا يمكن أن نقول ببساطة : « هذا فَتًى عَشَرِيٌّ ــ وهذه فتاة عَشَرِيَّة » ، ونحن نعني سنّ العشرات ، لا السنوات العشر فقط .

اذا جاز هذا ــ ولستُ ارى ما يَمْنَع من جوازه ــ فانّ انسب لفظة عربيّة تقابل « تين ايجرز » الانكليزية هي « العَشَرِيّون » ؛ وهذه لفظة سهلة ، يتقبّلها الذوق ، وتَدُلّ على معناها دون غموض او تعقيد او جفاء .

ومن الممكن أن تقترن احيانا بالموصوف ، فيقال : « الفِتْيانُ العَشَرِيّون » ، كما أن بقاءها وحدها يكفي للدلالة على المقصود ، لانه لا يمكن أن تَرِدَ الا في جملة تدلّ على أن المقصود هو الفِتْيان والفتيات الذين هم في سن العشرات .

وقياسا على ذلك يُمكِنُ أن يقال لِمَن هم في سن العشرينات او الثلاثينات : (العِشْرينيّون ، او الثلاثينيون ... الخ) ولمن هم في سن الثمانينات او التسعينات : (الثَّمانينيّون او التسعينيّون) . ولعله ليس غريبا على اللفظ والذوق والسمع أن يقال : « شيخ ثَمانينيّ » او « شيخ تِسعينيّ » ، دون تحديد للثمانين او التسعين من عمره .

* * *

عيسى الناعوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقتراح اسم عربي لمحصول الحبوب الجديد المسمّى في اللغات الاجنبية : تريتيكالـــي TRITICALE

تريتيكالـــي هو أول محصول للحبوب يوجده الانسان عن طريق تهجين القمح Triticum من الشيلـــم Secale ؛ وتَوَلَّـــدَ الاسم لهذا المحصول الجديـــد Triticale من المقطع الاول والثانـــي للاسم العلمي للقمـــح Triticum ، والثاني والاخير للاسم العلمـــي للشيلـــم Secale . ودَرَجَ كثيرٌ من العرب المشتغلين في مجال علـــوم المحاصيل وتربية النبات على استعمال هـــذا الاسم الاجنبي . ولقد حاولتُ منذ مـــدّة ايجاد اسم عربي — يضاف الى لغتنـــا العربية التي نعتزّ بهـــا جميعا — لهذا المحصول الجديد، باستعمال الطريقـــة نفسها تقريبا التي تَوَلَّـــد عنها الاسم الجديد في اللغات الاجنبيـــة . وذلك بأخذ بعض المقاطع من كلمة (قمـــح) وكلمة (شيلم) وضمّهـــا الـــى بعضها البعض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا مـــا نظرنا الى كلمة (قمح) فانها تتكوّن في نظـــري مـــن مقطعين: (قـــم) و (ح) ؛ أمـــا كلمة (شيلم) فهي تتكون ايضا مـــن مقطعين اثنين (شيـــ) و (لـــم) .

واذا مـــا افترضنا أن الاسم العربي الجديد الذي نبحث عنـــه لهذا المحصول لا بـــد أن يبدأ بالمقطع الاول من كلمة (قمح) او (شيلم)، لان هذا هو الشيء المنطقي والسليم ، فـــان الاحتمالات المتوافرة لدينا عندئـــذ هـــي :

١ — قملـــم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قـــم) والاخير من كلمة شيلـــم (لـــم) .

٢ — قمشى ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قـــم) والاول من كلمة شيلم (شيـــ) .

٣ — شيح ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم (شيـــ) والاخير من كلمة قمـــح (ح) .

٤ ــ شيقم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم (شـــي) والاول من كلمة قمح (قـــم) .

واذا مـــا استعرضنا هذه الاسماء العربية الاربعة المتولّدة لدينـــا والمبينة اعلاه، من حيث سهولة النطق بهـــا ووقعها على اذن الســـامـــع العربي، فاننا نجـــد أن :

١ ــ قملـــم : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٢ ــ قمشى : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٣ ــ شيح : خفيفة على النطق وموسيقية ومستساغة ، غير ان لهـــا عيبا كبيرا وهو انـــه عندما يساء نُطقُها (بكسر حرف الشين) يحصل التباس بينها وبين اسم نبات آخر ينمو برّيـًّا في بعض البلاد العربية وهـــو : شِيْح (نكرة) والشِّيْح (معرَّفـًا) .

٤ ــ شُيْقَم : اخـــفّ من كلمة قملم وقمشى، ولها وقـــع موسيقـــي، ومستساغة أيضا ، مع عـــدم وجود الالتباس بينها وبين اي كلمة عربية اخـــرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعليـــه فان : "شُيْقَم" هو احسن اسم عربـــي بين هذه الاسماء الاربعة يرشَّح لمحصول الحبوب الجديد تريتيكالي Triticale

د. خيري الصغير
كلية الزراعة / جامعة الفتح
طرابلس / ليبيـــا